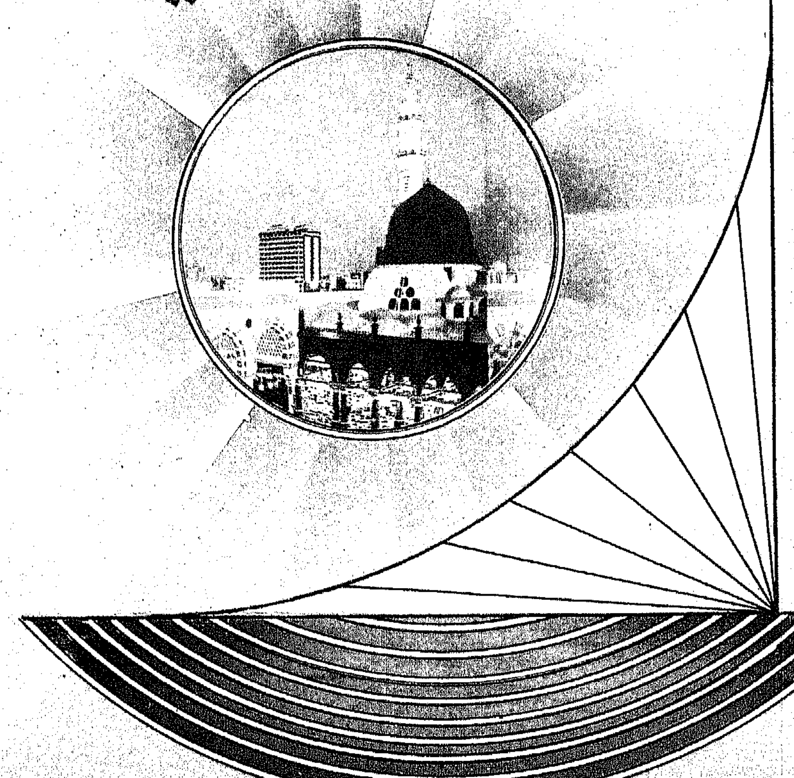
محمد كبريت الحسيني المدني

الجواهر الثمينة في محاسن المدينة



تحقيق
محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان







كتاب

الجواهر الثمينة في محاسن المدينة

تأليف

محمد كبريت الحسيني المدني

المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ

تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المصنف

هو محمد بن عبد الله بن محمد مولده ووفاته بالمدينة.

هو من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المشهور بمحمد كبريت.

أديب قام برحلة إلى الروم [تركيا] سنة ١٠٣٩ هـ، ألف فيها: رحلة الشتاء والصيف (ط) وزار دمشق والقاهرة ومن كتبه:

- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة. وهو كتابنا هذا.
- [حاطب ليل] كبير جدًا.
- نصر من الله وفتح قريب ط. فيه تراجم بعض فضلاء المدينة.
- والزنبيل اختصر به الكشكول للعاملي.
- والعقود الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة.
- بسط المقال في القيل والقال.

توفي رحمه الله سنة ١٠٧٠ هـ.

انظر/ ترجمته في:

خلاصة الأثر (٤/ ٢٨)

إيضاح المكنون (١/ ١٨٢)

الأعلام للزركلي (١٦/ ٢٤٠)

كتبه السيد/ محمد علي بيضون صاحب دار الكتب العلمية.

وصف المخطوط

للمحقق

بفضل الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد عثرنا لهذا الكتاب الجليل على مخطوطتين إحداهما في دار الكتب المصرية والثانية في معهد المخطوطات وثم ضبط نص الكتاب منهما:

وصف النسخة المرموز لها بـ «أ»:

وهي نسخة المعهد المصورة من رضا رمبور ورقمها (٣٦١٩) ورقم الفيلم ٣٠٣٣ عدد أوراقها [١١٣] خطها واضح.

وصف النسخة المرموز لها بـ «ب»:

وهي نسخة خطها واضح ومقروء رقمها ٧٣٧٠

ولا يسعني في النهاية إلا أن أقدم الشكر لمشايخي:

الشيخ: جاد الرب رمضان. رحمه الله.، الشيخ الحسين الشيخ والشيخ محمد أنيس عبادة رحمه الله، والدكتور كمال عبد العظيم العناني. والشكر للسيد محمد علي بيضون صاحب دار الكتب العلمية بيروت حفظه الله.

طالب العلم / محمد حسن محمد حسن أ، محمد فارس



صورة غلاف النسخة « ب »

بسم الله الرحمن الرحيم ورحمة ربك خير مما يجمعون

الحمد لله الذي حبب إلينا المدينة، وجعلها من أفضل البقاع الأمينة، فنحن من جوار حضرة النبي
الأمين، في حصن حصين بين شرف المكان المكين، أحمده على أن خصنا بملازمة بابه
والوقوف على أعتابه، حمد من علم أن الكل من عنده، وأن من [illegible] بحمده، وأني
إذا لم أجتمع بجنابه أمر على بابه فأسلم، وأشكره على نعمة الجوار، وجوار الدار، ولحوق بدار
الجار، والجار محسوب على جيرانه، وجار الكريم سالم من [illegible]، وأشهد أن سيدنا ونبينا
محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المبعوث بأشرف الأديان والملل، النبي
المرسل الكريم المفضل، المنادى في الأزل: يا محمد قد اصطفيناك في الكتاب الأول
في العلم قد ركن عندنا وأفضلت آدم فمن دونه تحت لوائك يوم العرض [illegible]
لك الشفاعة واللواء والحوض، وكل من الأنبياء يستغيث لنفسه ويسألك فما أحد
من توسل به وناداه للشفاعة يا من عليه في الشفاعة المعول، الشفاعة يا من يستغيث
به المكروب إذا ضاقت به الحيل، الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام
ما أنت وربك فدناه وتدلى، والصلاة والسلام على من برز من خدر الغيب
شموس معاني عبارات الزاخر، وأطلع من أفق المثاني أقمار إشارات الفاخر
اللهم إنا نستوهبك حبيب صلواتك وطيب تسليماتك لهذا السيد الذي
زينت سماء معجزاته بكواكب حفظ بك الثاقب ونشرت مناشير بيناته في
آفاق المشارق والمغارب، ولوازريه الذين نشروا شمل أعدائه ونظموا قواعده
صلاة تكون لنا صلة وبأجمل العوائد عائدة. اللهم صل وسلم عليه وعلى
إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين. أما بعد: فلما كانت المدينة المشرفة مسقط رأسي وربا ضمها الوريفة
منبت غراسي، بلاد بها نيطت علي تمائمي، وأول أرض مس جلدي ترابها
فلا برحت تزهو على الأفق بالبها، ولا زال يهمي في الرياض سحابها
وكيف لا وهي مهابط الوحي ومنازل النبوة، ومساقط الكرم ومغارس الفتوة.

صورة الصفحة الأولى من النسخة « ب »

ومنارة النفوس وللخواطر والرياض الحسان بل الروضة الغناء باكرتها الوطفاء

بلدة ما رأيتها قط الا … قلت حوزي ارضي ومسقط راسي
مُلئت اشكو بها من العيش … انني لا ازال في جلاسي
بذلوا لي مع السماحة وداً … وعد منهم يزيد في ايناسي
منهم بارع حاز رتبة سقيم … ومسائل ما بين ورد وآسي
مما يحلي من دونك خليل … وانيسي من دون اهلي وناسي
بلغ المصطفى بها من سلام … وثناء معطر الانفاس
فهو سولي من الانام جميعا … طوق جيدي ومنيتي تاج راسي
لا تخل الايام صدقي وودي … واعتقادي في طيب اصل غراسي
فعلى كل من يحل بناديه … دجى الرفاق والجلاسي
من اله الانام اذكى التحية … من سلام نام بغير قياسي

ولقد جاء في الاثر عن خير البشر حب الوطن من الايمان ومن المحبة نشر المحاسن والتشبيب بذكر الاماكن .. اعد ذكر من حل الغنا يا معذبي .. وان اضرموه بالاضالع والصدر ولا تنس سكان العقيق وان هم شغلي وحق اجروه في مدة البعد خطر ببالي ولاح في خيالي ان اذكر بعض محاسنها، واتعرض لذكر بعض اماكنها، واشبب باللوى بالمصلى والعقيق والنقا والغريق، شعر طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدناني، وقد بدا لي ان يكون هذا المجموع البديع وضعه للفهيم جمعه مبنيا على مقالتين وخاتمة ومنه المسؤول وحسن الختمة فاذا تجلت شموسه وانجلت عروسه، سميته الجواهر الثمينة في محاسن المدينة محاسن تشدي المادحين بوصفها فيحسن فيها منهم النثر والنظم اذا انفحته نوافح القبول من حضرة السيد الرسول وعوذت محاسن هذه الرسالة بالمرسلات وارتشف من زهر منثورها المطلول قطر النبات، فالاولى باحث اشتملت على اخبار ديار المصطفى وهو في الحقيقة حبيب القلوب على الاطلاق وانبأت عن آثار

صورة الصفحة الثانية من النسخة « ب »

واذا اردت من العلوم اجلها   فعليك بالقرآن والاداب
هذا الدين لك ان اردت ديانة   وهدى وذاك لمنطق وخطاب

اذا لم تكن مر السنين مترجما   عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الايام حين تعدها   ولم تستفد علما يزين ولا فضلا

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله   فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرا لم يحيى بالعلم ميت   وليس له حتى النشور نشور
قال بعضهم اطلب العلم فلان يذم لك الزمان خير من ان يذم
بك اخذه بعضهم فقال
تجنب ان تذم بك الليالي   وحاول ان يذم لك الزمان
ولا تحفل اذا كلت ذاتا   اصبت العز ام حصل الهوان
فذم الدهر للانسان خير   من الانسان تذم به الاوان

اذا رأيت حكيما لا تجالسه   خلاف حكمته حسن ولا بشر
فهو الحكيم الذي في نفسه فلك   والشمس تسبح في مجراه والقمر
فكن له خادما والزم نصيحته   حتى تبين لك الآيات والصور

العلم في الرجل الحكيم زيادة   ونقيصة في الاحمق الطياش
مثل النهار يزيد ابصار الورى   نورا ويعمي اعين الخفاش

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى   وسيرته عدلا واخلاقه حسنا
فبشره ان الله اولاه فتنة   تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

صورة من النسخة « ب »

من مطلع سهيل ابن ورقاء العرش من عنقاء المرش اين من فلك المعاني ملك الصور واين من بحر اللآلي بحر الفكر اين مطلع صباح البصائر من مطلع صباح الابصار هذا انموذج من فيه شمسه وقمره ذاك افق كل شمس وسر وافكار شعر

بنعامة

دون رسم الديار حد سيوف … مانع من دنا سمعت خباءه

لا تخافوا لعلو دنوت اليها … احرقتني اشعة الانوار

وبالجملة فما مزية التقرب الى ابن داود برجل الجراد والتسجب على البحور باوشال الثماد وكيف لعرض على مدح العرش وحيا ولجلب الى صنعاء اليمن وشيا ام كيف لحلع ربقة النهى واقابل بين البدر والسها اين الهباء من الهباء وان الاغبياء من النبهاء وحيث وقفت الاماني لدون تلك المآرب لعزة تلك المطالب

شعر مفرد

وقلت لاصحابي هي الشمس ضوءها … قريب ولكن في تناولها بعد

فلتكن خدمة الخزانة مولاه لا برحت عتبته العلية كعبة فضل يعول عليها وسدته السنية مدينة علم يهاجر اليها ولا برحت وفود العلاء كفد بناديه والسنة الرجاء من آفاق الثناء تناديه مبلام فواتح اشواقه انفس من نهج الازهار وفوايح ادراقه اعطر من اريج الاسى رشفوعا بدعاء يفرع ابواب الاجابة باذنامل الرجاء وثناء يملأ بطيب ارجه سائر الارجاء بلج لا اخجل راجي فضله ولا يرى الوصمة في سوال الكرم على العطا قد طبعت والطبع لا يطمع في انتقاله سلني به باس يا سميه اقل هذا مجال لست من رجاله هو مولانا واحد العلى وماء جد العطا ابن عباس العلوم محرر المنطوق والمفهوم اياس القضاة ذكاء واتقاده وأويس الزمان عفة وزهادة مجمع الكتب المفاخر والالقاب المتواخر المحقق دعوى كم ترك الاول للآخر مسل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملأ المسامع والافواه والمقل اكرم به من قاض تشرف باحكامه الشريفة مصر المحروسة وما والاها واستوفى المستحق بها من قسمة الزمان ديونه

منه

صورة من النسخة « ب »

منه امواه نعمه ومداد قلمه اذ لم يشكل امره الا ازال بروس الانامل ابهامه

ورد الصادي يحسن تدبيره الى اهلها وزود بأهم بالكرامة انعامه وكيف لا وهو القائل فيه

بمحض واصفيه … شعر

يهنيك المصر اذ حويت ضيا حوى … كمالا على تفضيله انعقد النص

فلو مثلت كتب النحاة بنعته … لما جاز ان يجري على نعته النص

فهو الغني عن الاطناب بالالقاب والمستغني بأوصافه الحسان عن ترجمان البيان، المحظوظ الملحوظ بعناية المعيد المبدي مولانا شعبان افندي لا زال صدر المعالي بمكانه في انشراح وفوائد قلائد معاليه في ابتهاج وشاح ولا برح الزمان ينفذ ما صدر من قضايه وحكمه والله تعالى يزيده بسطة في علمه وجسمه مصيبا به الاغراض في مرامي المرام محسنا مطابقته البديعية في النقض والابرام فانه اسكنه ذاته واطال واطاب بحياته لاجله من اخباره الا ولها محل من الاعراب عن المقصد الجليل ولا ضمير الا وهو في اعتقاده على النحو القديم والرأي الجميل

فلا زال ميمون اليمين بهمة … نقلنا بالفعل كيف نقول

وهذا ولما كان من لازم من تمسك بأهداب الاداب اطلاع مواليهم على محاسن ما يستطاب وما زالت السنة طاريه والعادة جاريه باهداء النفائس الى النفيس من المرؤوس الى الرئيس واحسن ما يهدى الى المرء ما له اليه ارتياح وهو ذكرى للحبايب ولم تزل الفضلاء في كل زمان والنبلاء في كل عصر واوان يتقربون الى خواطر مخاديمهم باحسن ما يؤلفون وابدع ما يصنفون فلا غرو في اهداء هذا الوضع البديع الى ذلك الجناب المنيع فان لكل جديد بهجة ولكل ناطق لهجة والخزف كلي عند الكريم والقليل جليل مع ملاحظة التعظيم وان كنت في ذلك كمن اهدى الزهر الى غصنه والقطر الى مزنه … مفرد

والبحر يمطره السحاب وماله … من عليه لانه من مائه

هذا وقد عرضت حكمة على لقمان واهديت جرادة الى السيد سليمان

صورة من النسخة « ب »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [آل عمران: ١٥٧] الحمد لله[١] الذي حبب إلينا المدينة، وجعلها من أفضل البقاع الأمينة فنحن من جوار هذا النبي الأمين. من حصن جمع بين شرقي المكان والمكين. أحمده على أن خصنا بملازمة بابه، والوقوف على أعتابه حمد من عرف أن الكل من عنده. ﴿وإن من شيء الا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] واني إذا لم أجتمع [بجناية][٢] أمر على أبوابه فأسلم وأشكره على نعمة الجوار. وجار الدار أحق بدار الجار. والجار محسوب على جيرانه جار الكريم مسامح من ذنبه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وسندنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه [وخليله] المبعوث بأشرف الأديان وأكمل الملل النبي المرسل. الكريم [المفضل][٣] المنادى من الأزل يا محمد. قد [اصطفيناك][٤] من الكتاب الأول فما

---

(١) الباء فيه قيل: إنها زائدة فلا تحتاج إلى ما تتعلق به، أو للاستعانة أو للمصاحبة متعلقة بمحذوف اسم فاعل خبر مبتدأ محذوف أو فعل أي: أؤلف أو أبدأ أو حال من فاعل الفعل المحذوف أي أبتدىء متبركًا ومستعينًا بالله أو مصدر مبتدأ خبره محذوف أي ابتدائي باسم الله ثابت. والله: علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وأكثر أهل العلم على أنه اسم الله الأعظم. والرحمن الرحيم: اسمان بنيا للمبالغة من رحم بتنزيله منزلة اللازم أو بجعله لازمًا ونقله إلى فعل بالضم. انظر القاموس المحيط للفيروزأبادي (٤/ ٢٩٢، ٣٤٤) نهاية المحتاج للشمس الرملي (١/ ١٦ ـ ٢٠).

(٢) افتتح المصنف ـ رحمه الله ـ بعد التيمن بالبسملة بحمد الله تعالى أداءً لحق شيء مما يجب عليه من شكر نعمائه التي تأليف هذا الكتاب أثر من آثارها واقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بخبر: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» وفي رواية «بالحمد لله» وفي رواية «بالحمد»، وفي رواية «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم» أخرجه أبو داود وغيره وحسنه ابن الصلاح وغيره. ومعنى ذي بال: أي حال يهتم به. وفي رواية للإمام أحمد: «ما لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر وأقطع».

انظر نهاية المحتاج للشمس الرملي (١/ ٢٤).

(٣) ثبت في ب [يجنى].

(٤) سقط من «ب».

(٥) ثبت في «ب» [اصفيناك].

أعظم قدرك عندنا وأفضل. آدم من دونه تحت لوائك يوم الأرض تبدل، لك الشفاعة واللوى[1] والحوض وكل من الأنبياء [يستغيث][2] لنفسه ويسأل فما أسعد من توسل به ونادى الشفاعة أيا من من الشفاعة المعول والشفاعة يا من يستغيث به [المكروب إذا ضاقت به الحيل][3] الشفاعة يا من قال له جبريل عليه السلام [هاأنت وربك][4] فدنا وتدلى والصلاة والسلام على من أبرز من [خدر الغيب شموس][5] معاني عباراته الزاخرة، واطلع من أفق المثاني أقمار [لطائف إشاراته][6] الفاخرة. اللهم انا نستوهبك [طيب][7] صلواتك وطيب تسليماتك بهذا السيد الذي زينت سماء معجزاته بكواكب خطابك الناقب ونشرت مناشير بنيانه من آفاق المشارق والمغارب ولمؤازريه الذين [نثروا][8] شمل أعدائه، ونظموا قواعده، صلاةً تكون لنا صلةً وبأجمل العوائد عائدة. اللهم صلي وسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآله [وأصحابه][9] والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [آمين][10].

أما بعد:[11]

فلما كانت المدينة الشريفة مسقط رأسي ورياضها الوريقة منبت غراسي بلاد بها ينطق على [تماه][12]. وأول أرض مس جلدي ترابها فلا برحت تزهو على الأفق بابها [ولا يهمى[13] في. . .][14] الرياض سحابها. وكيف لا فهي مهابط الوحي ومنازل النبوة ومساقط الكرم ومغارس الفتوة ومنارة النفوس والجواهر والرياض [الحسناء][15] بل الروضة الغناء [بادرتها][16] المواطن:

بلدة ما رأيتها قط إلا ... قلت هذي أرضي ومسقط رأسي

---

(1) في أ [يسأل].
(2) حديث الشفاعة: متفق عليه: أخرجه البخاري في التوحيد (١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) الحديث (٧٤١٠) ـ ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٠ ـ ١٨١) ـ الحديث (٣٢٢/ ١٩٣) وابن ماجه في الزهد (٢/ ١٤٤٢ ـ ١٤٤٣) ـ الحديث (٢/ ٤٣) والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣) ـ الحديث (١٢١٦٠) ـ (١٣٥٦٩).
(3) غير مقروء في «أ».
(4) سقط من «ب».
(5) سقط من «ب».
(6) في أ [لطائم المنارة].
(7) ثبت في أ، ب [صبب].
(8) ثبت في أ [نشروا].
(9) ثبت في ب [وصحبه].
(10) سقط من «ب».
(11) تسمى فصل الخطاب. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/ ٦٢).
(12) ثبت في أ [تماتمى].
(13) قال في القاموس: همى الماء والدمع يهمى هميًا وهميانًا والعين صبت دمعها. انظر/ القاموس المحيط للفيروزأبادي (٤/ ٤٠٤).
(14) ثبت في «أ» [ولا زال يهمني من].
(15) ثبت في ب [الحسني].
(16) ثبت في أ [باكرتها].

لست أشكر [بها][١] من العيش إلا ... أنـنـي لا أزال فـي جـلاسـي
[يـدنـو لـي][٢] مـع السـمـاحـة ومـا ... وهـو مـتـهـم يـزيـد مـن إيـنـاسـي
[فـتـهـادى][٣] فـي حـرزطـة مـقـيـم ... ومـسـائـي مـا بـيـن ورد وآسـي
يـا خـلـيـلـي مـن دون كـل خـلـيـل ... وأنـيـسـي مـن دون أهـلـي ونـاسـي
بـلـغ الـمـصـطـفـى بـهـا مـن سـلام ... وثـنـاء مـعـطـر الأنـفـاس
فـهـو سـؤلـي مـن الأنـام جـمـيـعًـا ... طـوق جـيـدي أمـنـيـتـي تـاج راسـي
لا [تـخـيـل][٤] الأيـام صـدق ولائـي ... واعـتـقـادي مـن طـيـب أصـل غـراسـي
فـعـلـى كـل مـن يـحـل بـنـاديـه ... وجـمـع الـرقـاق والـجـلاس
مـن آلـه الأنـام ألـف وألـف ... مـن سـلام تـام بـغـيـر قـيـاس

ولقد جاء [في][٥] الأثر عن سيد البشر «حب الوطن من الايمان»[٦]:

---

(١) سقط من «ب»

(٢) ثبت في ب هكذا [بدأ وإلى].

(٣) ثبت في ب [فتهارى].

(٤) ثبت في ب [تحيل].

(٥) سقط من «ب».

(٦) قال الحافظ العجلوني: قال الصاغاني: موضوع. انظر/ كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٤١٣).

قال الحافظ السخاوي: لم أقف عليه ومعناه صحيح. انظر/ المقاصد الحسنة (ص/ ١٩٥).

قال الحافظ العجلوني: ورد القاري قوله [ومعناه صحيح] بأنه مجيب قال: إذ لا تلازم بين حب الوطن وبين الإيمان. قال ورد أيضًا بقوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ - الآية، فإنها دلّت على حبهم وطنهم، مع عدم تلبسهم بالإيمان، أن ضمير عليهم للمنافقين، لكن انتصر له بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه لا يحب الوطن إلا مؤمن وإنما فيه أن حب الوطن لا ينافي الإيمان. أهـ.

قال الحافظ العجلوني: كذا نقله القاري ثم عقبه بقوله: ولا يخفي أن معنى الحديث حب الوطن من علامة الإيمان وهي لا تكون إلا إذا كان الحب مختصًا بالمؤمن، فإذا وجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة. قوله: [ومعناه صحيح] نظرًا إلى قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا﴾، فصحّت معارضته بقوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا﴾ - الآية. الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه أن يحمل على أن المراد بالوطن الجنة فإنها المسكن الأول لأبينا آدم على خلاف فيه أنه خلق فيها أو أدخل بعدما تكمل وأتم، أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة العالم، أو الرجوع إلى الله تعالى على طريقة الصوفية فإنه المبدأ والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أو المراد به الوطن المتعارف ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه، أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه، ثم التحقيق أنه لا يلزم من =

ومن المحبة نشر المحاسن — والتشبيب بذكر الأماكن
أعد ذكر من حل الغضايا معدني — وأنا [ضربوا][1] بالأضالع والصدر
لا تنس سكان العقيق وإن هم — على وجنتي أجدره في مدة [الهجر][2]

خطر ببالي. ولاح في خيالي. أن أذكر بعض محاسنها وأتعرض [لذكر بعض أماكنها واشبب باللوى والعقيق][3] والنقا والفريق طور. . . أيمان إذا لاقيت ذا يمن. وإن لقيت معديًا فعدناني وقد بدا لي أن يكون هذا المجموع البديع وصفه المنيع جمعه مبنيًا على مقالتين وخاتمة ومن الله تعالى المسئول حسن الخاتمة. فإذا تجلت شموسه وانجلت عروسه سميته الجواهر الثمينة. من محاسن [أهل][4] المدينة وبالله التوفيق محاسن تهدي المادحين لوضعها فيحسن فيها منهم النثر والنظم وإذا نفحته نوافح القبول من حضرة السيد الرسول وعوذت محاسن هذه الرسالة بالمرسلات وارتشف من زهر منثورها المطلول قطر النبات فالأولى بها حيث اشتملت على [أخبار][5] ديار المصطفى وهو في الحقيقة حبيب القلوب على الإطلاق وانبأت عن آثار أزهارها مآثر النبوة والصفاء ولا غرو أن تتأرج بهذه الأنفاس المدينة أرجاء الأفاق:

كرر حديثك مخطئًا ومصيبا — إن كان عهدك بالديار قريبا
فلقد رجعت إلى القلوب بروح ما — حدثت أرواحنا وقلوبا

= كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقًا بل يكفي غالبًا، ألا ترى إلى حديث حسن العهد من الإيمان وحب العرب من الإيمان مع أنهما يوجدان في أهل الكفران. اهـ. قال الحافظ السخاوي: ومما يدل لكون المراد به مكة ما روى ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من مكة فبلغ الحجفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة. قال: وللخطابي في غريب الحديث عن الزهري قال: قدم أصيل بالتصغير الغفاري على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من مكة قبل أن يضرب الحجاب فقالت له عائشة كيف تركت مكة؟ قال: اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها واغدق إذخرها وانتشر سلمها ـ الحديث، وفيه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حسبك يا أصيل لا تحزنيّ. وفي رواية «فقال له النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويهًا يا أصيل تدع القلوب تقر». انظر/ كشف الخفاء للعجلوني (١/٤١٣ ـ ٤١٤) المقاصد الحسنة للسخاوي (ص/ ١٩٥).

(١) ثبت في أ [أضرموه].
(٢) ثبت في ب [البحر].
(٣) سقط من «ب».
(٤) سقط من «ب».
(٥) سقط من «ب».

أن تلحظها عيون العناية الرحمانية. وتشملها سوابق الرعاية الصمدانية [فتندرج][1] في خزائن الملك المؤيد بالسعد فلا برح قائد اهتمامه المسدد بالتوفيق إلى أقوم طريق فلا زال رفيقه من رحيله ومقامه أو كما قال:

ملك كان الشمس ضوء جبينه ... متهلل [الإمساء[2]] والإصباح
وإذا حللت [ببابة][3] ورواقه ... فأنزل بسعد وارتحل بنجاح

أو كما قال:

ملك إذا عاينت نور جبينه ... فارقته والنور فوق جبيني
ولو التثمت[4] يمينه وبرزت من ... أبوابه لغم الأنام يميني

أعظم من تفخر الأساطين بتقبيل أعتابه وتتباهى السلاطين بخدمة أبوابه. أكرم من أنام الأنام في ظل عدله. وأحيا ميت الإعدام بوافر إحسانه وفضله. مظهر [آيات][5] الألطاف الربانية. مصدر أنوار العنايات الرحمانية. مطرح الأزهار الملكوتية. مسطمح الأنظار اللاهوتية باسط بساط العدل والانصاف. هادم أساس الجور والإعتساف. ناصر الشريعة القويمة [مالك][6] [المسالك][7] المستقيمة ظل الله تعالى الوريف الممتد على القوي والضعيف صاحب القرآن السعيد وإسكندر الزمان المديد، الذي أجار الآثام من جور الأيام وأسبل على الأمة سوابغ الكرم والنعمة الأقاليم بأقلامه، وأمنت الأيام من أيامه، ناشر ألوية العدالة والأمان الممتثل بنص ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠].

نادى به الملك حتى قيل ذا ملك ... دنا به العدل حتى قيل ذا بشر
سقى به الله دنيانا فأخصبها ... والعدل يفعل ما لا يفعل المطر

هو مولانا السلطان الأعظم. والخاقان المكرم، صاحب البند[8] والعلم والسيف والقلم. سلطان البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان [ابن السلطان][9] الملك المظفر المعان. مولانا السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن

---

(١) ثبت في «أ» [فنشد عرج].
(٢) غير مقروءة في «أ».
(٣) غير مقروءة في «أ».
(٤) أي شددت. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ١٧٤).
(٥) سقط من أ.
(٦) غير مقروءة في أ.
(٧) غير مقروءة في أ.
(٨) البند: العلم الكبير. انظر/ القاموس المحيط للفيروزأبادي (١/ ٢٧٩).
(٩) سقط من «ب».

السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن [بلدرم][١] السلطان مراد الغازي بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان خان عليهم الرحمة والرضوان من الرحيم الرحمن.

أولئك الناس إن عدوا وإن ذكروا ... ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خلد الدهر ذا عز لعزته ... كانوا أحق بتعمير وتخليد

اللهم أيد الإسلام وأعل كلمة الإيمان بدوام دولة هذا الملك الذي [أقيمت][٢] بدولته شعار الدين وأخمدت بصولته نار الملحدين وعمرت بأيامه البسيطة وجعلت ملائكة النصر برايته محيطة اللهم اجعل فروع دولته من أيامه الزاهية الزاهرة يانعة وبهجتها فوق مطالع البدور الباهية الباهرة طالعة وزد من شأنه عظمة وعلوًا واجعل الجوزاء دون منازل مقداره [عزّة][٣] وسموًا ما دامت حبول عزمه من ميادين الظفر سابقة ورياض [همه][٤] بعيون كرمه ناضرة باسقة وهمته العلياء في البأس والندى ومن الفضل لم تبرح مدى الدهر فائقة فإن براعة استهلاله زاد الله تعالى من جلاله برعت أولاً ببديع نظامه، ولم تتخلص من الحقيقة إلى مديح غيره ولا تكلمت إلا بحسن ختامه وحيث كانت الثريا أقرب تناولاً من ذلك المرام كما يقضي بصدق هذه الدعوى [عز][٥] شرف المقام.

[فيا دارها][٦] بالخيف ان [مزارها][٧] ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

وكان يقال تمني العلا سهل وإدراكه صعب ومن تجاوز حده تعرض بجميعه للعطب وكان يقال: أين الماء من السماء وأين موقع السيل من مطلع سهيل أين ورقاء العرش من عنق العرش. أين من فلك المعاني فلك الصورة. وأين من بحر اللآليء بحر الفكر وأين مطلع صباح البصائر من مطلع صباح الأبصار هذا أفق يتعاقب فيه شمس وقمر وذاك أفق كله شموس وأقمار ودون رسم الديار حد بسيوف. مانع من دنا لسجف خباء. [لا تخافوا][٨] فلو دنوت إليها أحرقتني أشعة الاحتواء، وبالجملة فما مزية التقرب

---

(١) سقط من «ب».
(٢) ثبت في أ [دامت].
(٣) ثبت في ب [عزًا].
(٤) ثبت في ب [همه].
(٥) ثبت في أ [عزة].
(٦) ثبت في ب [دارنها].
(٧) ثبت في ب [فرر بها].
(٨) ثبت في ب [لا تخافون].

إلى ابن داود برجل الجراد. والتسحب على البحور [بأوشاذ][1] التماد. وكيف أعرض على روح القدس وحيًا. واجلب إلى صنعاء اليمن وشيًا أم كيف أخلع [ربقة][2] النهى. وأقابل بين البدر والسهى. أين الهباء من [البهاء][3] وأين الأغبياء من النبهاء وحيث وقفت الأماني دون تلك المآرب لعزة هاتيك المطالب. وقلت لأصحابي: هي الشمس [ضوؤها][4] قريب ولكن من تناولها بعد. فلتكن خدمة بخزانة مولى لا زالت عتبته العلية كعبة فضل يقول عليها وسدته السنية مدينة علم يهاجر إليها ولا برحت [وفود][5] العلماء عاكفة بناديه [وألسنة][6] الرجاء من آفاق الثناء تناديه. بسلام فواتح أشواقه. نفر [من][7] بهيج الأزهار، وفواتح أوراقه أعطر من أريج الأشجار. مشفوعًا بدعاء يقرع أبواب الإجابة بأنامل الرجاء [وثناء][8] يملأ بطيب أرجه سائر [الأرجاء][9].

أبلج لا يخجل راجي فضله ... ولا يرى الوصمة في سؤاله

أكفه على العطاء قد طبعت ... والطبع لا يطمع من انتقاله

سلني به يا من يساميه أقل ... هذا مجال لست من رجاله

هو مولانا وأحد العلماء وماجد العظماء. ابن عباس العلوم محرر المنطوق والمفهوم، إياس القضاة [ركنًا][10] وزهادة] وأويس الزمان عفة وسهادة. مجمع المفاخر. [والألقاب الفواخر][11] المحقق دعوى كم ترك الأول للآخر؟

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ... ملأ المسامع والأفواه والمقل

أكرم به من قاض تشرفت بأحكامه الشريفة، مصر المحروسة وما والاها واستوفى المستحق بها من ذمة الزمان ديونه إذ تولاها، فلله إمداد نعمه، ومداد قلمه، إذ لم يشكل أمر الإنزال برؤس الأنامل إبهامه ورد الضلالة بحسن تدبير إلى أهلها وزودهم بالكرامة إنعامه فكيف لا وهو القائل فيه بعض واصفيه:

هنيئًا لمصر إذ حوت قاضيًا حوى ... كمالاً على تفضيله انعقد النص

فلو مثلت كتب النحاة بنعته ... لما جاز أن يجري على نعته النقص

---

(١) ثبت في أ [بأرشال].
(٢) ثبت في ب [ريقه].
(٣) ثبت في ب [الهبا].
(٤) ثبت في ب [ضويها].
(٥) ثبت في ب [وقواد].
(٦) في أ هكذا [إلي لسنة].
(٧) ثبت في أ [منه].
(٨) في أ [وثناءه].
(٩) ثبت في أ [الأزهار].
(١٠) ثبت في أ [زكنًا وإفادة].
(١١) سقط من «أ».

فهو الغني عن الإطناب بالألقاب   والمستغني بأوصافه الحسان

عن ترجمان البيان [المحفوظ][1] الملحوظ بعناية المعيد المبدي مولانا شعبان أفندي [لا زال صدر][2] المعالي بمكانه من انشراح وفوائد وقلائد معاليه من أبهى وشاح. ولا برح الزمان ينفذ ما صدر من قضائه وحكمه. والله تعالى يزيده بسطة من علمه وجسمه. مصيبًا به الأغراض من مرامي المرام، محسنًا مطابقته [البديعية][3] من النقض [والإبرام][4] فإنه أعز الله تعالى ذاته، وأطال وأطاب حياته، لا جملة من أخباره إلا ولها محل من الإعراب عن المقصد الجليل، ولا ضمير إلا وهو من اعتقاده على النحو القديم والرأي الجميل.

[وما ألطف ما قال]:

فلا زال ميمون اليمين بهمة   تعلمنا بالفعل كيف نقول

هذا ولما كان من لازم من تمسك بأهداب الآداب اطلاع مواليهم على محاسن ما يستطاب. [وما زالت][5] الألسنة طائرة والعادة جارية بإهداء النفائس إلى النفيس من المرؤس إلى الرئيس.

وأحسن ما يهدي إلى المرء ماله   إليه ارتياح وهو ذكرى الحبائب

ولم تزل الفضلاء من كل زمان، والنبلاء من كل عصر وأوان يتقربون إلى خواطر [مخاديمهم][6] بأحسن ما يؤلفون وأبدع ما يصنفون.

فلا غرو من إهداء هذا الوضع البديع إلى ذلك الجناب [البديع][7] فإن لكل جديد بهجة ولكل ناطق لهجة. والجزئي كلي عند الكريم والقليل جليل [مع][8] ملاحظة التعظيم، وإن كنت من ذلك كمن أهدى الزهر إلى غصنه والقطر إلى مزنه. والبحر مطره السحاب وماله منٌّ عليه لأنه من [مائه][9]. هذا ولقد عرضت حكمة على لقمان مديت جرادة إلى حضرة السيد سليمان.

قال بعضهم من صدر كتاب له: ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه وتعضد

---

(١) ثبت في ب [المحظوظ].

(٢) ثبت في ب [لأن الصدر].

(٣) في ب [في النقص].

(٤) في ب [والأبوام].

(٥) في ب [ولا زالت].

(٦) في أ [مخاديهم].

(٧) ثبت في ب [المنيع].

(٨) في ب [عند].

(٩) في ب [هاله].

الشكر وتساعفه. أحببت أن أهدي إليه هدية فائقة تكون من سوق [فضائله نافقة][١] فلم أجد إلا العلم الذي شغفه حبًا والحكم التي لم يزل لها صبا. والأدب الذي اتخذه كسبًا ورأيت فإذا التصانيف من كل فن لا تحصى. والأمالي من سطور العلماء وطروس[٢] الحكماء أوسع دائرة من أن تستقصى، إلا أن التأنق من التحبير من قبيل إبراز الحقائق في الصور ولكل جديد لذة ولا خلاف من ذلك عند أهل النظر رحمهم الله تعالى.

ما كان من حمل اليراع بكاتب ... خطا يباري بهجة وبيانا

أخذ العصا بالكف ليس بمعجز ... الشأن من تحويلها ثعبانا

وكان يقال: الوضع وضعان: وضع له افتخار ووضع له تجار.

وحسن التأليف مواهب ... وللناس مما يعشقون مذاهب

ومعلوم أن الجنون فنون ... وكل حزب بما لديهم فرحون

وقد يلام الغني من الشيء يصنعه ... وليس يلحقه لوم إذا تركه

هذا مع اعترافي بأني من فنون الذوق قليل البضاعة ومن شجون الشوق كليل الصناعة ولكن دأبي التقاط درر العبارات من حياض العلماء وديدني أخذ غرر الإشارات من عياض الحكماء فهو لسان إخوان الصفاء لا لساني وبيان خلان الوفاء لا بياني.

كمن يجد وليس له بعير ... ومن يرعى وليس له سوام

ومن يسقى وقهوته شراب ... ومن يدعو الضيوف [ولا][٣] حكام

وبالجملة فإن المرء ما بين هاج ومادح ومنتصر وقادح:

على أنني لم أخل من حاسد ومن ... عدو ولكني له باسط العذرى

وهذه بنات فكر عاجز وبينات ذهن بينه وبين المعاني حاجز قد ترهبت إما من الكساد [فليست][٤] من المداد مستحًا أو من الوجل فجاءت تمشي على استحياء صفحًا وقد أطاع القول على هذا العذر المنصوص. وأبت كؤوس المعاني إلا أن ترقص بما فيها رقص القلوص.

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنت

---

(١) سقط من ب.

(٢) التطريس: تسويد الباب وإعادة الكتابة على المكتوب. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٢٢٦).

(٣) ثبت في ب [وليس].

(٤) ثبت في أ [فلبست] بالموحدة التحتية.

ومن وقف على تحقيق هذا الكلام. أنشد من تصديق هذي الدعوى إذا قالت حذام وإن كنت فيما أعاينه أتعوض عن الجوهر بالخرز وأكتفي عن المعاني الجليلة بما هو سداد من عوز. لكنني ممن يعرف [الدرر وان][1] لم يملكه، وينقل التبر وإن لم يسبكه. ولقد جاء بعناية الله تعالى ونظره السعيد نزهة للنظر. هذا وإن السعادة كما يقال [لتلحظ][2] الحجر.

فكأنه من حسن رقة لفظه	ذكرى حبيب فاق كل حبيب
ماشيق إلا صريع عنده	ولشعره يشتاق كل لبيب

[فليكن][3] كتابًا بسببه ذكره الشريف يؤرخ، وكافور القرطاس بغالية أوصافه من معناه يضمخ:

ما تنسخ الأيدي يبيد وإنما	يبقى لنا ما تنسخ الأقلام

فقد أسارت شفاه الليالي بقايا وأخلفت بواسق النخيل ودايا وعلى [رفيق][4] خزا من بادية العربية من عضاضة دولة الإسلام. واقيًا لهم على الوردة الفارسة. في حدائق الكلام مآدب تغزو الروح وتهز العطف المروح إفادتها ميامن المستجن بطيبه طيبًا فسدت بها [اوكية][5] النطق على فنن اللسان رطيبا.

وأتى على ما في من حضرته	ليعجبني ظل [حتى][6] المشرع

وقد استقرت العزيمة على الاكتفاء. بغيض من فيض. وطل من وبل ونهر من بحر. إذ كل [كتيره][7] عدو للطبيعة. وراكب سهوب الاسهاب مستهدف للوقيعة. وإنما يحمد المرء من اختصار [القيل][8] وإلقاء القول الثقيل أوجزت جمعي ومن الايجاز فائدة وللكرام من التطويل تصديع. على أني لا أزعم أنه جمع سلامه. ولا أدعي انه صنيع فاضل يستحسنه النبيه والعلامة وإلا فوحي البلاغة من بعد لم تنقطع وسلوك طريق الايجاز أصلاً ورأسًا لم يمتنع. ومن لي بخلو البال واستقامة الحال. ومعاضدة الزمن الغشوم. بانتفاء الهموم والشواغل [ومساعدة][9] القدر بكف أذى اللئام والأرذال فأخذ من مصنوع الكلام وانني على ذلك المقام. وكيف تصفو القريحة وصفاء الوقت يكدر. وسبيل المحن من أعلى الروابي تحدر. مع أني من زمن تشابه فيه الضاحك والباكي.

---

(١) ثبت في أ [بالدوران].
(٢) في أ [لتلحظ].
(٣) ثبت في ب [فليكنى].
(٤) في ب [رفيق].
(٥) ثبت في أ [أيكية].
(٦) في أ [الخبا].
(٧) في أ [كبيرة].
(٨) في أ [القتيل].
(٩) في أ [وما عقدة].

وقل به الشاكر وكثر الشاكي وفيما رفعت إليه من المضايق وحال دون أمالي من العوائق. ما يرتج به الكلام على الفصيح ويشتبه الصواب على الحازم المسيح.

فإن اعترافي بالتأخر حيث لا ... يقدمني فضل أجل وأرجح[1]

وما أصدق ما قال:

إذا كان عون الله للمرء فائدا ... تهيأ له من غير سعي مراده

وإن لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه إجتهاده

وأنا اعترافي بالتأخير حيث لا ... يقدمني فضل أجل وأرفع[2]

وكأني بالحواسد والعذال، نسبوني من ذلك إلى المحال وقال قائلهم مادح نفسه يقريك السلام. فأقول نعم ويهدي من التحية والثناء ما تتأرج به الرياض باكرتها الغمام [ومن هاهنا نشرع من المراد][3] والله الموفق للسداد وعلى كرمه التعويل. وبواسطة لطفه التأميل.

مسئلة[4]: المدينة من [مدن][5] بالمكان أقام[6]، أو من دان إذا أطاع فالميم زائدة وذلك لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها، أو لأن الله تعالى يطاع فيها أو لأنه عليه السلام يسكنها فدانت له الأمم. وهي أبيات مجتمعة تجاوز حد القرى [كثرة][7] وعمارة لم تبلغ حد الأمصار وقيل يقال لكل مصر، والمدينة علم على طابة مهاجر رسول الله ﷺ بحيث إذا اطلق هذا اللفظ لا [ينصرف][8] إلا إليها والنسبة إليها «مدني» وإلى غيرها من المدن مديني للفرق كذا في الوفاء.

مسئلة: المدينة من الأقليم الثاني وهو حيث يكون طول النهار الأطول ثلث عشرة ساعة ونصف ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيه مقدار أربعة وعشرين جزء وعشر جزء ومساحة هذا الإقليم أربعمائة ميل وفيه سبعة عشر جبلاً وسبعة عشر نهرًا وأربعمائة وخمسين مدينةً كذا في الخطط للمقريزي.

---

(١) سقط من «ب».

(٢) في هامش «ب» هذا البيت مقدم.

(٣) سقط من «ب».

(٤) المسئلة لغة: السؤال. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٣٩٢). وعرفًا مطلوب خبري يبرهن عليه في العلم. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/ ٦٢).

(٥) ثبت في أ هكذا [مسدن].

(٦) قال في القاموس: مَدَنَ أقام فعل ممات ومنه المدينة للحصن يبنى في أصطمّة أرض.

انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٢٧٠).

(٧) في ب [كثيرة].

(٨) في ب [يصرف].

مسئلة: دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وذلك عن ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع جبل على نقطة [من][١] الأرض وأدير الجبل على الكرة حتى انتهى الطرف الآخر إلى نقطة الابتداء كانت مساحة الجبل العدد المذكور وكل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلثا ميل [فإذا ضربنا عدد درج الفلك من ستة وستين ميلاً وثلثي ميل][٢] كانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وصحرء [سجار][٣] ووطاءة الكوفة من الأراضي [المتساوية][٤] انتهى من كتاب سر الفلك.

مسئلة: أعظم جبل على وجه الأرض ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ ونسبة ارتفاعه إلى كرة الأرض سبع [عرض][٥] شعيرة إلى كرة قطرها ذراع وغاية ما يرتفع الطير في الهواء اثني عشر فرسخًا وتنقطع الكيفيات من وراء ثمانية عشر فرسخًا ولا يخلو وجه الأرض المعمور من [المشرق][٦] من وقت إبداء فالوقت الواحد يكون شروقًا عند قوم زوالاً عند غيرهم غروبًا عند آخرين وأصغر كوكب يرى من الثوابت كالسيها أكبر من زحل وزحل مثل الأرض إحدى وتسعين مرة والنجم تستصغر الأبصار رؤيته، والذنب للعين لا للنجم في الصغر.

مسئلة: ان قيل تقرر من الشرع ومن علم الهيئة أن الأرضين سبع كالسموات فلم لم يذكر في الكتاب العزيز إلا الأرض؟.. الجواب أنه عليه السلام «رقي إلى السموات السبع»[٧] فلتشرفها به ذكرت أو لأن الانتفاع من أرض الدنيا فقط بناء على أنها طبقات ولم يتشرف به غيرها ومن كتاب «المواهب اللدنية» قد جاء أن السموات شرفت بموطىء قدميه ﷺ، بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرقها بكونه ﷺ حالاً فيها لم يبعد بل هو الظاهر المتعين وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووي: الجمهور على تفضيل السماء على الأرض ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة.

مسئلة: هل للمدينة حرم كما بمكة أم لا؟ الجواب أنها ليست بحرم عندنا والمراد

---

(١) سقط من «ب».
(٢) سقط من «ب».
(٣) ثبت في ب [سنجار].
(٤) في أ [المساوية].
(٥) في ب [عرضي].
(٦) في ب [الشمس].

(٧) رقية ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أخرجه: البخاري في الأنبياء (٦/ ٤٣١) ـ الحديث (٣٣٤٢). ومسلم في الإيمان (١/ ١٤٥) ـ الحديث (٢٥٩/ ١٦٢) ـ (١٦٣/ ٢٦٣). والإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٧٢ ـ ١٧٣) ـ الحديث (٣٢٦).

من الوارد الحرمة الحاصلة لها بتوطينه عليه السلام إياها ودفنه فيها ومعنى حرمت أوجبت حرمتها وحماها بإقامتي فيها فصارت حمى محروسًا من الآفات كما ورد «عن كل نقب[1] منها ملك يحرسها»[2] ولذا يصرف عنها الدجال ويؤيده انه كان صغير بالمدينة وكان عليه السلام يقول له: «يا أبا [عمير][3][4] فافعل النغير[5][6]» فلو كانت كمكة لما جاز ذلك» انتهى من كتاب زهر البساتين قال الملا على القاري من شرح لباب المناسك وعباب المسالك عند قوله وإذا دنا من [حرم][7] المدينة المشرفة أي حولها من الأماكن المحترمة إذ لا حرم للمدينة عندنا كحرم مكة من أحكامها.

قلت: وفيما ورد من الأحاديث من ذلك ما يقضي للمدينة المنورة بأنها حرم

---

(١) النقب: بفتح النون والقاف بعدها موحدة. قال ابن وهب: المراد بها المداخل. وقيل: الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين. وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس ومنه قوله تعالى: ﴿فنقبوا في البلاد﴾. انظر/ فتح الباري (٤/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ١١٤) ـ الحديث (١٨٨١). ومسلم في الفتن (٤/ ١٢٦٥) ـ الحديث (١٢٣/ ٢٩٤٣). والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤١) ـ الحديث (٢٠٣٧٠). والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٧).

(٣) قال الحافظ: هو بالتصغير، وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند الإمام أحمد «كان لي أخ صغير»، وهو أخو أنس بن مالك من أمه ففي رواية المثنى بن سعيد المذكورة «وكان لها أي أم سليم ابن صغير» وفي رواية حميد عند الإمام أحمد «وكان لها من أبي طلحة ابن يكنى أبا عمير»، وفي رواية مروان بن معاوية عن حميد عند ابن أبي عمر «كان بني لأبي طلحة»، وفي رواية عمارة بن زاذان عن ثابت عند ابن سعد «أن أبا طلحة كان له ابن قال أحبه فطيمًا». انظر فتح الباري (١٠/ ٥٥٩).

(٤) ثبت في أ [عمر].

(٥) بنون ومعجمة وراء مصغر، وهو طير صغير واحدة نغرة وجمعه نغران. قال الخطابي: طوير له صوت. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، فإنه ورد في بعض طرقه أنه الصعو بمهملتين بوزن العفو كما في رواية ربعي: «فقالت أم سليم ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال: أي أبا عمير مات النغير» فدل على أنهما شيء واحد، والصعو لا يوصف بحسن الصوت.
قال الشاعر:
كالصعو يرتع في الرياض وإنما ... حبس الهزار لأنه يترنم
قال القاضي عياض: النغير طائر معروف يشبه العصفور. وقيل: هي فراخ العصافير. وقيل: هي نوع من الحمر بضم المهملة وتشد يد الميم ثم راءه قال: والراجح أن النغير طائر أحمر المنقار. قال الحافظ ابن حجر: قلت: هذا الذي جزم به الجوهري. قال: وقال صاحب «العين والمحكم»: الصعو صغير المنقار أحمر الرأس. انظر/ فتح الباري (١٠/ ٦٠٠).

(٦) ستأتي في الآخر محمد فارس.

(٧) سقط من ب.

كمكة[1] من أحكامها[2] فقد أطال الكلام على ذلك السيد السمهودي في تاريخه الوفاء.

وأنشد عليه بعضهم:

إن المدينة لا يشك كمكة   حرم ولكن بالنبي تفضل

فهي الأمان لخائف ولعاكف   فيها معاش ليس فيه معضل

---

(١) قال الشيخ النووي: فرع: في بيان الأحاديث الواردة في بيان حرم المدينة: منها: عن الخليفة علي ـ عليه السلام ـ مرفوعًا: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور» أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية للبخاري «ما بين عائر إلى...» كذا. قال أبو عبيد وغيره من العلماء: عير ويقال له عائر جبل معروف بالمدينة قالوا: وأما ثور فلا يعرف أهل المدينة بها جبلاً يقال له ثور، وإنما ثور جبل بمكة قالوا: فنرى أن أصل الحديث ما بين عير إلى أحد ولكنه غيره غلط الرواة فيه واستمرت الرواية. وقال أبو بكر الحازمي في كتابه المؤتلف في الأماكن: الرواية الصحيحة ما بين عير إلى أحد. قال: وقيل: إلى ثور. قال: وليس له معنى. هذا كلامهم في هذا الحديث، ولا يبعد أن الجبل كان يسمى ثورًا ثم هجر ذلك الاسم. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا: «ما بين لابتيها حرام» متفق عليه واللابتان الحرتان تثنية لابة هي الأرض الملبسة حجارة سوداء والمدينة بين لابتين في شرقها وغربها. وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: إني حرمت ما بين لابتي المدينة كما حرم إبراهيم مكة» أخرجه مسلم. ثم قال: وعن عدي بن زيد الخزاعي الصحابي قال: «حمى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كل ناحية من المدينة بريدًا بريدًا لا تخبط شجرة ولا تعضد إلا ما يساق به الجمل». أخرجه أبو داود بإسناد غير قوي. قال الشيخ النووي: «فالحاصل أن حرم المدينة ما بين جبليها طولاً وما بين لابتيها عرضًا». انظر/ شرح المهذب (٧/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩).

(٢) قال الشيخ ابن الجوزي: صيد المدينة وشجرها محرم وهو قول مالك والشافعي وأحمد. وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة: ليس بمحرم. واختلفت الرواية عن أحمد هل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء أم لا؟ فروى عنه أنه لا جزاء فيه وبه قال مالك. وللإمام الشافعي قولان كالروايتين. وإذا قلنا بضمانه فجزاؤه سلب القاتل يتملكه الذي سلبه. ويفارق مكة في أن من أدخل إليها صيدًا لم يجب رفع يده عنه، ويجوز له ذبحه وأكله، ويجوز أن يؤخذ من شجرها ما تدعو الحاجة إليه للرحل والوسائد، ومن حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف حرم مكة. انظر/ مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي ـ قيد الطبع بتحقيقنا. محمد فارس ـ شرح المهذب (٧/ ٤٨٠ ـ ٤٨١). المغني (٣/ ٣٥٤) ـ فتح الباري (٤/ ١٠٠). صحيح: أخرجه البخاري في الأدب (١٠/ ٥٤٣) ـ الحديث (٦١٢٩). ومسلم في الأدب (٣/ ١٦٩٢ ـ ١٦٩٣) ـ الحديث (٣٠/ ٢١٥٠). والترمذي في البر والصلة (٤/ ٣٥٧) ـ الحديث (١٩٨٩). وأبو داود في الأدب (٤/ ٢٩٤) ـ الحديث (٤٩٦٩). وابن ماجه في الأدب (٢/ ١٢٢٦) ـ الحديث (٣٧٢٠).

وفي الصحيح اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت ما بين لابتيها»[1][2].

وعلى القول بأنها حرم فهي بريد من بريد وذلك ما بين عير إلى ثوربيان يحدها من الجنوب إلى الشمال وهما مأزماها وما بين لابتيها أي حدتيها الشرقية والغربية.

ونظم ذلك من قال:

حـرم الـمـديـنـة حـده فـيـمـا حـكـوا	عـيـرًا وثـورًا قـبـلـة وشـمـالا
والـلابـتـان تـحـدهـا يـاذا الـنـهـى	شـرقًـا وغـربًـا فـاعـتـمـده مـقـالا

مسئلة: صح أنه عليه الصلاة والسلام التفت إلى المدينة الشريفة وقال: «إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك»[3].

---

(١) وقع في حديث جابر عن الإمام أحمد «وأنا أحرم المدينة ما بين حرتيها» قال الحافظ ابن حجر: فادعى بعض الحنفية أن الحديث مضطرب لأنه وقع في رواية «ما بين جبليها»، وفي رواية «ما بين لابتيها» وفي رواية «مأزميها». وتعقب بأن الجمع بينهما واضح، وبمثل هذا لا ترد الأحاديث الصحيحة، فإن الجمع لو تعذر أمكن الترجيح. قال: ولا شك أن رواية «ما بين لابتيها» أرجح لتوارد الرواة عليها، ورواية جبليها لا تنافيها فيكون عند كل لابة جبل أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال وجبليها من جهة الشرق والغرب وتسمية الجبلين في رواية أخرى لا تضر. وأما رواية مأزميها فهي في بعض طرق حديث أبي سعيد، والمأزم بكسر الزاي المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه. قال: واحتج الطحاوي بحديث أنس في قصة أبي عمير ما فعل النغير قال: لو كان صيدها حرامًا ما جاز حبس الطير. وأجيب: باحتمال أن يكون من صيد الحل. قال الإمام أحمد: من صاد من الحل ثم أدخله المدينة لم يلزمه إرساله لحديث أبي عمير وهذا قول الجمهور. قال الحافظ: لكن لا يرد ذلك على الحنفية لأن صيد الحل عندهم إذا دخل الحرم كان له حكم الحرم، ويحتمل أن تكون قصة أبي عمير كانت قبل التحريم. ثم قال الحافظ: وقال الطحاوي: يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الهجرة كانت إليها فكان بقاء الصيد والشجر مما يزيد في زينتها ويدعو إلى ألفتها كما روى ابن عمر «أن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نهى عن هدم آطام المدينة» فإنها من زينة المدينة فلما انقطعت الهجرة زال ذلك. قال الحافظ: وما قاله ليس بواضح لأن النسخ لا يثبت إلا بدليل، وقد ثبت على الفتوى بتحريمها سعد وزيد بن ثابت وأبو سعيد وغيرهم كما أخرجه مسلم. انظر/ فتح الباري (٤/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأنبياء (٦/ ٤٦٩) ـ الحديث (٣٣٦٧). ومسلم في الحج (٢/ ٩٩١) ـ الحديث (٤٥٦/ ١٣٦١). والترمذي في المناقب (٥/ ٧٢١) ـ الحديث (٣٩٢٢). والإمام مالك في الموطأ في الجامع (٨٨٩١٢) ـ (١٠). والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٧٤) ـ الحديث (١٧٢٧٧).

(٣) رواه العباس بن المطلب مرفوعًا أخرجه: أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط كما في المجمع وقال: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه الناس، وبقية رجال أبي يعلى ثقات قال: وله طريق في الأدب. انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ٣٠٢) ـ تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٩).

وقال بعضهم: قلت هنيئًا لأهلها فإنهم برآء من الشرك بشهادة.

[قال بعضهم هذا][1]:

هذا الأثر. وبشرى لهم بتسميتها «دار الأبرار» ودار الأخيار والعاصمة والمرحومة والمرزوقة. والناجية. والمقدسة والجابرة ودار السلامة.

أسامينا لم تزده معرفةً ... وإنما لذةً ذكرناها

وبالجملة فإن فضل المدينة لا ينكر ومحاسنها الغراء لا تحصى ولا تحصر وجيران صاحب «الحوض والكوثر»[2] «المغفور له من ذنبه ما تقدم وما تأخر»[3] على يقين إن شاء الله تعالى من السلامة في المعاد وثقة بالكرامة في يوم الأشهاد.

وما أحسن ما قال:

تلك دار إن لم تكن هي ... ذات النفس مني فإنها [مشتهاها][4]

لو تمكنت أن [أقضي][5] بها ... [العمر][6] جميعًا لما قصدت سواها

وما أحسن ما قال الشيخ محمد البكري:

دار الحبيب إخوان تهواها ... ونحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بزورة ... يا ابن الكرام عليك أن [تغشاها][7]

فلا أنت أنت إذا [حللت][8] بطيبة ... وظللت ترتع في ظلال رباها

عنا الجمال مني الخواطر والتي ... سلبت عقود العاشقين خلاها

لا تحسب المسك الزكي كتربها ... هيهات أين المسك من رباها

طابت فإن تبغ التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لم تراها

وأبشر ففي الخبر الصحيح مقرر ... أن الإله بطابة سماها

---

(١) سقط من «أ».

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (١/ ٣٠٠) ـ الحديث (٥٣/ ٤٠٠). وأبو داود في السنة (٤/ ٢٣٧) ـ الحديث (٤٧٤٧). والبيهقي في البعث والنشور (ص/ ١١٠ ـ ١١١) ـ الحديث (١١٤).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ٤٤٨) ـ الحديث (٤٨٣٦ ـ ٤٨٣٧). ومسلم في المنافقين (٤/ ٢١٧٢) ـ الحديث (٨١/ ٢٨٢٠). والإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٢٩) ـ الحديث (٢٤٨٩٨).

(٤) في ب [مستهاها].

(٥) في ب [أحضى].

(٦) في ب [الفجر].

(٧) في ب [تغسّاها].

(٨) في أ [حلت].

واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها

لا كالمدينة منزل وكفى لها ... شرفًا حلول محمد بفناها

حظيت بهجرة خير من وطىء الثرى ... وأجلهم قدرًا فكيف تراها

كل البلاد إذا ذكرت كأحرف ... من اسم المدينة لا خلت معناها

حاشى [مسمى][1] القدس فهى قريبة ... منها ومكة إنها إياها

لا فرق إلا أن ثم لطيفة ... منها بدت يجلو الظلام سناها

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكا مأواها

وبهذه ظهرت مزية طيبة ... فعدت وكل الفضل في مغناها

حتى لقد خصت بروضة جنة ... الله شرفها بها وحباها

ما بين قبر للنبي ومنبر ... حي الإله رسوله وسقاها

هذي محاسنها فهل من عاشق ... قلق شحيح باخل بنواها

إني لأرهب من توقع بينها ... فيظل قلبي موجعًا أواها

[ولقلما][2] أبصرت حال مودع ... إلا رثت نفسي له وشجاها

فلكم أراكم قافلين جماعة ... من [أمر][3] أخرى طالبين سواها

قسمًا لقد أذكى فؤادي بينكم ... نارًا وفجر مقلتي [أمواها][4]

إن كان أعجزكم طلاب فضيلة ... فالخير أجمعه لدى مثواها

أو خفتم ضررًا بها فتأملوا ... بركات بلغتها فما أزكاها

أف لن يبقى الكثير لشهوة ... ورفاهة لم يدر ما عقباها

والعيش ما يكفي وليس هو الذي ... يطغى النفوس ولا خسيس مناها

يا رب أسأل منك فضل قناعة ... بيسيرها أو [تحببا][5] لحماها

ورضاك عني دائمًا ولزومها ... حتى توافي مهجتي أخراها

فإن الذي أعطيت نفسي سؤلها ... وقبلت دعوتها فيا بشراها

بجوار أوفى العالمين بذمه ... وأعز من بالقرب منه يباها

من جاء بالآيات والنور الذي ... داوى القلوب من العمى فشفاها

---

(١) في ب [مسلمى].

(٢) في أ [ولعلما].

(٣) في ب [إثر].

(٤) في ب [أتواها].

(٥) في ب [تحنيا].

أولى الأنام بخطة الشرف التي ... تدعي الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون سر وجوده ... [يسّ][1] إكسير المحامد طَه

حسبي فلست أفي بذكر صفاته ... ولو أن لي عدد الحصى أفواها

كثرت محاسنه وأعجز حصرها ... فغدت وما تلقى لها أشباها

إني اهتديت من الكتاب بآية ... فعلمت أن علاه ليس يضاها

ورأيت فضل العالمين محددا ... وفضائل المختار لا تتناها

كيف السبيل إلى تقصي مدح من ... قال الإله له وحسبك جاها

إن الذين يبايعونك إنما ... فيما تقول يبايعون الله

هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشأته الكريمة واها

صلوا عليه وسلموا فبذلكم ... تهدى النفوس لرشدها وغناها

صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته أتماها

وعلى الأكابر إله سرج الهدى ... أحبب بعترته ومن والاها

وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلى عصابته التي زكاها

أعني الكرام أولى النهى أصحابه ... فئة التقى ومن أهدى بهداها

والحمد لله الكريم وهذه ... نجزت وظني أنه يرضاها

(١) ثبت في ب [ليس].

[المقالة][1] الأولى

فيما يتعلق بالمكان ويشتمل على أبواب. هي بالقبول إن شاء الله تعالى مفتحة لأولى الألباب.

أبـواب إقـبـال تـفـتـح بـالـهـنـا ... أيـام شـعـبـان لـهـا أبـان
قـال الـزمـان وقـد رأى إقـبـالـهـا ... يـا لـيـت دهـري كـلـه شـعـبـان

باب: فيما تميزت به المدينة الشريفة عما سواها، وذكر بعض محاسنها التي يطرب لها المحب ويرضاها، ولا أتعرض لحصر ألقابها فيعترض دونها الحصر، بل كحضور الملاح لرشاقتها تختصر [شعر][2]

أمليـانـي حـديـث مـن سـكـن الـجـزع ... ولا تـكـتـبـاه إلا بـدمـعـي
فـإنـنـي أن أرى الـديـار بـطـرفـي ... فـلـعـلـي أرى الـديـار بـسـمـعـي

ومن أحسن محاسنها السنية: إشتمالها على البقعة التي انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع، وإن كان صلوات الله وتسليماته على فروعه وأصوله روح وجود الكائنات وسر الموجود جلية وجميلة.

لا تـقـل دارهـا[بـشـرقـي][3][4] تـجـد ... كـل نـجـد لـلـعـامـريـة دار
ولـهـا [قـنـن][5] عـلـى كـل بـنـآء ... وعـلـى كـل دمـنـة[6] آثـار

وما أحسن ما قال:

أحـن إلـيـه وهـو قـلـبـي وهـل تـرى ... سـواي أخـا وجـد يـحـن لـقـلـبـه
ويـحـجـب طـرفـي عـنـه إذ هـو نـاظـري ... ومـا بـعـده إلا لإفـراط قـربـه

---

(١) سقط من «أ».
(٢) سقط من «ب».
(٣) في ب [شرقي].
(٤) في أ [منزل].
(٥) جمع قنة وهو: الجبل الصغير. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٢٦١).
(٦) الموضع القريب من الدار جمعها دمن. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٢٢٣).

وقال آخر:

أمــر لــه وبــه ومــنــه تـعـيـنـت — أعـيـانـنـا ووجـودنـا الـمـتـلـبـس
وحـقـيـقـة طـوت الـبـعـيـد خـرامـة — نـجـد ولـيـت [ألـقـاب][1] طـي الـعـس
ووراء ذلـــك ولا أشـــيـــر لأنـــه — ســر لــســان الــنـطـق عـنـه أخـرس

وقال:

وجـود غـيـرك يـأكـل الـمـنـى عـدم — وأي غـيـر وأنـت الـكـل لـو عـلـمـوا
هام الورى بمعان [فيك][2] قد جمعت — وكـلـهـم لـك عـشـاق ومـا فـهـمـوا

ومن محاسنها أن سائر بلاد الإسلام [فتحت][3] بالسيف. وافتتحت حصن بالقرآن العظيم، وأنه يبعث [منها][4] أشراف هذه الأمة يوم القيامة. على ما نقله القاضي عياض من المدارك عن مالك.

ومن محاسنها «تحريكه عليه السلام دابته عند قدومه إليها إذا أبصر منازلها[5] ودعاؤه لها بالبركة»[6][7]. وقوله: «غيروا فقد سبق المفردون»[8].

---

(١) في ب [الغابي].
(٢) في أ [قبل].
(٣) في أ [افتتحت].
(٤) سقط من ب.
(٥) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ١١٧) ـ الحديث (١٨٨٦). والترمذي في الدعوات (٥/ ٤٩٩) ـ الحديث (٣٤٤١). والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣١٥) ـ الحديث (٢٠١١).
(٦) استدل به عن تفضيل المدينة على مكة وهو ظاهر من هذه الجهة لكن لا يلزم من حصول أفضلية المفضول في شيء من الأشياء ثبوت الأفضلية له على الإطلاق، وأما من ناقض ذلك بأنه يلزم أن يكون الشام واليمن أفضل من مكة لقوله في الحديث الآخر «اللهم بارك لنا في شامنا» وأعادها ثلاثًا. فقد تعقب بأن التأكيد لا يستلزم التكثير المصرّح به في الحديث. وقال ابن حزم: لا حجة في الحديث بأن تكثير البركة بها لا يستلزم الفضل في أمور الآخرة. ورده عياض بأن البركة أعم من أن تكون في أمور الدين أو الدنيا، لأنها بمعنى النماء والزيادة، فأما في الأمور الدينية فلما يتعلق بها من حق الله تعالى من الزكاة والكفارات ولا سيما في وقوع البركة في الصاع والمد. انظر/ فتح الباري (٤/ ١٨٧). قال الشيخ النووي: والظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها والله أعلم. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ١٤٢). قال الحافظ ابن حجر: وقال القرطبي: إذا وجدت البركة فيها في وقت حصلت إجابة الدعوة ولا يستلزم دوامها في كل حين ولكل شخص. انظر/ فتح الباري (٤/ ١١٨).
(٧) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ١١٧) ـ الحديث (١٨٨٥). ومسلم في الحج (٢/ ٩٩٤) ـ الحديث (٤٦٦).
(٨) لم أجده، والتقصير منا. طالب العلم: محمد فارس.

ومن محاسنها تأسيس مجسده على يده الكريمة[١] وكون «ما بين بيته ومنبره[٢] روضة من رياض الجنة»[٣][٤][٥]. وان ذلك يعم مسجده ولو اتصل بصنعاء وكون «المنبر على ترعة من رياضة الجنة»[٦].

وما أحسن ما قال عبد الله الفيومي:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة (١/ ٦٢٤) ـ الحديث (٤٢٨). ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) ـ الحديث (٩/ ٥٢٤). وأبو داود في الصلاة (١/ ١٢١) ـ الحديث (٤٥٣). والنسائي في المساجد (١/ ٢٥٩) ـ الحديث (٧٨١). وابن ماجه في المساجد (١/ ٢٤٥) ـ الحديث (٧٤٢).

(٢) ومنبره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على [حوضه] قال الحافظ: أي ينقل يوم القيامة فينصب على الحوض. قال: وقال الأكثر: المراد منبره بعينه الذي قال هذه المقالة وهو فوقه. وقيل: المراد المنبر الذي يوضع له يوم القيامة، قال الحافظ: والأول أظهر ويؤيده حديث أبي سعيد وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي واقد الليثي رفعه: «إن قوائم منبري رواتب في الجنة» وقيل معناه: أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض ويقتضي شربه منه. قال: ونقل ابن زبالة أن ذرع ما بين المنبر والبيت الذي فيه القبر الآن ثلاث وخمسون ذراعًا. وقيل: أربع وخمسون وسدس. وقيل: خمسون إلا ثلثي ذراع وهو الآن كذلك فكأنه نقص لما أدخل من الحجرة في الجدار.
انظر/ فتح الباري (٤/ ١٢٠).

(٣) أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر لا سيما في عهده ـ صلى الله غليه وآله وسلم ـ فيكون تشبيهًا بغير أداة، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة. قال الحافظ: هذا محصل ما أدله العلماء في هذا الحديث وهي على ترتيبها هذا في القوة. انظر/ فتح الباري (٤/ ١٢٠).

(٤) استدل به على أن المدينة أفضل من مكة لأنه أثبت التي بين البيت والمنبر من الجنة، وقد قال الحديث الآخر «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وتعقبه ابن حزم بأن قوله أنها من الجنة مجازًا إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة ﴿أن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾، وإنما المراد أن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة كما يقال في اليوم الطيب هذا من أيام الجنة، وكما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «الجنة تحت ظلال السيوف» قال ثم ولو ثبت أنه على الحقيقة لما كان الفضل إلا لتلك البقعة خاصة. فإن قيل: إن ما قرب منها أفضل مما بعد لزمهم أن يقولوا إن الجحفة أفضل من مكة ولا قائل به. انظر/ فتح الباري (٤/ ١٢٠).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضل الصلاة (٣/ ٨٤) ـ الحديث (١١٩٥). ومسلم في الحج (٢/ ١٠١٠) ـ الحديث (١٣٩٠/ ٥٠٠) ـ (٥٠١/ ١٣٩٠). والترمذي في المناقب (٥/ ٧١٩) ـ الحديث (٣٩١٦). والنسائي في المساجد (١/ ٢٧٥) ـ في الكبرى الحديث (٢/ ٧٧٤). والإمام مالك في الموطأ في القبلة (١/ ١٩٧) ـ (١١).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٨) ـ الحديث (٨٧٤٢).

سكان طيبة أبلى الحب صبكم — والشوق باق ليوم العرض في طول
تالله لم ينسه المقياس [روضتكم][1] — ولا تسلى عن الزرقاء بالنيل

[ومن محاسنها][2]إن ترابها شفاء من الجذام كما هو الوارد[3]. وشفاء من كل داء بالتجربة الصادقة. المعروفة عند الخلف والسلف وما أوقع ما قال:

ولو قيل للمجنون ليلى أحب [أم][4] — جنان [بها][5] حور حلت نعم الخد
لقال غبار من تراب يقابلها — أحب إلى قلبي وأشهى من الخلد

فائدة: ذكر علماء الخواص أن من قدم أرضًا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه [عوفي من بلائها][6].

وقيل: يستحب للمسافر أن يصحب معه تراب أرضه التي ولد بها فإذا قدم أرضًا أخرى جعل منه شيئًا في مائها وشرب منه فإنه يسلم من ضررها وهو من المجربات.

ومن محاسنها: أن من أصابه عرض أو مرض. وأقبل على الشباك الشريف متضرعًا مستغيثًا. لم يبرح حتى يفرج الله تعالى كربه والناس في ذلك تتفاوت بحسب الاعتقاد والاستعداد.

وإذا لم تر الهلال فسلم — لأناس رأوه بالأبصار

وكان يقال: الفوائد في العقائد.

وكان يقال: المخ مواهب والمواهب مخ، ولذلك يفتح لشخص دون آخر من الأبواب ما لا يتطرق إليه بسبب من الأسباب وكان يقال:

فما كل عين بالجمال قريرة — ولا كل من نودي يجيب إذا دعى
فقل للعيون الرمد للشمس أعين — سواك تراها من مغيب ومطلع

وكان يقال:

دنت بأناس عن ثناء ديارهم — وشط بليلى عن دنو مزارها
وإن مقيمات بمنعرج اللوى — لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

---

(١) ثبت في ب [روضكم].
(٢) سقط من «ب».
(٣) لم أجده في مظانه، والتقصير منا. طالب العلم: محمد فارس.
(٤) سقط من «ب».
(٥) سقط من «ب».
(٦) سقط من «ب».

وقال آخر:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت وأنت كئيب إن ذا العجيب

فقلت وما نفعي بدار قريبة إذا لم يكن بين القلوب قريب

وأقول كما قال المتقدم:

صبرًا إن ذاك الحسن عني محجب أليس [بزيادة شرف[1] تشهد الصبا]

إذا رمت أن تبدي مصونان خدره فحدث بذاك الحي عن ذاك الخبا

وما أحسن ما قال:

وإني لمشتاق إلى أرض طيبة وإن خانني بعد التفرق إخواني

سقى الله أرضًا لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق [أجفاني][2]

وبالجملة فكل مقصور على سربه وذوقه، الناتج عن حبه وشوقه وكان يقال. لا يفتح القال العيوب إلا من سلم من العيوب وإما من عرى عن الكشف والشهود، واستنطاق ضمائر صحائف الوجود فحرام عليه التفكر في الآثار الكونية والأسرار اللدنية، فليلزم لسان الاعتراض ولا يبرز رعونات الأغراض، فإنه يخشى عليه سلب السابقة في عالم الأرواح والخاتمة في عالم الأشباح، وليرجع إلى نقض فطرته وقصور باعه في ميدان حكمته، فلا يشهد حقيقة الكمال، ولا يظفر من أبكار المعاني بلذة الوصال، وليقل بلسان التسليم ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال ابن رافع رأس في شذور الذهب:

وحظ العيون الرمد من نور وجهها لسدته خط العيون العوامش

فلا أخصبت إلا لذي الحلم والتقى ولا أجدبت إلا لأهل الفواحش

والحمد لله الذي أطلع من اجتباه من عباده الأبرار على خبايا الأسرار، وأسمع من ارتضاه من أصفيائه الأخيار من الغيب تغريد سواجع[3] قضايا الأقدار، وأودع قلوبهم من جواهر المعرفة ما تحتار عيون البصائر والأبصار، وأطمع نفوسهم من إحراز رموز كنوزها بيد الإظهار من سجف[4] حجب الأستار الذي قدر حكم أحكامه وكل شيء

---

(١) ثبت في ب هكذا [يرحاه يرف نسمة لصبا].

(٢) في [لكفاني].

(٣) قال في القاموس: وسواجع وسجع ذلك المسجع قصد ذلك المقصد. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٣٦).

(٤) قال في القاموس: السجف الستر أو الستران المقرونان بينهما فرجة أو كل بابٍ ستر بسترين مقرونين فكل شق سجف وسجاف. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ١٥٠).

عنده بمقدار، وبصر من شاء لإكرامه بنور الهامة، فاستخرج غرائب الأسرار بنواقب الأفكار وصلى الله تعالى على سيدنا وسندنا محمد المصطفى المختار ومؤازريه الأئمة الأطهار، صلاة متصفة بالاستمرار متلوة آناء الليل وأطراف النهار.

تنبيه[1]: قال العلامة ابن حجر في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم: حرم عند أرباب القلوب على كل قلب شغل بالإرادات الدنية. والشهوات الدنيوية أن يصل إليه المدد النبوي. بل ربما يخشى [عليه][2] من الوقوف بين يديه صلى الله تعالى وسلم عليه فيجب الاجتهاد في تصفية الجنان مع ملاحظة الاستمداد. من سعة العفو عما لا وصول إليه، فإنه يمد كلا بما يناسب حاله، ولا وصول إلى الحضرة الإلهية إلا من بابه كما قيل:

وأنت باب الله أي امرىء ... أتاه من غيرك لا يدخل

ـ إسعاد وإمداد ـ

حكى القاضي شهاب الدين بن خلكان في ديوانه أن الفقيه منصور التميمي أصابته مسبغةٌ في سنة شديدة القحط، فرقى سطح داره ليلاً ونادى بأعلى صوته:

الغياث الغياث يا أحرار ... نحن خلجانكم وأنتم بحار
إنما نحسن المواساة في الشدة ... لا حين ترخص الأسعار

قال: فأصبح على بابه مائة حمل من البر. توفي الفقيه منصور الشافعي سنة ست وثلثمائة.

وما أحسن ما قال:

لا تحزنن ولا تخف ... ودع التفكر والأسف
أين عودك الجميل ... فقس على ما قد سلف

لوائح وحوائج حكى بعض الأمراء: يسمع عن رجل من أهل الله تعالى أنه قال: «من رآني ضمنت له على الله تعالى الجنة» فقال الأمير: كيف ساغ لهذا الرجل أن يقول

(١) التنبيه لغة: الإيقاظ. انظر/ القاموس المحيط للفيروزأبادي (٤/ ٢٩٣). واصطلاحًا: عنوان البحث اللاحق الذي تقدمت له إشارة بحيث يفهم من الكلام السابق إجمالاً، أي لفظ عنون به وعبر به عن البحث اللاحق. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/ ٦٣).

(٢) سقط من «ب».

مثل هذا الكلام مع أن رؤية أبي جهل للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه لم تفده فقال له بعض من سمعه: إنما أراد الشيخ بقوله «من رآني» رؤية ولاية [وأبو جهل][1] لو رأى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه رؤية نبوة لم[تفده][2] السعادة على أنه «قيل بتخفيف العذاب عمن تشرف برؤيته».

يا أرمد العين قم قبالته ... فدو باللحظ[3] نحوه رمدك

فائدة[4]: رأيت في بعض التذاكر. أن من أصابه رمد يقف تجاه الحضرة الشريفة، وينشد هذين البيتين مرات، فإنه يزول رمده.

قال وقد أصابني الرمد مرة [فقلت][5] كذلك فزال ما اشتكيته والبيتان هما هذان:

أنت الملاذ وأنت الغوث للبشر ... من معجزاتك رد العين [للنظر][6]

فانظر إلي لعلي أن أرى فرجا ... فبحر جودك يبرىء شدة الضرر

ومن الفوائد الشرجية ما يقرأ أو يكتب للرمد قول:

إذا ما مقلتي رمدت فكحلي ... تراب مس نعل أبي تراب

هو البكاء في المحراب ليلا ... هو الضحاك في يوم الضراب

ومما يكتب للرمد، وهو مروي عن ابن عجيل اليمني[7]:

يا ناظري بيعقوب أعيذكما ... بما استعاذ به إذ مسه الكمد

قميص يوسف قد جاء البشير به ... بحق يوسف اذهب أيها الرمد

قال في المواهب اللدنية: أنبئت أن العلامة أبي عبد الله ابن رشد قال: لما قدمنا المدينة الشريفة سنة أربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي قاسم [بن][8] الحكيم وكان أرمد العين فلما وصلنا ذا الحليفة نزلنا عن الأكوار وقد قوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر إلى المشي على قدميه. احتسابًا لتلك الآثار وإعظامًا [لمن جل][9] هاتيك الديار فأحس بالشفاء، [فأنشد لنفسه في وصف الحال][10].

---

(١) هكذا ثبت في أ [أبو عن].

(٢) هكذا ثبت في أ [تفنه].

(٣) كذا في الاصل.

(٤) الفائدة لغة: ما استفيد من علم أو مال. انظر/ القاموس المحيط (١/ ٣٢٤). واصطلاحًا: المسئلة المرتبة على الفعل من حيث هي كذلك. وعرفت بأنها كل نافع ديني أو دنيوي. انظر/ السبع كتب مفيدة لعلوي السقاف (ص/٦٣).

(٥) ثبت في أ [ففعلت].

(٦) في أ [للبشر].

(٧) هو من العباد. انظر/ البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٠٦).

(٨) سقط من «ب».

(٩) في أ [المرحل].

(١٠) سقط من «أ».

ولما رأينا من [ربوع][1] [حبيبنا][2] [بيثرب][3] أعلامًا أثرن لنا الحيا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا شفينا فلا بأسًا نخاف ولا كربا
وحين تبدي للعيون جمالها ومن بعدها عنا أديلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن حل فيها أن نلم بها ركبا
تسح سجال الدمع في عرصاته وتلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه [لخسارة][4] ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
فيا عجبًا ممن يحب يزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكثبا
وزلات مثلي لا تعده [كثرة][5] ويعدي عن المختار أعظمها ذنبا

[ومن نبويات][6] المواهب:

ألا مع برق يغتدي ويروح أم النور من أرض الحجاز يلوح
أريج الصبا هبت بطيب عرفهم أم الروض من وجه الصباح يفوح
إذا ريح ذاك الحي هبت فإنها حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه إلا ديار محمد وذاك [شأنها][7] من البقاع [يلوح][8]
وألا فما للركب هاج اشتياقهم فكل من الشوق الشديد يصيح
وأتت مطايا القوم حتى كأنها حمام على قصب الأراك تنوح
وقد مدت الأعناق شوقا وطرفها إلى النور من تلك الرياح لموح
رأت دار من تهوى فزاد حنينها ومدمعها في الوجنتين سفوح
إذا العيس باحت بالغرام ولم تطق جفاء فما للصب ليس ينوح

قال في المواهب:

ولما قربنا من المدينة المنورة وأعلامها، وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها، وانتشقنا عرف لطآئف أزهارها وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها، وترادفت واردات المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا.

أنشدت ممتثلاً:

---

(١) في أ [ريبوع].
(٢) في أ [جيبنا].
(٣) في أ [سرت].
(٤) في ب [كخسارة].
(٥) ثبت في أ [كثيرة].
(٦) سقط من «أ».
(٧) في ب [سناها].
(٨) في ب [صريح].

أتــيـــتــك زائــرًا وودت أنـــي جـعـلـت سـواد عـيـنـي أمـتـطـيـه
ومـا لـي لا أشـيـر عـلـى [الـمـآقـي][1] إلــى قــبــر رســول الــلــه فــيــه

ولما وقع بصري على القبر الشريف، والمسجد المنيف، فاضت من الفرح سوابق العبرات، حتى أصابت بعض الثرى والجدارات، وكان ما كان مما لست [أذكره][2] فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر.

[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد][3]

أيـهـا الـمـغـرم [الـمـشـوق][4] هـنـيـئًا مـا أنـالـوك[5] مـن لـذيـذ الـتـلاقـي
قـل لـعـيـنـيـك تـهـمـلان سـرورا طـالـمـا أسـعـداك يـوم الـفـراق
أبـدل الـوجـد بـالـسـرور ابـتـهـاجـا وجـمـيـع الأشـجـان والأشـواق
وأمـر الـعـيـن أن تـفـيـض سـجـالا وتـوالـي بـدمـعـهـا الـمـهـراق
هـذه دارهـم وأنـت مـحـب مـا بـقـاء الـدمـوع فـي [الأمـاق][6]

[أنشد لنفسه أبو العباس أحمد بن محمد][7]

إذا ما حدى[8] الحادي يا جمال بيثرب فـلـيـت الـمـطـايـا فـوق خـدي تـعـتـق
فـمـا عـبـق[9] الـريـحـان الا وتـربـهـا أجـل مـن الـريـحـان طـيـبـا وأعـبـق

ومن محاسنها: حديث «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب، وبراءة من النفاق»[10].

ومنها: «أنه من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة»[11].

---

(١) في ب [اللأماق].

(٢) كشط في «أ».

(٣) كشط في «أ».

(٤) في ب [المسلوق].

(٥) قال في القاموس: اللوك أهون المضغ أو مضغ صلب أو علك الشيء. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٣١٨).

(٦) في ب [الآفاق].

(٧) سقط من «ب».

(٨) سقط من «ب».

(٩) أي لصق. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٢٦٠).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٩١) ـ الحديث (١٢٥٩٠). والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢٥) ـ الحديث (٥٤٤٤). وقال: لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا نبيط بن عمر تفرد به ابن أبي الرجال. اهـ. قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للإمام أحمد والطبراني: ورجاله ثقات. انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٤/ ١١).

(١١) ضعيف جدًا: البيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج والعمر (٣/ ٥٠٠) ـ وفيه يوسف بن طهمان، قال الحافظ ابن حجر: واهٍ. انظر/ لسان الميزان (٦/ ٣٢٢) ـ (١١٥٧).

و«أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة»[1].

«وأن صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها»[2] وكذا سائر أفعال البر فيها.

وكل عبادة شرعت بالمدينة فهي [بها][3] أفضل منها ومنها أن ما بين منبره ومسجده روضة من رياض الجنة وهذا جانب كبير من هذه البلدة المشرفة [بمكة][4] ومنها «حثه عليه السلام على الموت بها والوعد على ذلك بالشفاعة والشهادة»[5].

وإني إذا أوعدته [أو وعدته][6] لمخلف إبعادي ومنجز وعدي

وما أحسن ما قال:

[لست آسى على تفرق شملي غير قبري بأي أرض يكون][7]

بأرض البقيع تحت تراب فيه جدي ووالدي مدفون

بين قوم أعزة من حماهم ولهم عند ربهم تمكين

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) ـ الحديث (٣٢٤). وقال: حسن غريب. والنسائي في المساجد (١/ ٢٥٨) ـ الحديث (٧٧٨١٢). وابن ماجه في إقامة الصلاة (١/ ٤٥٣) ـ الحديث (١٤١٢). والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٥٩١) ـ الحديث (١٥٩٨٧). وابن حبان في صحيحه (ص/ ٢٥٦) ـ الحديث (١٠٣٨/ موارد الظمآن) والحاكم في المستدرك في الهجرة (١٢١٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والطبراني في الكبير (٦/ ٧٤ ـ ٧٥) ـ الحديث (٥٥٥٨ ـ ٥٥٦١). والبيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج والعمر (٣/ ٤٩٩) ـ الحديث (٤١٩٠). وابن سعد في الطبقات (١/ ٦). وأورده الحافظ السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨). وأورده كذلك الحافظ الذهبي في الميزان (١/ ٣٦٠).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣٧٢) ـ الحديث (١١٤٤). والبيهقي في شعب الإيمان ٣٠/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) ـ الحديث (٤١٤٧). و(٤١٤٨) وقال: هذا حديث إسناده ضعيف بمرة. قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني: فيه عبد الله بن كثير وهو ضعيف. انظر/ مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٤).

(٣) سقط من «ب».

(٤) سقط من «أ».

(٥) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وفيه [فإني أشفع لمن يموت بها» وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه بنفس اللفظ الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر (٢/ ١٠٢) ـ الحديث (٥٤٣٦). وابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٣٩) ـ الحديث (٣١١٢). والبيهقي في شعب الإيمان في فضل الحج (٣/ ٤٩٧) ـ الحديث (٤١٨٢).

(٦) ثبت في أ [أ و ق عنه].

(٧) سقط من «ب».

أم بــأرض أخــرى فــيــالــيــت أنــي ... مــن ســوى أرض طــيــبــة لا أكــون

تــلــك أرض لــخــاطــري مــثــل لــيــلــى ... وفــؤادي بــحــبــهــا الــمــجــنــون

وثــراهــا لــمــقــلــتــي أن تــراهــا ... إثــمــد مــنــه تــســتــنــيــر الــعــيــون

إن ظــنــي بــخــالــقــي لــجــمــيــل ... لــيــس فــي مــثــلــه تــخــيــب الــظــنــون

[ومن محاسنها](1): ان أهلها أول من يشفع لهم مع الاختصاص بمزيد الإكرام «وأنه يبعث الميت بها من الآمنين»(2).

«وانه يبعث من بقيعها سبعون ألفًا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب»(3).

وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها، فكفوها من الجنة «ويبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس»(4).

وما أصدق ما قال:

---

(١) سقط من أ.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٠) ـ الحديث (٦١٠٤). وفي الصغير (٢/ ٢٢) ـ والدارقطني في سننه (٢٧٨/٢) ـ (١٩٣). والبيهقي في الكبرى (٥/ ٤٠٣) ـ الحديث (١٠٢٧٣). وفي شعب الإيمان (٣/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) ـ الحديث (٤١٨٠، ٤١٨٢). ـ أما سند الطبراني الكبير: ففيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك قاله الهيثمي. انظر/ مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٢). ـ وأما سند الطبراني في الصغير: ففيه عبد الله بن المؤمل المكي وهو ضعيف. انظر/ تهذيب التهذيب (٤٣١٦) ـ (٣٧٧٢). ـ وأما سند الدارقطني ففيه: هارون بن أبي قذعة، وقيل: هارون ابن قذعة، قال البخاري: لا يتابع عليه، وقال الأزدي هارون يروى عن رجل من آل خطيب المراسيل. انظر/ لسان الميزان (٦/ ١٨٠). ـ وأما سند البيهقي في الكبرى فقال فيه مصنفه: إسناده مجهول. ـ وأما سند البيهقي في الشعب ففي إسناده الأول عبد الغفور بن سعيد قال البيهقي: وهذا ضعيف وروى بإسناد آخر. أهـ يعني الحديث (٤١٨٢) وفيه عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف. انظر/ تهذيب التهذيب (٤٣١٦) ـ (٣٧٧٢) ـ تقريب التهذيب (ص/ ٣٢٥) (٣٦٤٨) ـ إرواء الخليل للألباني (٤/ ٣٤٤) ـ (١١٢٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ١٨١ ـ ١٨٢) ـ الحديث (٤٤٥). وقال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني: فيه من لم أعرفه. انظر/ مجمع الزوائد (٤/ ١٦). وأخرجه الحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة (٤/ ٦٨).

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب (٥/ ٦٢٢) ـ الحديث (٣٦٩٢). وقال: حديث غريب، وعاصم بن عمر ليس بالحافظ. قال الحافظ ابن حجر: متروك. انظر/ تهذيب التهذيب (٥/ ٤٨) ـ (٣١٧٣) ـ والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٥) ـ الحديث (١٣١٩٠) ـ والحاكم في المستدرك في التفسير (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) ـ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي وقال: قلت: عبد الله ضعيف.

ألا أيـهـا الـبـاكـي عـلـى مـا يـفـوتـه ... من الحظ في الدنيا جهلت وما تدرى
عـلـى فـوت حـظ مـن جـوار مـحـمـد ... حقيق بأن تبكي إلى آخر الدهرى
سـتـدري إذا قـمـنـا وقـد رفـع الـلـوى ... وأحمد هادينا إلى موقف الحشرى
من الـفـائـز الـمـغـبـوط في يوم عرضه ... أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

[ومنها][1]: «شفاعته أو شهادته عليه السلام. لمن صبر على لأوائها»[2][3] وشدتها. «ووجوب شفاعته لمن زاره بها»[4].

قـم وزر حـجـرة الـرسـول ويـمـم ... كـعـبـة الـجـود مـعـدن الأسـرار
وإذا لـم تـجـد إلـيـه سـبـيـلا ... زر حـمـاه بـالـوصـف والأخـبـار

ومنها: «اللعنة والوعيد الشديد لمن أخاف أهلها أو ظلمهم»[5] وان من «أرادها وأهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح [في الماء][6][7]». وعنه عليه الصلاة والسلام

---

(١) سقط من أ.

(٢) أي شدتها. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٣٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في الحج (٢/ ١٠٠٤ ـ ١٠٠٥) ـ الحديث (١٣٧٧/ ٤٨١). والترمذي في المناقب (٣٩١٨). والإمام مالك في الموطأ في الجامع (٢/ ٨٨٥ ـ ٨٨٦) ـ الحديث (٣). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢) ـ الحديث (٦٠٠٦). والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣٢٤) ـ الحديث (٢٠١٩).

(٤) ضعيف: أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ـ (١٩٤) والبزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري ضعيف. كما في مجمع الزوائد (٤/ ٥). وأورده الحافظ ابن حجر في اللسان وضعفه. انظر/ لسان الميزان (٦/ ١٣٦).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ٩٧ ـ ٩٨) ـ الحديث (١٨٧٠). ومسلم في الحج (٢/ ٩٩٤) ـ الحديث (١٣٧٠). وأبو داود في المناسك (٢/ ٢٢٣) ـ الحديث (٢٠٣٤). والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣٠٧) ـ الحديث (٢٠٩).

(٦) سقط من «ب».

(٧) صحيح: أخرجه مسلم في الحج (٢/ ١٠٠٧ ـ ١٠٠٨) ـ الحديث (٤٩٢/ ١٣٨٦). وابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٣٩) ـ الحديث (٣١١٤). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٤) ـ الحديث (٨٧٠٨). والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣١٨) ـ الحديث (٢٠١٤). وأخرجه البخاري في فضائل المدينة عن سعد مرفوعًا بلفظ «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء». في فضائل المدينة (٤/ ١١٢) ـ الحديث (١٨٧٧). قال الحافظ ابن حجر: إنماع أي ذاب ثم ذكر الرواية المخرجة ثم قال: نعم في أفراد مسلم من طريق عامر بن سعد عن أبيه في أثناء حديث «ولا يريد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذبح الملح في الماء». قال: قال القاضي عياض: هذه الزيادة تدفع إشكال الأحاديث الآخر، وتوضح أن هذا حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي ـ صلى الله عليه وآله =

«ما من مسلم يسلم [علي][1] في شرق ولا غرب إلا انا وملائكة ربي ترد عليه السلام»[2] فقيل له فما بال أهل المدينة فقال: وما يقال لكريم من جيرانه وجيرته، إن مما أمر به من حفظ الجوار حفظ الجار.

وقال بعضهم: تأكدت وصيته صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله «حقيق على أمتي حفظ جيراني». وقوله «لا يزال جبريل يوصيني بالجار»[3][4]، ولم يخص جارًا دون جار وفهم منه أن سكان بلده قريبهم وبعيدهم حاضرهم وغائبهم. مليهم وعاجزهم، على حد السواء في استحقاق الرعاية من حيث الجوار، وإنما التفاضل بالتقوى وحسن الأدب، فنسأل الله تعالى كما من علينا بنعمة الإسلام، وخصنا بجوار نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. أن يوفقنا سلوك [الأدب][5] في هذا المقام وأن يرزقنا والمسلمين شفاعته في يوم الزحام وان [يلهم][6] من ولي شيئًا من أمورنا الرفق بنا وحسن القيام.

= وسلم ـ بسوء اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله «أوذب الملح في الماء»، ويحتمل أن يكون المراد لمن أرادها بسوء وأنه لا يمهل بل يذهب سلطانه عن قرب كما وقع لمسلم بن عقبة وغيره فإنه عوجل عن قرب وكذلك الذي أرسله. قال: ويحتمل أن يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلبًا لغرتها في غفلة فلا يتم له أمرٌ، بخلاف من أتى جهارًا كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره. انظر/ فتح الباري (٤/ ١١٢ ـ ١١٣).

(١) سقط من «ب».

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٤٩) وفيه عبيد الله بن محمد العمري اتهمه الذهبي بالوضع. انظر/ ضعيفة الألباني (١/ ٣٧١) ـ (٥).

(٣) اسم الجار يشمل المسلم، والكافر، والعابد، والفاسق، والصديق، والعدو، والغريب، والبلدي، والنافع، والضار، والغريب، والأجنبي والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرًا إلى الواحد وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطي كل حقه بحسب حاله، وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. انظر/ فتح الباري (١٠/ ٤٥٦).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأدب (١٠/ ٤٥٥) ـ الحديث (٦٠١٥). ومسلم في البر والصلة (٤/ ٢٠٢٥) ـ الحديث ١٤/ ٢٦٢٤ وأبو داود في الأدب (٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ـ الحديث (٥١٥١). والترمذي في البر والصلة (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) ـ الحديث (١٩٤٢). وابن ماجه في الأدب (٢/ ١٢١١) ـ الحديث (٣٦٧٣). والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٠٩) ـ الحديث (٢٥٥٩٤).

(٥) سقط من «أ».

(٦) في ب [يراهم].

يروى عن مالك رحمه الله تعالى: أنه دخل على المهدي فقال له [أوصني فقال][1]: أوصيتك بتقوى الله، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه وجيرانه، فإنه بلغنا أنه قال «المدينة مهاجري، ومنها مبعثي، وبها قبري، وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظ جيراني، فمن حفظهم كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني. سقاه الله من طينة الخبال»[2].

وما أحسن ما قال:

لي فيك يا ربع الحبيب معاهد	قلبي المقيم على العهود موادد
ولساكنيك علي حفظ مودة	ما خنتهم أبدًا وربي شاهد

ومنها الوعيد لمن لم يكرم أهلها وإن إكرامهم وحفظهم. حق على الأمة قال بعضهم: ليس المراد إكرام أهل النعم منهم والمستورين بالأداب فإن [قال][3] أولئك تقضي بإكرامهم، وإنما الكلام في إكرام المبتلي منهم ومن عدم الأدب والفضيلة، وألبسته الفاقة رداء المذلة، وكان يقال: إذا أقبلت الدنيا على قوم، ألبستهم محاسن غيرهم، وإذا دبرت عن قوم سلبتهم محاسن أنفسهم وهذه الدسائس أيضًا تكشف عند التأمل، والتوفيق لمن يدعي [محبة][4] آل النبي صلى الله تعالى وسلم عليه. وما أحسن ما قال:

يا أهل طيبة قد سكنتم أضلعي	فودادكم نام وشوقي محكم
لا غرو أن أبغي هواكم منشدًا	من أجل عين ألف عين تكرم

[ومنها][5] حديث «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي»[6].

---

(١) سقط من «ب».

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٠٥) ـ الحديث (٤٧٠). وفي سنده عبد السلام بن أبي الجنوب: قال ابن المديني والدارقطني منكر الحديث. وقال أبو حاتم: شيخ متروك. وعزاه الحافظ الهيثمي للطبراني قال: فيه عبد السلام بن أبي الجنوب. انظر/ مجمع الزوائد (٣/ ٣١٣) ـ (تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٨) ـ ٤٢١٤.

(٣) في أ [حالة].

(٤) في ب [حب].

(٥) سقط من أ.

(٦) منقطع: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٠) ـ الحديث (١٥٢٣٣) وفيه زيد بن أسلم وهو لم يسمع من جابر ـ رضي الله عنه ـ قال الدوري عن ابن معين: لم يسمع من جابر ولا من أبي هريرة. انظر/ تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٥) ـ (٢٢٠٦).

وما ألطف ما قال:

فنحن بقربه فيما اشتهينا ... وأحببنا وما اخترنا وشينا
يقينًا لا نخاف وإن ظننا ... به خيرًا أراناه يقينا
نميل على مكارمه كأنا ... إذا قلنا نميل على أبينا

[ومنها][1] حديث «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاء وقلبه مشرب جفوة»[2].

[وما أحسن ما قال][3]:

ومسك حديثي في هواها لأهله ... [يضرع][4] وفي سمع الخلبين ضائع
سلا وهل سلا قلبي هواها وهل له ... سواها إذا اشتدت عليه الوقائع
وقولا لها يا قرة العين هل إلى ... لقاك سبيل ليس فيه موانع

وما أحسن ما قال:

قنعنا بنا عن كل من لا يريدنا ... وإن حسنت أوصافه ونعوته
نحن جاءنا يا مرحبا بمجيئه ... يجد عندنا ودًا صحيحًا ثبوته
ومن صد عنا حسبه الصد والقلا[5] ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

ومنها ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية وطيب العيش بها خصوصًا لأهلها الذين لا تغلق لهم بالدول والدنيا.

[رياض][6] نجد عرفها ضائع ... ونشرها الأرجاء قد [عمنا][7]
ومن يقل في المسك اين الشذا ... كذبه في الحال من [شما][8]

قال القزويني:

في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد عند ذكر المدينة المنورة:

وللطيب فيها فضل رائحة ... عليه منه في غيرها

وما أحسن ما قال:

---

(١) سقط من أ.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٦٩) ـ الحديث (٨٧٦). وقال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني في الأوسط: فيه علقمة بن علي ولم أعرفه. انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ٣١٣) ـ مجمع البحرين (١٨١٧) والصواب أنه [عقبة بن علي] قاله طارق بن عوض الله.

(٣) ثبت في ب [وقال بعضهم].

(٤) في أ [يضوع].

(٥) غاية الكره. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٣٨٠).

(٦) ثبت في ب [ريانن].

(٧) في أ [عما]

(٨) في أ [سما].

يا خير من دفنت في التراب أعظمه ... فطاب من طيبهن [القاع][1] والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وقال آخر:

أكرم بها بقعة بالمصطفى شرفت ... على البقاع فضمت أكرم الرسل
أجل من وطىء القبر وأفضل من ... مشى على الأرض من حاف ومنتعل

ولله در القائل:

طاب الصعيد بجسمه فكأنه ... روض [ينم][2] بعرفه المشارج
ما جسمه مما يغيره البلا ... والروح منه كالصباح الأبلج

ومنها أن من عاب قرابتها أو [انتقص][3] سكانها استحق التعزير.

وقد عزر مالك رحمه الله تعالى شخصًا لنقص تربتها بأنها سبخة.

وما ألطف ما قال:

دار طَه هي التي أتوخى ... ولطَه تشتاقها الأعضاء
فعليها من المهيمن نور ... وعلى التراب راية بيضاء

ولله در الأمير أبي فراس حيث يقول:

على الربع العامرية وقفة ... ليملي على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

قال في الوفاء ولا يجوز لغير أهل المدينة المنورة أن يماروا أهل مكة المكرمة، أو ينافسوهم لأن الله تعالى فضلهم على سائر البلاد.

ومن محاسن المدينة «[زيادة][4] البركة بها على مكة»[5] وأن المدعو به بها من البركة ستة أضعاف ما لمكة من البركة»[6] ومنها أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة[7] قدم إجماعهم، كما نقل عن مالك رحمه الله تعالى.

وقيل: البقاع لا أثر لها في ذلك وفيه نظر.

---

(١) في أ [الإقاع].
(٢) سقط من «ب».
(٣) في أ [أنقص].
(٤) سقط من «ب».
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) لم أجده في مظانه.
(٧) ليس إجماع أهل المدينة إجماعًا بمعنى [اتفاق المجتهدين. . . إلخ] لأنهم بعض المجتهدين، والإجماع اتفاق كل المجتهدين الموجودين في عصر واحدٍ، ومن هنا قال جمهور العلماء إن إجماع أهل المدينة ليس حجة على غيرهم إذا خالفهم =

وتأمل في الأرض آيات فلا تك منكرًا وعـجـائـب الأشـيـاء مـن مـلـكـوتـه

ومنها: حديث «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالمًا أعلم من عالم المدينة»[1].

قيل معناه: أن العالم من أهل المدينة أعلم منه من غير أهلها، وفيه إشارة إلى أن للبقاع أثرًا في ذلك وفي الأرض قطع متجاورات فافهم.

وقول ابن عيينة: نرى هذا العالم مالك بن أنس لا يمتع من ذلك، لأن مالكًا كان إذ ذاك من علماء المدينة [ويؤيده][2] قول سفيان، وقد قيل له ما قاله ابن عيينة. «إنما العالم من يخشى الله تعالى. ولا يعلم أحد كان أخشى لله تعالى من العمري قتيبة.

= لأن الأدلة إنما أثبتت عصمة الكل عن الخطأ ولم تثبت عصمة البعض عنه، فكان قول الكل هو الحجة. وقال الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ: إن إجماعهم حجة إذا كانوا من الصحابة أو التابعين واستدل على ذل بما يأتي: أولاً: قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «إن المدينة طيبة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد». ووجه الدلالة: أن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أخبر عن المدينة بأنها طيبة وأنها تنفي الخبث، والمراد نفي الخبث عن أهلها فلا يقع الخبث منهم والخطأ نوع من الخبث فلا يقع من أهل المدينة خطأ، فيجب قبول قولهم لعصمتهم وهو المُدّعي. وثانيًا: أن الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين أعرف الناس بأحوال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وخصوص من وجد منهم بالمدينة لأنهم شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل، فإذا أجمعوا على أمر أحالت العادة أن يكون ذلك الإجماع عن دليل مرجوح وقضت بأن يكون عن دليل راجح فيقبل قولهم لذلك ويكون حجة على غيرهم. والجواب عن الدليلين: أما الدليل الأول:

فأولاً: لا نسلم أن الخطأ نوع من الخبث بل هو مباين له لأن الخطأ معفو عنه والخبث منهي عنه، يدل لذلك قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «رفع عن أمتي الخطأن»، وقوله «الكلب خبيث وثمنه خبيث ومهر البغي خبيث». وثانيًا: سلمنا أن الخطأ نوع من الخبث ولكن نقول: إن الأخبار عن المدينة بأنها طيبة تنفي الخبث لا ينافي أن غيرها كذلك، وتخصيصها بالذكر لإظهار شرفها وخطرها فيكون خبر غيرهم مقبولاً كخبرهم متى تحققت فيهم العصمة. ويناقش الدليل الثاني: بأن ما قيل في أهل المدينة من الصحابة والتابعين يتحقق في الصحابة والتابعين من غير أهلها كأهل البصرة والكوفة، وكان مقتضى هذا أن يكون إجماعهم حجة مع أن مالكًا لم يقل بذلك وإذا علم أن مدار الاجتهاد في الأحكام على النظر والبحث والاستدلال وذلك لا يختلف بالقرب والبعد ولا باختلاف الأماكن، علم أن تخصيص إجماع أهل المدينة بالحجية لا وجه له. انظر/ المستصفى للغزالي (١/ ١٨٧). فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ٢٣٢). إحكام الأحكام للآمدي (١/ ٣٤٩). أصول الفقه للشيخ محمد أبو النور زهير (٣/ ١٥٤).

(١) أخرجه الترمذي في العلم (٥/ ٤٧) ـ الحديث (٢٦٨٠). والنسائي في الكبرى في الحج (٢/ ٤٨٩) ـ الحديث (١/ ٤٢٩١). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٠) ـ الحديث (٧٩٩٩). وابن حبان في صحيحه (ص/ ٥٧٤) ـ الحديث (٢٣٠٨/ موارد الظمآن والحاكم في المستدرك في العلم (١/ ٩٠ ـ ٩١).

(٢) في أ [ويؤيد].

ومن محاسنها: قلة المظالم بها [وشذور][1] التظاهر فيها بالمنكرات بالنسبة إلى غيرها من بلاد الإسلام.

[وما أصدق القائل][2]:

[قل][3] لمن أبصر حالا منكرة ... ورأى من دهره ما حيره

ليس بالمنكر ما أبصرنه ... إن من عاش يرى ما لم يره

وقال آخر:

قل لمن شاهد أمرًا أقلقه ... ورأى ما يستحيل الفسقة

سترى هذا الذي تنكره ... مستحبًا بعد تلك الطبقة

[ومن محاسنها][4] حديث «المدينة كالكير[5] تنفي [خبثها][6][7][8][9]».

---

(١) في ب [وسدود].

(٢) في أ [وما أصدق ما قال].

(٣) في أ [من].

(٤) في ب [ومنها].

(٥) بكسر الكاف وسكون التحتانية، وفيه لغة أخرى كور بضم الكاف، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفخ فيه لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير حانوت الحداد والصائغ. قال ابن التين: الكير هو الزق والحانوت هو الكور. وقال صاحب المحكم: الكير الزق الذي ينفخ فيه الحداد. قال الحافظ: ويؤيد الأول ما رواه عمرو بن شبة في أخبار المدينة [قيد الطبع بتحقيقنا محمد فارس] بإسناد إلى أبي مردود قال: رأى عمر بن الخطاب كير حداد في السوق فضربه برجله حتى هدمه. انظر/ فتح الباري (٤/ ١٠٥).

(٦) الخبث: بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة أي وسخه الذي تخرجه النار، والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده. ونسبة التمييز للكير لكونه السبب الأكبر في اشتعال النار التي يقع التمييز بها. انظر فتح الباري (٤/ ١٠٥).

(٧) استدل بهذا الحديث على أن المدينة أفضل البلاد. قال المهلب لأن المدينة هي التي أدخلت مكة وغيرها من القرى في الإسلام فصار الجميع في صحائف أهلها، ولأنها تنفي الخبث. قال الحافظ ابن حجر: وأجيب عن الأول بأن أهل المدينة الذين فتحوا مكة معظمهم من أهل مكة فالفضل ثابت للفريقين ولا يلزم من ذلك تفضيل إحدى البقعتين. وعن الثاني: بأن ذلك إنما هو في خاص من الناس ومن الزمان بدليل قوله تعالى: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾، والمنافق خبيث بلا شك، وقد خرج من المدينة بعد النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معاذ وأبو عبيدة وابن مسعود وطائفة ثم علي وطلحة والزبير وعمار وآخرون وهم من أطيب الخلق، فدل على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس ووقت دون وقت. قال ابن حزم: لو فتحت بلد من بلد فثبت بذلك الفضل للأولى للذم أن تكون البصرة أفضل من خراسان وسجستان وغيرهما مما فتح من جهة البصرة وليس كذلك. انظر/ فتح الباري (٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٨) سقط من ب.

(٩) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل =

قيل: معناه تصفي أهلها من الكدورات، حتى يكونوا محلاً للفيض الرحماني.

وقيل هو على بابه ويكون إخراج الخبيث منها زيادة في [حسرته][1] وهذا بعيد مما أعتقده. أو هو من باب الترهيب.

فهذا اختياري فوافق ان رضيت به　　او لا فدعني ومن أهوى واختاره

وما أحسن ما كتب به بعضهم إلى أبي الوفا:

أيجوز أن أظمأ وماء غديركم　　عذب وفيه من الزلال[2] رحيق

ويضيمني دهري وفي عتباتكم　　تلقى الرجال وتستريح النوق

«فكتب له الجواب»

أهلاً وسهلاً إن أتيت ومرحبًا　　ما في حمى كرم الأحبة ضيق

لا [تيأس][3] من روح من أحببته　　فعلى الأحبة [للمحب][4] حقوق

وما أحسن ما قال:

وبعد ذاك الجفا إن جئت معتذرًا　　إلى حمانا تجد عفوًا وغفرانا

حتى تظن بأن الوصل ما برحت　　أيامه وكأن الهجر ما كانا

ومن محاسنها أنه عليه السلام. «رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة». فأصبح على بئر غرس. و«رؤيا الأنبياء حق» [عليهم الصلاة والسلام][5][6].

= المدينة (٤/ ١١٥) ـ الحديث (١٨٨٣). ومسلم في الحج (٢/ ١٠٠٦) ـ الحديث (٤٨٩/ ١٣٨٣). والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٩) ـ الحديث (١٥٢٢٥). والإمام مالك في الموطأ (٢/ ٨٨٦) ـ الحديث (٤).

(١) سقط من «ب».

(٢) الماء الزلال: البارد العذب الصافي. انظر/ القاموس المحيط (٣/ ٣٨٩).

(٣) في أ [تنأس].

(٤) سقط من «ب».

(٥) سقط من أ.

(٦) بلفظ «رؤيا النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حق» أخرجه: الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٦) ـ الحديث (٢٢٠٩٦).

ومنها [أن][1] العجوة من الجنة[2]. فقد اشتملت المدينة المنورة على شيء من أرض الجنة [ومياهها][3] وثمارها... وما أحسن ما قال:

رياض نجد بكم جنان ... فضية حورها حسان
وترب واديكم بنجد ... مسك وحصباؤها جمان
والجار في ربعكم عزيز ... والحد في أرضكم مصان
والريح من [شعبكم][4] عبير ... والزهر ورد وزعفران
يا من لهم في الفؤاد مثوى ... عذابه يشهد الجنان
كم حن قلبي إلى لقاكم ... [وبيننا][5] الغور والرعان
وكنت أخفي الهوى ودمعي ... من شدة الوجد ترجمان

وبالجملة فقد اشتملت المدينة الشريفة على محاسن تعشقها العقول وأوانس ما بين القلب وهمومه تحول. ولطائف تعطر أندية الأفكار طيبًا، وتعطى من تعرض لنفحاتها من عرفها الطيب نصيبًا.

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني ... شجونًا فزدني من حديثك يا سعد

فما أحلى ذاك الحديث وهو حبيب النفس وعشيق الطبع وسمير ضمير الجمع. تتولع به الأرواح لا الرياح، وتزهى به الألسن لا الأغصن، وتبدو به طلعة البشر لا الشجر [ويحلو][6] بجناه. الجنان لا الجنان [يجلو به][7] المنطق السحار لا الأسحار.

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كررته [يتضوع][8]
فإن قر قلبي فاتهمه وقل له ... بمن أنت بعد العامرية [تولع][9]

قال المجد الشيرازي في المغانم المطابة في مقام طابة: وبعد فإن العناية بالمدينة

(1) سقط من «ب».
(2) أخرجه الترمذي في الطب (4/ 401) ـ الحديث (2068). وابن ماجه في الطب (3/ 1143) ـ الحديث (3455). والدارمي في الدقاق (2/ 436) ـ الحديث (2840). والإمام أحمد في مسنده (3/ 520) ـ الحديث (4/ 155). والبغوي في شرح السنة (11/ 326).
(3) في أ [ومیائها].
(4) في ب [أرضكم].
(5) في أ [وبغينا] هكذا رسمت.
(6) في أ [ويسمح].
(7) في أ [ويجلوه].
(8) في أ [ينضوع].
(9) في أ [مولع].

الشريفة متعينة والرعاية لتعظيم حرمتها لكل خير متضمنة والوسيلة [تبشر][1] شرفها شائعة والفضيلة لا شتات معاهدها جامعة لأنها طابة ذات الحجر المفضلة، ودار الهجرة المكملة وحرم النبوة المشرف بالآيات المنزلة والبقعة التي تهبط الإملاك عليها «والمدينة التي يأرز[2] الإيمان إليها»[3][4] والمشهد التي تفوح أرواح نجد من ثياب زائريه والمورد الذي لا تروى من الشوق إليه غلة واردية والبقعة التي خصها الله تعالى بالنبي الأطهر «والحومة التي فيها الروضة المقدسة بين القبر والمنبر»[5] والتربة التي سمت على الآفاق بساكنها وفضلت على جميع بقاع الأرض بالبقعة [التي][6] هي أفضل أماكنها.

بقعت ضمت الرسول تسامت	وعلا قدرها على الآفاق
فهي عند الجميع لا شك خير	من جميع الثرى على الإطلاق[7]

وجدير [لمواطن][8] عمرت بالوحي والتنزيل. وتردد فيها الأمين جبريل [عليه

---

(١) في ب [تنشر].

(٢) بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء، وقد تضم بعدها زاي، وحكى ابن التين عن بعضهم فتح الراء وقال: إن الكسر هو الصواب، وحكى أبو الحسن بن سراج بضم الراء، وحكى القابسي الفتح ومعناه ينضم ويجتمع. انظر/ فتح الباري (٤/ ١١١).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: كل مؤمن له في نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيشمل ذلك جميع الأزمنة لأنه في زمن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه. وقال الداردي أكان هذا في حياة النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والفرق الذي كان منهم والذين يلونهم والذين يلونهم خاصة. وقال القرطبي: فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع وأن عملهم حجة كما رواه الإمام مالك اهـ. قال الحافظ: وهذا إن سلم اختص بعصر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والخلفاء الراشدين وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة في البلاد ولا سيما في أواخر المائة الثانية وهلم جرًّا فهو بالمشاهدة بخلاف ذلك. انظر/ فتح الباري (٤/ ١١٢).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ١١١) ـ الحديث (١٨٧٦). ومسلم في الإيمان (١/ ١٣١) ـ الحديث (١٤٧/ ٢٣٣). والترمذي في الإيمان (٥/ ١٨) ـ الحديث (٢٦٣٠). وابن ماجه في المناسك (٢/ ١٠٣٨) ـ الحديث (٣١١١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٧٩) ـ الحديث (١١٦١٦). والبيهقي في الكبرى في الحج (٥/ ٤٠٤) ـ الحديث (١٠٢٨١). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٩٤) ـ الحديث (١٣١٥٦).

(٦) سقط من «ب».

(٧) في أ [عمرت].

(٨) سقط من «أ».

السلام] لمواطن صح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله تعالى ما انتشر. مدارس آيات ومساجد صلوات، ومشاهد خيرات، ومعاهد معجزات، مناسك دين، ومسالك تمكين، مواقف سيد المرسلين، ومتبوء خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ومواطن [مهابط][1] الرسالة وأول [أرض][2] مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم حوماتها وتستنشق نفحاتها، وتقبل ربوعها وساحاتها.

دار خير المرسلين ومن به ... هدى الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متضاعف الزفرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الحومات والساحات
لأعفرن مصون وجهي [بينها][3] ... وأقبل الآثار والحجرات

قال في المواهب اللدنية: وقد أطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة، وإن كان مذهب إمامنا الشافعي تفضيل مكة لأن هوى كل نفس حيث حل حبيبها على أن للقلم في أرجاء تفضيل المدينة مجالاً واسعًا ومقالاً جامعًا، لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف بساطه والرهبة من الإكثار [تصدق][4] وعن تطويله وإفراطه وأنت إذا تأملت قوله عليه السلام «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه»[5] ظهر لك أن فيها [إشعارًا يذم][6] الخروج من المدينة بل نقل المحب الطبري عن قوم انه عام أي مطلقًا [أبدًا][7] وقال انه ظاهر [اللفظ][8] انتهى.

وأقول [في المعنى][9]

أيا ساكني أكناف طيبة حسبكم ... من السعي [للعليا][10] جيرة أحمد

---

(١) في ب [مرابط].
(٢) في ب [جلد].
(٣) في ب [بنيها].
(٤) سقط من «ب».
(٥) أخرجه مسلم في الحج (٢/ ١٠٠٥) - الحديث (٤٨٧/ ١٣٨١). والإمام مالك في الموطأ في الجامع (٢/ ٨٨٧) - (٧). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٦١١) - الحديث (١٠٠٦).
(٦) كشط في «أ».
(٧) سقط من «أ».
(٨) في أ [اللغة].
(٩) سقط من «أ».
(١٠) في ب [للعمياء].

فمن يبتغي عنها بلادًا وإن سمت لأمر من الدنيا فليس بمهتد

وما أحسن ما قال [الناظمي][1] محمد بن مسدد

علي عهود عن دياركم لا [أخطو][2] ولو [طال][3] فيها العيش أو طاول القحط
على أنني فيها على خير حالة عزيز جناب لا يزاولني البسط
أبى الله أن ترضى سواها [حيلتي][4] [فتنتقل][5] أقدامي إلى غيرها الوخط[6]
أأرحل عمن لا يضام نزيله ومن لا يطيق الخطب في جاره [يسط][7][8]
[أأضرب][9] صفحًا عن شفيعي ونافعي إذا أعرضت عن الأقارب [والرهط][10]
فما أسعد القوم الذين [رضوا][11] به معينًا وفي أكنافه أبدًا حطو
أولئك يمحو الله عنهم ذنوبهم ولو عظمت فحشًا ولم يمحوها ضبط
[فكم][12] عسرات إلي أقيلت ببابه ومن شدة حلت وقد أحكم الربط
ولي هفوات قد كثرت ولا أرى لها غير جاه المصطفى نافعًا قط
فيا سيدي سل لي من الله عطفة وطيب رضى لا يختشى بعده سخط
وجبر الكسير ظالمًا قد شكوته إليك فداركني ليجبر الوهط[13]
وخذ بيدي يا أكرم الخلق عندما أقدم يوم العرض إذ ينصب القسط
هناك لك العليا هناك لك الرضا هناك لك العز الذي ماله خلط
عليك صلوات الله ثم سلامه وآلك والأصحاب ما اضطرب الخمط[14]

(١) في أ [النظمى].
(٢) في ب [أحل].
(٣) في أ [ضاق].
(٤) في أ [جيلتي].
(٥) في أ [فتنقل].
(٦) الوخط: خفق النعال. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٣٩٠).
(٧) السط: الجور. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٣٦٤).
(٨) في أ [يسطو].
(٩) في أ [أأطرب].
(١٠) في أ [الرمط] وهو مجتمع. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٣٦١).
(١١) في ب [ارتضوا].
(١٢) في ب [فلم].
(١٣) الوهط: الطعن أو الخصومة. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٣٩٢).
(١٤) الخمط: كل شجر لا شوك له وثمر الأراك وثمر قسوة الضبع. انظر/ القاموس المحيط (٢/ ٣٥٩).

باب فيما يتعلق بالحجرة المعطرة

والمنبر الشريف وذكر فضل الروضة [المطهرة][1] والمسجد المنيف [نفائس هذا الباب][2] أنفاس روضة. ونظم المعاني سلسبيل وسلسل.

لما بنى النبي ﷺ مسجده بنى لنسائه حجرًا على نعت بناء المسجد من اللبن وجريد النخل وهي تسعة أبيات على أبوابها مسرح الشعر الأسود طول كل ستر ثلاثة أذرع [و][3] والعرض ذراع، فلما كانت أيام الوليد بن عبد الملك أمر بإدخالها في المسجد ولم تكن منه قبل بنائها.

[وعن][4] سعيد بن المسيب انه قال «وددت انهم لو تركوها على حالها ينشأنا شيء من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه، في حياته فيكون ذلك فيما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر.

قلت: وحيث قامت بأوصاف هذه الحجر أقلام الأعلام فهي بأبصار التصور لذي الاعتبار مشاهدة ولكن المحسن والمقبح كما يقال هو العرف فياليت شعري ما الفائدة:

أرى الصمت خيرًا من [عظات][5] بليغة إذا لم يكن للسامعين قبول

وأما الحجرة الشريفة النبوية فقد بنيت مرات ومن أحسن ما [حكي][6] في ذلك أن السلطان نور الدين [الشهيد][7] حفر حولها خندقًا إلى الماء وملأه بالرصاص المذاب وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة بسبب واقعت النصرانيين. فصار [ذلك][8] صورًا محكمًا على الحجرة واما المقصورة الآن والقبة المشرفة ففي غاية الاتقان والاحكام وهي ملحوظة بعناية الله تعالى للولادة والحكام [ولسنا][9] في صدد اخبار

---

(١) سقط من ب.
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [في].
(٤) بياض في أ.
(٥) في ب [أخبار].
(٦) في ب [ذكر].
(٧) سقط من ب.
(٨) سقط من أ.
(٩) في أ [ولنا].

عمارتها والقيام عليها بل في التعرض لذكر بعض محاسنها فمن ذلك الزيارة التي هي الغنيمة والنعمة السنية العظيمة.

هنيئًا لمن زار خير الورى ... وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة ... [لمن][1] حل طيبة أو زارها

قال العلامة في الجوهر المنظم: نقل المطوعي عن السلف أنهم كانوا قبل إدخال الحجر في المسجد يقفون في الروضة مستقبلين الرأس الشريفة، لتعذر استقبال الوجه الكريم وإذا سن استدبار القبلة في الخطبة لأجل مواجهة السامعين فلأجله أولى.

[وأي][2] بلاد الله حلت به فما ... أراها وفي عيني حلت غير مكة
وأي مكان ضمها [حرم][3] كذا ... أرى كل دار أوطنت دار هجرة

والوقوف أفضل فإن قعد [جثا][4] على ركبتيه. ناظرًا إلى الأرض أو إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر الشريف. [ويغض][5] طرفه عما هنالك من الزينة وغيرها. ويمثل ذاته الشريفة بين عينيه حتى كأنه يراه مع ملاحظة الأدب [والاستغاثة][6].

وما أحسن ما قال:

[بمثلك][7] الشوق الشديد لناظري ... فاطرق أجلالا كأنك حاضر

وقال آخر:

واطراق طرف العين ليس بنافع ... إذا كان [طرف][8] القلب ليس بمطرق

مسألة: إذا وقف وضع يمينه على يساره. على ما قاله الكرماني وروى الإرسال ولكل [وجه][9].

وجه الأول: أنه يستلزم أن يكون الإمساك محاذيًا للقلب، ويستفاد منه أنه لا يمسك كذلك إلا [النفيس][10] ومنه ينتقل إلى أنه لا أنفس من القلب، فيمسك عن الخواطر المذمومة فكان الإمساك الحسي وسيلة إلى الإمساك المعنوي الذي هو روح الصلاة، وسرها المقصود منها.

---

(١) في أ [من].
(٢) في أ [وأرى].
(٣) في أ [حرام].
(٤) بياض في أ.
(٥) في [ويغض].
(٦) في أ [والاستعانة].
(٧) في ب [يمن لك].
(٨) في أ [طراق].
(٩) ثبت في ب [وجهه].
(١٠) ثبت في أ [النفس].

ووجه الثاني: أن الإرسال صورة الانطراح، بل الموت المشار إليه بموتوا قبل أن تموتوا. فحقيقة الحركات والسكنات لله الواحد القهار. [وبملاحظة][1] ذلك يكون الإرسال أولى، وهو سنة أهل البيت فتأمله.

مسألة: يسن للزائر أن يقصد الروضة المطهرة مع الوقار والافتقار فيصلي تحية المسجد، بمصلاة عليه [الصلاة][2] السلام وهو المحراب النبوي ويسجد للشكر على نعمة الوصول إلى هذا المقام. ثم يقصد القبر المكرم نحو الرأس الشريف كما هو المأثور عن أهل البيت. مع أن فيه إيثار الأشراف فهو [اللائق][3] بالأدب ولأنه عليه [الصلاة][4] والسلام «لما فرغ من دفن إبراهيم قال عند رأسه: «السلام عليكم» وهو ظاهر في أن السلام من جهة الرأس ويختم بوقوفه عند القبر الشريف عند نهاية الصفة مما يلي القبلة بصف [اسطوانة][5] التوبة. إذ هو موقف السلف فيدعو ويصلي ويسلم.

وعن المجد اللغوي: السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره أفضل من الصلاة للأخبار الواردة[6].

وينبغي بعد زيارة اللقاء أن يجمع بين الصلاة والتسليم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «لا ينبغي الصلاة من أحد إلا على النبي ﷺ».

---

(١) في ب [وملاحظة].
(٢) سقط من أ.
(٣) في ب [الأليق].
(٤) سقط من أ.
(٥) في ب [اسطوان].
(٦) قال الإمام أحمد في رواية عبد الله بن يزيد بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعًا «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»، ويروى عن العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجد الله توابًا رحيمًا﴾ وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهم القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في النوم فقال: يا عتبى إلحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. وروى البيهقي عن نافع أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه. انظر/ شرح المهذب (٨/ ٢٧٢). المغني لموفق الدين (٣/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩).

وقيل: يقصرها على الأنبياء.

وقيل عليه دونهم.

وقيل: بجوازها مطلقًا بلا كراهة.

وقيل: تبعًا ومثلها السلام، إلا إذا كان تحية لحاضر أو طي غائب حكاه ابن حجر.

مسألة: من استودع السلام قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان. وإبلاغه سنة لأنه للاستمداد منه ﷺ بخلاف إرسال السلام للغائب فإن إبلاغه واجب على من لم يصرح بعدم قبول تحملة عقب التحميل لأن في تركه وسيلة إلى المقاطعة المحرمة[1].

مسألة: نقل ابن الهمام أن مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى استقبال القبر الشريف قال: وما نقل عنه يعني قول الكرماني من استقبال القبلة مردود بما رواه في مسنده عن ابن عمر رضي [الله تعالى][2] عنهما مرفوعًا أنه قال: «من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر إلى القبلة ويقف على نحو أربعة أذرع من جدار القبر الشريف» وذلك أقل من مراتب [البعد][3]. وأما الإطالة وخلافها فهي بحسب الحضور فمن فقده فالانصراف أولى به ويسلم على الصديق الأكبر، والفاروق الأطهر، وإفراد كل بالسلام أولى.

[وعن][4] مالك رحمه الله تعالى: السلام عليكما يا صاحبي رسول الله [صلى الله عليه وسلم][5] وهكذا في بعض مناسك الحنفية. وهل يشير بأصبعه إذا أراد الزيارة إلى الصاحبين كما هو صنيع أهل البادية. قال في مناسك السروجي نعم يشير بيديه إليهما، إذا أراد أن يسلم عليهما ولا أدري ما معنى التخصيص لأنهم يسلمون على النبي ﷺ كذلك.

مسألة: كره مالك رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة دون الثلاثة كلما دخل الرجل المسجد وخرج [الوقوف با][6] لقبر الشريف. قال: وإنما ذلك [للغرباء][7] وذلك كله

---

(١) انظر/ شرح المهذب للنووي (٨/ ٢٧٤).

(٢) سقط من ب.

(٣) ثبت من ب [العبد].

(٤) بياض في أ.

(٥) سقط من «أ».

(٦) بياض في «أ».

(٧) كشط في أ.

قد يفضي إلى [الملل][1] وقلة الأدب والحكم يدور مع العلة وعنه عليه [الصلاة][2] والسلام «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»[3].

مسألة: قال في الجوهر المنظم: مذهب أهل البيت تقبيل القبر ومسه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: لا بأس به[4] وعليه المحب الطبري وابن أبي الصيف وغيرهم من الأجلا كالسبكي وأضرابه[5].

وقال الغزالي في الأحياء. مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى[6]، ولما رجع بلال رضي الله عنه من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر.

---

(١) بياض في «أ».

(٢)سقط من أ.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في قصر الصلاة (١/ ١٧٢)(٨٥). قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث. والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٠) ـ الحديث (٧٣٧٦).

(٤) ليس هذا مذهب الإمام أحمد فقد قال شيخ الإسلام موفق الدين: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا تقبيله. قال الإمام أحمد: ما أعرف هذا. قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقومون من ناحية فيسلمون. قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر يفعل. أما المنبر: فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القارىء انه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من المنبر ثم يضعها على وجهه. انظر/ المغني لموفق الدين (٣/ ٥٩١).

(٥) قال الشيخ النووي: لا يجوز أن يطاف بقبره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد عنه كما يبعد منه لو حضره في حياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم. وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعًا «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية لمسلم «من عمل عملاً ليس عليه عملنا فهو رد». وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا: «لا تجعلوا قبري عبدًا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» أخرجه أبو داود بإسناد صحيح. قال الشيخ النووي: وقال الفضل ابن عياض ـ رحمه الله ـ ما معناه: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب. انظر/ شرح المهذب (٨/ ٢٧٥).

(٦) قال حجة الدين الغزالي: وليس من السنة أن يمس الجدار، ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام. انظر/ إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٦٠).

وعن الزهراء البتول رضي الله تعالى عنها لما قبر عليه [الصلاة][(1)] والسلام أخذت قبضة من تراب قبره [عليه الصلاة والسلام][(2)] وجعلته على عينيها وبكت وأنشدت:

ماذا على من شم تربة أحمد | أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصاب لو أنها | صبت على الأيام صرن لياليا

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن مروان أقبل فرآه ملتزم من القبر المكرم، فأخذ برقبته. وقال: هل تدري ما تصنع قال: نعم لم آت الحجر وإنما أتيت رسول الله ﷺ.

لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله | ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله

وعن بعضهم:

اتبع طريق الهدى | ولا يضرك قلة السالكين
وإياك وطرق الضلالة | ولا تغتر بكثرة الهالكين
وهذا الحق ليس به خفاء | فدعني من بنيات الطريق

[مسألة][(3)]: إن قيل: ما [حكمة][(4)] دفنه عليه [الصلاة][(5)] والسلام بالمدينة المنورة وقد جاء أن كل أحد إنما يدفن في المحل الذي خلق منه وإنما خلق عليه [الصلاة][(6)] والسلام [من الطينة التي خلقت منها الكعبة][(7)].

[قيل][(8)]: حكمة افراده عن مكة [المشرفة][(9)] بمحل بعيد منها ليكون متبوعًا لا تابعًا، ولتتمايز الناس في شد الرحال إلى [نصوصه][(10)].

[وقد][(11)] حكى صاحب عوارف المعارف أن الطوفان لما علا الكعبة موج منها موجةً إلى كل محل قبره الشريف فهو في الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة.

وحكى السهروردي أن سليمان عليه السلام زار محل قبر محمد ﷺ وأخبر بأنه سيقبر فيه، واختصاص المدينة بذلك من بين قرى الحجاز لأنها باعتبار ذاتها لا بما عرض لها من نحو [حماها][(12)] مع أنها نقلت إلى الحجفة أعذب أرض في تهامة

---

(1) سقط من أ.
(2) سقط من أ.
(3) بياض في أ.
(4) في ب [حكم].
(5) سقط من ب.
(6) سقط من أ.
(7) في ب هكذا [من طينة الكعبة].
(8) سقط من أ.
(9) في ب [الشريفة].
(10) ثبت في ب [بخصوصه].
(11) سقط من أ.
(12) في ب [حمامها].

[وأعدلها][1] وأكثرها ماءً ونخيلاً، وأحسنها أهلاً ومقيلاً سيما وفيها أخوال نبينا صلى الله تعالى وسلم عليه وأنصاره [إلى][2] غير ذلك من محاسنها ومحاسنهم الجمة التي لا تكاد توجد في غيرهم.

وما أحسن ما قال:

زر أشرف الرسل الكرام وإن بنا بك [منزلاً][3] وشط قرب مزاره
فعليك بالتاريخ يا [مغرم][4] به لتشاهد الأخبار من آثاره

مسألة: قال العلامة ابن حجر في كتابه الجوهر [أن][5] النبي صلى الله تعالى وسلم عليه حي يرزق، أي من المعارف الربانية والكرامات الرحمانية ما يليق بعلي مقامه ويتلذذ [به][6] في قبره. كما كان يتلذذ به قبل وفاته ولكونه غذاءً لروحه الشريف عبر عنه بالرزق.

مسألة: النفس كلما كان استيلاؤها على ما ليس من شأنه الدخول تحت حيازتها، لولا ما اختصت به من ضروب مقاهرته كانت به أشد ابتهاجًا وأنشدوا:

رأيت النفس تسأم ما لديها وتطلب كل ممتنع عليها

وقد أجمعوا على أن إحساس النفس بالملائم والمناقي بعد مفارقة البدن أشد وأقوى للتخلي له، فيكون الإدراك بالحواس الباطنة أقوى لشبهها عند خلوها بهذه الحواس بحالة المفارقة وقالوا [بتصور][7] الذات المحمدية بما وصفت به سبب لمشاهدتها التي هي من أسنى المطالب [إشارة في ضمن بشارة][8] روى عنه عليه الصلاة والسلام «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة[9] ولا يتمثل بي

---

(١) في ب [وأهلها].

(٢) في ب [و].

(٣) في ب [تزل].

(٤) في أ [مغرى].

(٥) سقط من أ.

(٦) سقط من أ.

(٧) في ب [تصور].

(٨) سقط من أ.

(٩) قال القاضي أبو بكر بن العربي: رؤية النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل، قال: وشذ بعض القدرية فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً، وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة. وقال بعض المتكلمين: هي مدركة بعينين في القلب. قال: وقوله [فسيراني]: معناه فسيري تفسير ما رأى لأنه حق وغيب ألقى فيه. وقيل: معناه فسيراني في القيامة، ولا فائدة في هذا =

. . . .

= التخصيص وأما قوله [فكأنما رآني]: فهو تشبيه ومعناه: أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقًا وحقيقة، والثاني حقًا وتمثيلاً قال: وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثال، فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائي وفيه وعلى العكس فبالعكس. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١). قال الشيخ النووي: قال القاضي: ويحتمل أن يكون قوله ﷺ ـ فقد رآني أو فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي المراد به إذا رآه على صورته المعروفة له في حياته، فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة. قال الشيخ النووي: وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها لما ذكره المازدي. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥). قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: اختلف في معنى الحديث فقال قوم: هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء. قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل. قال الحافظ: وقالت طائفة: معناه أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها، ويلزم منه أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنه يرى في القوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، وتقع تلك الرؤيا حقًا كما لو رؤي ملأ دارًا بجسمه مثلاً فإنه يدل على امتلاء تلك الدار خيرًا. ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، فالأولى أن تنزه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه أو مما ينسب إليه عن ذلك فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته. قال: والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة، ولا أضغاثًا بل هي حق في نفسها. ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وقال: وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، ويؤيده قوله [فقد رأى الحق] أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي، وإما لينزجر عنه وإما لينبّه على حكم يقع له في دينه أو دنياه. وقال ابن بطال: قوله [فسيراني في اليقظة] يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وليس المراد أنه يراه في الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة فتراه جميع أمته من رآه في النوم ومن لم يره منهم. وقال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذٍ غائبًا عنه فيكون بهذا مبشرًا لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته قاله القزاز. وقال المازدي: إن كان المحفوظ [فكأنما رآني في اليقظة] فمعناه ظاهر وإن كان المحفوظ [فسيراني في اليقظة] احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه فإنه إذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. وقال القاضي: وقيل معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها. وقيل: معنى الرؤيا في =

الشيطان»[1][2]. وعنه من «رآني فقد رأى الحق»[3][4]. وعنه «من رآني فلن يدخل النار»

= اليقظة أنه سيراه في الآخرة. وتعقب: بأنه في الآخرة يراه جميع أمته من رآه في المنام ومن لم يره يعني فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية. وأجاب القاضي عياض: باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك في الخصوصيات قال: ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مدة. قال الحافظ ابن حجر: وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر: فذكر عن ابن عباس أو غيره أنه رأى النبيّ ـ ﷺ ـ في النوم فبقي بعد أن استيقظ متفكرًا في هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التي كانت للنبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فنظر فيها فرأى صورة النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم ير صورة نفسه ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك. قال الحافظ: قلت: وهذا مشكل جدًا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة. ويعكر عليه أن جمعًا جمًا رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنهم رأوه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف. قال: وقد اشتد إنكار القرطبي على من قال من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة قال: وقد تفطن ابن أبي جحوة لهذا فأحال بما قال على كرامات الأولياء فإن يكن كذلك تعين العدول عن العموم في كل داء، ثم ذكر أنه عام في أهل التوفيق وأما غيرهم فعلى الاحتمال، فإن خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصديق بطريق الكرامة والإكرام وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة. قال الحافظ ابن حجر: وقال القرطبي: قد تقرر أن الذي يرى في المنام أمثلة للمرئيات لا أنفسها، غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها: فمن الأول: رؤياه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عائشة وفيه «فإذا هي أنت»، فأخبر أنه رأى في اليقظة ما رآه في نومه بعينه. ومن الثاني: رؤيا البقر التي تنحر والمقصود بالثاني التنبيه على معاني تلك الأمور. ومن فوائده رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تسكين شوق الرائي لكونه صادقًا في محبته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله [فسيراني في اليقظة]، أي من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق إلى مشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبة وظفر بكل مطلوبه. قال: ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته وهو دينه وشريعته، فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢). شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٤ ـ ٢٥).

١) قال الحافظ: قال المازري: اختلف المحققون في تأويل هذا الحديث فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله [من رآني في المنام فقد رآني] أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثًا ولا من تشبيهات الشيطان. قال: ويعضده قوله في بعض طرقه «فقد رأى الحق» قال وفي قوله [فإن الشيطان لا يتمثل بي] إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثًا. ثم قال المازري: وقال آخرون: بل الحديث محمول على ظاهره والمراد أن من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى صرف الكلام عن ظاهره، وأما كونه قد يرى على غير صفته أو يرى في مكانين مختلفين معًا فإن ذلك غلط في صفته وتخيل لها على غير ما هي عليه، وقد =

. . . .

= يظن بعض الخيالات مرئيات لكون ما يتخيل مرتبطًا بما يرى في العادة فتكون ذاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية، والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر ولا قرب المسافة، ولا كون المرئي ظاهرًا على الأرض أو مدفونًا، وإنما يشترط كونه موجودًا، ولم يقم دليل على فناء جسمه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل على بقائه وتكون ثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات كما قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخًا فهو عام سلم أو شابًا فهو عام حرب، ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأقواله كما لو رآه أحد يأمره بقتل من لا يحل قتله فإن ذلك يحمل على الصفة المتخلية لا المرئية. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠٣). قال الشيخ النووي: قال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقد رآني أو فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»، المراد به إذا رآه على صفته المعروفة له في حياته، فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة. قال الشيخ النووي: وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازدي. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥). قال الحافظ ابن حجر: وهذا الذي ردّه الشيخ تقدم عن محمد بن سيرين إمام المعبرين اعتباره، والذي قاله القاضي توسط حسن، ويمكن الجمع بينه وبين ما قاله المازري بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير، وإذا كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائي لتخيله الصفة على غير ما هي عليه، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى التعبير، وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه، وأشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أن الصورة كما هي، فقال أبو سعد أحمد بن محمد بن نصر: من رأى نبيًا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه، ومن رآه متغير الحال عابسًا مثلاً فذاك دال على سوء حال الرائي. قال الحافظ: ونحا الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إلى ما اختاره النووي فقال بعد أن حكى الخلاف: ومنهم من قال: إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً، فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو يتصور على صورته أصلاً فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين. قال: وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا. . . لأنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نوراني مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها، وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها، ولا شين، وكذلك يقال في كلامه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره. قال: وهذا خبر ما سمعته في ذلك. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤). قال الشيخ النووي: قال القاضي: قال بعض العلماء: خصّ الله تعالى النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأن رؤية الناس إياه صحيحة وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء =

وفي رواية لن يدخل النار من رآني كذا في التحفة الفاخرة في إصلاح الدنيا والآخرة، وفي المواهب اللدنية عنه عليه [الصلاة][1] السلام «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة. أو فكأنما رآني في اليقظة ولا يتمثل بي الشيطان».

وعنه: «من رآني في المنام فقد رآني. إنه لا ينبغي الشيطان أن يتمثل في صورتي»[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: رؤيته صلى الله تعالى وسلم عليه بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير [صفته][3] إدراك المثال فإنه الصواب ان الأنبياء [عليهم السلام] لا تغيرهم الأرض فيكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات

= ـ عليهم السلام ـ بالمعجزة وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور فحماها الله تعالى من الشيطان، ونزعه ووسوسته وإلقائه وكيده، وكذا حمى رؤيتهم أنفسهم. انظر/ شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥). قال الحافظ ابن حجر: قلت: ويظهر لي في التوفيق بين جميع ما ذكروه أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه ولو كانت سائر الصفات مخالفة، وعلى ذلك فتتفاوت رؤيا من رآه فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذي لا يحتاج إلى تعبير وعليها يتنزل قوله [فقد رأى الحق]، ومهما نقص من صفاته فيدخل التأويل بحسب ذلك، ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في التعبير (١٢/ ٤٠٠) ـ الحديث (٦٩٩٣). ومسلم في الرؤيا (٤/ ٧٧٦) ـ الحديث (٢٢٦٧). والدارمي في الرؤيا (٢/ ١٦٦) الحديث (٢١٤٠) والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٠) ـ الحديث (٢٢٦٧٢). والبغوي في شرح السنة (١٢/ ٢٢٦) ـ الحديث (٣٢٨٧).

(٣) أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى خير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠١).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في التعبير (١٢/ ٣٩٩) ـ الحديث (٦٩٩٣). ومسلم في الرؤيا (٤/ ١٧٧٥) ـ الحديث (١١/ ٢٢٢٦). وأبو داود في الأدب (٤/ ٣٠٧) ـ الحديث (٥٠٢٣). وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٢/ ١٢٨٤) ـ الحديث (٣٩٠٠). والبغوي في شرح السنة (١٢/ ٢٢٧) ـ الحديث (٣٢٨٨).

(١) سقط من أ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في تعبير الرؤيا (٢/ ١٢٨٤) ـ الحديث (٣٩٠٣). والإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٨٨) ـ الحديث (٣٥٥٨).

(٣) في ب [صورته].

إدراكًا للمثال قوله «فسيراني» تفسيره فسيرى ما رأى لأنه حق [وغيب][(١)] قوله «فكأنما رآني» قيل معناه انه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الأول حقًا وحقيقة والثاني حقًا وتمثيلاً، وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة [فإن رآه على خلاف صورته المعروفة][(٢)] في حياته فهي أمثال والمعتمد أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا اضغاث أحلام[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رأى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في النوم فبقي [متفكرًا][(٤)] في هذا الحديث بعد أن استيقظ فدخل على بعض أمهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه فنظر فيها صورة النبي عليه السلام ولم ير صورة نفسه.

وتم وراء النقل علم يدق عن مدارك غابات العقول السليمة.

[وقال][(٥)] الغزالي ليس معنى قوله «فقد رآني» انه رأى جسمي وإنما المراد انه رأى مثالاً صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه والآلة تكون تارة حقيقة وتارة خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله تعالى وسلم عليه ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق.

وقال في بعض فتاويه: من رأى الرسول ﷺ في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة المنورة وإنما رأى مثاله لا شخصه وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل.

قال الطيبي المعنى من رآني في المنام بأي صفة كنت [فليبشر][(٦)] وليعلم أنه قد رآني رؤيا الحق وكذا قوله فقد رآني [فالشرط والجزاء إذا اتحدا دلا على الغاية في الكمال أي فقد رآني][(٧)] رؤيا ليس بعدها شيء ولا يخفى طيب نشر هذا القول.

وما أحسن ما قال:

ليته خصني برؤية وجه ... زال عن كل من رآه الشقاء

---

(١) في ب [وغلب].
(٢) سقط من ب.
(٣) نقل هذا عن القاضي أبي بكر بن العربي الحافظ ابن حجر. انظر/ فتح الباري (١٢/٤٠٠).
(٤) في ب [منكرًا].
(٥) سقط من أ.
(٦) في أ [فليبتشر].
(٧) سقط م أ.

أو بـتـقـبـيـل راحـة كـان لـلـه وفـي الـلـه أخـذهـا والـعـطـاء

وأما رؤيته صلى الله تعالى وسلم عليه في اليقظة بعد موته فلم تنقل عن أحد من الصحابة والتابعين وقد اشتد حزن فاطمة صلوات الله على أبيها وعليها عليه حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر وبيتها مجاور لضريحه الشريف. ولم [ينقل] عنها [رؤيته][1] في المدة التي تأخرتها عنه وإنما يحكى ذلك عن بعض الصالحين. عن أنفسهم أنهم رأوه في المنام فرأوه في اليقظة أخذًا بظاهر حديث «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة».

قيل: والمنكر لذلك إما أن يكون ممن يؤمن بكرامات الأولياء أولاً، فإن كان الثاني فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتت السنة بالدلائل الواضحة وإن كان الأول فهذه منها لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي، مع التصديق بذلك.

[قال][2] الشيخ أبي السعود: لم يكن لي شيخ إلا النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وإنه كان يصافحه عقب كل صلاة.

وقال الغزالي: أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد.

وما أحسن ما قال:

رأى الشمس لا تبقى النجوم لعينه [فظن][3] النجوم الأفق قد [عدمت][4] وهما

رويـدك لا أن الـنـجـوم تـغـيـبـت ولـو قـويـت عيـنـاك مـا فـقـدت نـجـمـا

فكن عبد ما تبدو من الحسن واتخذ إلى القبح معنىً يجعل القبح حسنًا [ما][5]

ودعـنـي وحـالـي فـهـو حـالـي بـروضـة زهـت وغـديـر صـفـقـت ورشـا الـمـا

ودع لائـمًا فـي العـشـق قـد مـات فـهـمـه فهل قادر [على][6] أن تستعير له فهما؟

وبالجملة فالقول برؤيته بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس وخلو قبره من جسده الشريف فلا يبقى منه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب، أشار إلى ذلك «القرطبي» في الرد على القائل بأن الرائي له في المنام رأى حقيقية ثم يراه كذلك في

---

(١) في ب [رؤيتها - صلى الله عليه وآله وسلم -].

(٢) في ب [وعن].

(٣) في ب [وظن].

(٤) في أ [عدم].

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من ب.

اليقظة قال: وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى سكة من المعقول وملتزم شيء من ذلك مختل [مجنون][1][2].

وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمة:

فمن يدعي في هذه الدار أنه ... يرى المصطفى حقاً فقد فاه مشتطا

ولكن بين النوم واليقظة التي ... تباشر هذا الأمر مرتبةً وسطا

كذا في المواهب.

وقال مولانا السيد صبغة الله. قدس [الله][3] روحه العزيز عند قوله [وخلوه][4] من قبره فيه نظر وتأمل لا يخفى.

قلت: لعله ينظر من طرف خفي إلى قول أبي الطيب المتنبي:

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورًا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا

وما أحسن ما قال الآخر:

وما البدر إلا واحد غير أنه ... يغيب ويأتي بالضياء المتجدد

فلا تحسب الأقمار خلقًا كثيرة ... فجملتها من نير متعدد

[وفي الحي هيفاء المعاطف لو بدت ... مع الورق كأن الوقت فيها تغنّت

عجبت لها في حسنها إذا انفردت ... لأية معنى يفد نراك تشتت][5]

[وما أحسن ما قال][6]:

[تري][7] ترى منه عيني ما وعت أذني ... ويشرح الخبر ما قد أجمل [الخبر][8]

[فعشقتي][9] فيه لأن رؤية عرضت ... والسمع يدرك ما لا يدرك البصر

[وما أحلى ما قال]:

فمن كان من كنز المواهب منفقًا ... فليس فقيرًا للتعمل والكسب

---

(١) ثبت في أ، ب [مجنول].

(٢) نقل هذا عنه الحافظ ابن حجر. انظر/ فتح الباري (١٢/ ٤٠١).

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط من ب.

(٦) سقط من أ.

(٧) سقط من ب.

(٨) في ب [الخير] بالمثناة التحتانية.

(٩) في أ [فعشقتي].

ومن كان في وجه الكريم مطالعًا فليس فقيرًا للرواية والكتب

وأقول:

أرى مطالعتي في الكتب ما نفعت لعل وجهك يغنيني عن الكتب

فمن رأى وجهك الباهي [ومهجته][1] فإنه في غنى عن كل مكتتب

مسألة: قال في الجوهر: ليس للإنسان أن يشم طيبًا في كل يوم. فإن لم يستطع ففي كل يومين فإن لم يستطع ففي كل جمعة.

قلت: من محاسن المدينة وفضل سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن في كل ليلة جمعة يطلق أنواع البخور والعنبر في الحجرة المعطرة فيشمه كل من كان في المسجد الشريف ويكتفي به الفقير والعاجز.

مسألة: تجاه الوجه الشريف في الجدار مسمار من فضة مموه بالذهب في رخامة حمراء. من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف.

قال ابن حجر في الجوهر المنظم [قلت][2]: وكان يسمى الكوكب الدري حتى كانت أيام [المقدس المبرور][3] السلطان ابن السلطان ابن السلطان مولانا السلطان أحمد خان عليه الرحمة والرضوان فجعل عليه حجران من الألماس مكفوتان [بالفضة والذهب][4] فهما من أثاره الحسنة زاد الله في حسناته وجعل الملك في عقبه ما دارت بسعادتهم أفلاك عناياته وعلى ذكر الكوكب [فلله][5] در الفاضل [ابن سراج حيث يقول][6]:

الكوكب الدري من شأنه يخفي معاوجه السراج المنير

فكثروا الجوهر [أو قلل][7] [سواه][8] فالجوهر الفرد عديم النظير

[وللسلطان][9] أحمد خان عليه الرحمة والرضوان الأثار الحسنة والمآثر المستحسنة [والصلات][10] الجاري ثوابها في صحائفه والهبات التي خلدت في صحف أخبار مكارمه ولطائفه ومن أحسن آثاره الباقية حسناتها على تعاقب الملوان[11] الحنفية

---

(١) في ب [وبهجته].

(٢) ثبت في أ [قال].

(٣) سقط من أ.

(٤) في ب [من الذهب والفضة].

(٥) بياض في أ.

(٦) سقط من أ.

(٧) في ب [وقللوا].

(٨) سقط من ب.

(٩) في ب [والسلطان].

(١٠) في أ [والصلاة].

(١١) الملوان: الليل والنهار أو طرفاهما. انظر/ القاموس المحيط (٤/ ٣٩١).

المجاورة لباب الرحمة، فإنه حسن [وصفها][1]، وعم من في المدينة المنورة نفعها.

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى [آثارنا][2]

[أو كما قال][3]:

همم الملوك إذا أرادوا [ذكر][4] من بعدهم [فبالس][5] البنيان
إن البناء إذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الباني

وعلى [الخصوص][6] ذلك [السبيل][7] المشتمل على الماء السلسبيل فإنه عز وسما وصفه على الواصف وأبى [إلا][8] أن يتزايد [ثوابه][9] المتضاعف:

سلسبيل الماء فيه مطلق قيد الناس بطيب المورد
قد سرى بين رياض [دبجت][10] برخام أبيض في أسود
وجلا في العين من مرمرة شكل زهر جل على قطف اليد

وفي سنة سبع وأربعين وألف من الهجرة المأمونة من الرجف قدم المولى الذي تشرفت ديباجة هذا الكتاب بألقابه الشريفة [وتعطرت أزهار أوراقه بنشر شمائله السائقة][11] اللطيفة. لا زالت رايات العزّ بسعوده خافقة وسواجع السعد بصعوده ناطقة ولا برحت أعوامه مواسم التهاني وأيامه مباسم الأماني. أعياده تعود مجددة السعود مغدقة بالجود، أيامه عائدة وقد خلدت محامده بالدعوات الصاعدة وذلك بعد قضائه المناسك الشريفة إلى هذه المدينة المنيفة ومعه حجر من الألماس محفوف بأحجار مختلفة [مكفوتة][12][13] بصفائح الفضة والذهب. وهذا الحجر من آثار صدر الدولة العثمانية وركنها الشديد وعمار الخلافة الخاقانية وأمينها الرشيد المسدد بعناية الله تعالى في الأقوال والأفعال القائل فيه بشهادة الواقع لسان الحال:

ليس الزمان بصالح إلا على تدبيره في النقض والأبرام

---

(١) في أ [وضعها].
(٢) في أ [الآثار].
(٣) في ب [ومن أحسن ما قال].
(٤) في أ [ذكرها].
(٥) هكذا في أ، ب.
(٦) في أ [الشخوص].
(٧) سقط من ب.
(٨) في ب [أن لا].
(٩) في ب [صوابه].
(١٠) في ب [ربجت] بالمثناة التحتية.
(١١) سقط من ب.
(١٢) في ب [مكفوفة].
(١٣) أي مضمومة ـ القاموس المحيط (١٥٦٨).

ألا وهو الصدر الذي تحملت به صدور المواكب وأصبح بين أقرانه كالبدر بين الكواكب أجل [وزراء][١] خليفة الله تعالى على مسطح البسيطة شرقًا وغربًا وأجمل من شمله نظر سلطان من سلاطين الأمة ومنحه قربًا. أنيس الحضرة السلطانية وجليس الدولة الخاقانية عمدة أصحاب العز والتمكين، قدوة الخواص والمقربين المتحلى بالنعوت الكريمة المصطفوية المتخلي إلا عن الكمالات النبوية المحفوظ من الاغيار [والأكدار][٢] مولانا مصطفى باشا سلام دار لا زال المستحق يستوفي من ذمة الزمان في أيامه الشريفة ديونه ولا برح من الأنصار [يعلو][٣] همته وإحسانه لمن هاجر إلى هذه المدينة والله تعالى يبقيه صدرًا منشرحًا تتعالى عقود الممالك منه بحسن النظام وبحسن خاتمته إن شاء الله تعالى يصير مسكًا لكل ختام، وبالدعاء أرى ختم الكلام له فما توفيه حق المدح أقلام اللهم يا من بيده مقاليد الأمور ويا من يبدل القضاء المبرم بسابق لطفه وصالح الدعاء المبرور أيده بملاحظة عناية مولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم الأفخم المنوه باسمه الكريم في صدر هذا الكتاب. المفضي له بالسعد المؤبد على تعاقب الأحقاب لا زالت مقاليد الأمور بيديه كأعنة حياده [مذللاً] تحت قدمه الشريف كالركاب [حزب][٤] اعاديه وأضداده ولا برح كل مستحق مستوفيًا في أيامه الشريفة ما كان له في ذمة الزمان من الديون ممتعًا بالارتشاف من عذب هذا المنهل الذي ما برح عينًا يشرب بها المقربون والله تعالى يمده بعنايته في [إقامته][٥] [ومستقره][٦] ويجعل مبتدأ [رحيله][٧] مقترنًا بحسن خبره آمين آمين لا أرضى بواحدة. بل ألف آمين في [ألف][٨] أمينًا فوضع المولى المنوه باسمه الكريم أعلاه. دام غلاه ذلك الحجر المكرم تحت الحجرين المذكورين جدار الضريح المعظم [فزاد به][٩] شعار الإسلام جمالاً واكتسب بهذه الخدمة السنية فضيلة وكمالاً.

وإذا سخر الإله أناسًا … لسعيد فإنهم سعداء

وقلت [أنا][١٠] في ذلك، وان لم [أكن حاضرًا هناك][١١]:

زار خير الأنام خير همام … قد تسمى شعبان وهو ربيع
عم جيران أحمد بنوال … دون ذاك النوال خصب مريع

(١) في ب [وزراه].
(٢) في أ [الكدار].
(٣) في أ [بعلق].
(٤) في ب [حزب].
(٥) في ب [إقامته].
(٦) سقط من ب.
(٧) في أ [رجله].
(٨) في ب [ألفين].
(٩) في أ [فزاهية].
(١٠) سقط من أ.
(١١) غير واضحة في أ.

جاء بالجوهر الثمين لطّه من وزير وهو الجناب [المنيع][1]

مصطفى المجد والندى والمعالي وسلحدار نعمة لا تضيع

يا له جوهرًا تسامى وسامى بمقام فيه الثنآء يضوع

عند وجه النبي قد وضعوه فغدا وهو مشرق ولموع

كان هذا في عام سبع وألف وتمام النظام فيه بديع

وبالجملة فإن هذا الحجر الميمون مما زان وازدان وصار أثرًا حسنًا يبقى إن شاء الله تعالى على ممر الزمان.

[وما أحسن ما قال في غير هذا المجال

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيد ابن أطيب الطيب حسنًا إن تمسيه ابن مثلك ابنا][2]

وما أحسن ما قال في غير هذا المجال:

أقول والدر على جيدها يزهو بما فيها من الزين

ما علق الجوهر في نحرها إلا لما تخشى من العين

مسئلة: قال العلامة ابن حجر في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم: النظر إلى الحجرة المعطرة والقبة الشريفة عبادة كالنظر إلى الكعبة المشرفة [يعني][3] أن الناظر إليها يثاب عليها حيث ورد كما رواه أبو الشيخ عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعًا «النظر إلى الكعبة عبادة»[4] [وروى]* الطبراني والحاكم. «النظر إلى علي عبادة»[5].

---

(١) في ب [المنيح].

(٢) سقط من أ.

(٣) في ب [بمعنى].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٣٦) ـ الحديث ٩١٧٣ ـ ٩١٧٥) بلفظ [النظر إلى البيت عبارة].

(٥) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة (٣/ ١٤١). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وشواهده عن عبدالله بن مسعود صحيحة وتعقبه الذهبي وقال: ذا موضوع وشاهده صحيح. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٧٦ ـ ٧٧) بلفظ [النظر إلى وجه علي عبارة]، وفي سنده أحمد بن بديل وهو ضعيف قال ابن عدي: عامة ما يرويه عن حفص بن غياث وغيره مناكير، وله أحاديث لا يتابع عليها عن قوم ثقات. مختصر الكامل (ص/ ١٠٨/ ٢٣) ـ وفيه أيضاً يحيى بن عيسى. قال ابن عدي: ما يرويه لا يتابع عليه، وضعفه غيره. =

[قيل][1] معناه أن عليًا رضي الله عنه كان إذا برز قال الناس لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى فكانت رؤيته رضي الله عنه تحملهم على كلمة التوحيد كذا في النهاية.

والحاصل أن كل ما يكون النظر إليه يدل على الحق فهو عبادة كما روي أن أولياء الله تعالى هم الذين إذا رأوا ذكروا الله تبارك وتعالى.

وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها ... سجدت على أعتابهن عقول

وقال آخر:

[وجه][2] عليه من الحياء سكينة ... ومهابة تجري مع الأنفاس
وإذا أحب الله يومًا عبده ... ألقى عليه محبةً للناس

ومن الأشعار التي يجوز أن تنشد تجاه الحضرة النبوية وسمع بإنشاد بعضها من بعض العلماء عند القبر الشريف وحصل بإنشاد بعضها المدد الشامل الوسيع من ذلك الجناب الرفيع:

إليك وإلا [لا][3] تشد الركائب ... وعنك وإلا فالمحدث كاذب
وفيك وإلا فالرجا مخيب ... ومنك وإلا لا تنال الرغائب

ومنها للشيخ عبد الرحيم البرعي:

يا سيد العرب العرباء معذرة ... لنادم القلب لا يغني تندمه

= مختصر الكامل (٨١٨/ ٢١١٤) ـ وقال العجلي: كان فيه تشيع. انظر: تهذيب التهذيب / ١١/ ٢٢٩) ـ (٧٩٤١). قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً: وفيه أحمد بن بديل اليامي: وثقه ابن حبان وقال مستقيم الحديث وابن أبي حاتم وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وعزاه للطبراني عن طليق بن محمد قال رأيت عمران بن الحصين يحد النظر إلى عليّ فقيل له. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: النظر إلى عليّ عبادة قال: وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (١٢٢/٩).

* بياض في أ و ب.

(١) سقط من أ.

(٢) في ب [وجوه].

(٣) سقط من أ.

يا صاحب الوحي والتنزيل مرحمة فأنت تعفو عن الجاني وتكرمه
أثقلت ظهري [بأوزاري][1] وجئتك لا قلب سليم ولا شيء أقدمه
لك الجميل من الذكر الجميل ومن كل اسم جود عظيم الجود أعظمه
فانهض بضيع كتيب أنت ملجؤه وامنعه من كل خطب مر مطعمه
واجعله منك بمرأى العين مكرمة [إذا ألم][2] به من ليس يرحمه
وإن دعا فأجبه وارحم جانبه يا خير من دفنت في القاع أعظمه
عليك من صلوات الله أكملها يا ماجدًا عمت الدارين أنعمه
والآل والصحب ما لاح النجاح وما حامت على أبرق الجنان حومه

ومن ذلك في هذه المسالك:

إن لم أكن أهل [أهيل][3] لقربكم أو كنت يا سيدي قد ساءني أدبي
هبني على الباب مطروحًا قربها تمر بي نفحات منك تدخل بي

ومن هذه [متحب][4] البهية [والتعب][5] الشهية.

لا أبرح الباب حتى تصلحوا أعوجي وتقيلوني على عيبي ونقصاني
فإن مننتم [فيا عزي][6] ويا شرفي وان منعتم فيا ذلي وخسراني

ومن هذا الفن المشتهى والحسن الذي انتهى:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك [كي][7] تحظى بها شفتي

حكى الجلال السيوطي أن السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى أنشد هذين البيتين عند القبر الشريف فبرزت اليد الكريمة من تحت الستر حتى قبلها وظفر [بيمنها][8] وبركتها وما أحسن ما قاله:

إذا لحت بي ناجتك كل جوارحي وإن غبت عن [العين][9] أناجيك بالقلب
فأنت [في][10] قلبي حضورًا وغيبة وأنت جلا عيني في حالة القرب

---

(١) في أ [بأوزار].
(٢) في ب [إذا لم يكن].
(٣) في أ [تأهيل].
(٤) كلمة غير مقروءة في أ وهكذا ثبت في ب.
(٥) كلمة غير مقروءة في أ وهكذا ثبت في ب.
(٦) في ب [واعزي].
(٧) سقط من ب.
(٨) في ب [بعها].
(٩) في ب [عيني].
(١٠) في ب [مليء].

ومن هذه الدرر في هذه الغرر:

كل ربع تحل فيه ربيع ... كل دارٍ حوتك دار المقامة
كل يوم أراك فيه [معيد][1] ... النحر عندي في حلق أهل الملامة

ومما راق مبناه ورق معناه:

نعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى إليك على عيوني ... تداني الحي أو بعد الطريق
إذا كانت تحن لك المطايا ... فماذا يفعل الصبر المشوق

ومن هذا

[ومن ألطف ما قال][2]:

هبنا ومن أمسى وأنت حبيبه ... ولو أن نيران الغرام تذيبه
وطوبى لقلب أنت ساكن سره ... ولو بان عنه الفه وقريبه
وتبا لمطرود عن الباب مبعد ... لقد ضاق في هذا الوجود رصيبه

[ومن هذا النظم العامي والكلام العالي][3]

يا طيب الأصلين يا من قربه ... يهدي المسرة للأحبة والهنا
إن لم تكن عيني فإنك نورها ... أو لم تكن قلبي فأنت له المنا

[ومن هذه الدر المكنون في سلك هذا الفنون][4]:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحي والذي أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى إلى غير بابكم ... وفاز الذي يومًا إلى بابكم يسعى

وما [أوقع ما قال في كثير][5] من الرجال:

إني وإن بعدت داري لمقترب ... منكم بحسن موالاة وإخلاص
قرب وإن أبدى مودته ... أشهى إلى القلب [منه][6] النازح القاصي

[ولله در القائل][7]:

---

(١) في ب [عند].
(٢) سقط من أ.
(٣) غير مقروء في أ.
(٤) سقط من أ.
(٥) سقط من أ.
(٦) سقط من أ.
(٧) سقط من أ [ناقصة].

حاولتها فوجدت أسباب الرجا ... موصولة باليأس من [أسبابها][1]

إلا لمن أعطى الصبابة حقها ... وأتى بيوت الحي من أبوابها

أنشد الجمال الطبري لنفسه:

أنخ أيها الصادي الشديد ظمؤه ... ورد منهلاً أحلى من الشهد ماؤه

وسل عند باب المصطفى أي حاجة ... أردت وما تهوى فرحب فناؤه

[ومما تحرك له القلب][2] ومما رق [نسيمه][3] وراق تسنيمه:

أنخ الركائب في فناء الدار ... وانزل بساحتها نزول الجار

يهنيك يا سعد الوصول إليهم ... فلقد بلغت منازل الأبرار

ومن الآداب السنية، الموصولة المناهل البهية:

أنخ مطاياك إن ظفرت بهم ... واطلب قراهم فإنهم عرب

واسع على الرأس خاضعًا فعسى ... يشفع فيك الخضوع والأدب

[سلم سلمت على سلمى بذي سلم ... وسل سليمى عن المحجوب في الخيم

والثم لثام تمام حول حلتها ... طاب به نسمات الطيب في النسم][4]

[ومما يرتشفه السمع راحا [ويمدحه عليه في النسيم من الدقة حيالها][5]

غير ليلى لا [بد]* يرى في الحي شيء ... سل متى [ما]* ارتبت عنها كل حي

كل شيء سرها فيه تسري ... فلذا يثنى عليها كل شيء][6]

ومما يتحرك له الرأس في هذا الجناس:

إذا نحن أثنينا عليك نصائح ... فأنت كما تثني وفوق الذي تثني

وإن جرت الألفاظ منا بمدحه ... لغيرك إنسانًا فأنت الذي نعني

---

(١) في أ [أشبابها].

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من أ.

(٥) هذان البيتان مقدمان على [سلم سلمت على سلمى... الخ] في ب. ويكون ترتيب الأبيات هكذا. ومما يرتشفه السمع راحا ويمدحه عليه.... الخ. ثم: سلم سلمت على سلمى بذي سلم... الخ. ثم: انخ الركائب في فناء الدار.... الخ. ثم: ومما يتحول له الرأس في هذا الجناس... الخ.

(٦) * سقط من ب.

ومن أصدق المدح في سلك هذه الملح:

المدح يدري إنكم أكبر	من كل ما ينظم وينثر
وإنما يثني على فضلكم	كل ولي بالذي يقدر
وكيف يقضي حقكم مادح	ضلت قوافيه بكم تفخر

ومن أحسن الكلام في مثل هذا المقام:

نعم هذه الدار الذي أنت تطلب	إلى أين عنها يا لك الخير تذهب
أعن دار سعدى بعدما بان بانها	وفاح شذا أنفاسها تتجنب
ولاحت وهو يومًا توارت وإنما	بتنزيهها عن ذاك طرفي يكذب

ومن أحسن ما وشته الأقلام وحصل به المرام:

الحمد لله هذا القصد والسول	حبل الوصال بخير الرسل موصول
هذا مرادي وهذا منتهى أملي	وكم كان لي في الوصل تأميل
هذا أسر سرور قد سررت به	فالسعد ساعدني والشمل مشمول
هذا الهنا والمنا والخير اجمعه	فالصدر منشرح والقلب مشمول
قرت العيون بذا الوصل اللذيذ كما	برت يميني بفضل الله فالقيل
الحمد لله لا أحصي الثناء له	حمدًا يكون به للسعد تكميل

ومن أجل محاسن الحجرة المعطرة اشتمالها على المدد الشامل لمن زار [معالمها][1] [واشتغل][2] [القلب بالتوجه الصحيح][3] إلى صاحب الروضة والضريح (يروى) أن اعرابيًا وقف أمام القبر الشريف وقال يا رسول الله سمعت فيما أنزل عليك الله ﴿ولو انهم إذا ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وإني قد جئتك مستغفرًا من ذنبي ومستشفعًا بك إلى ربي» قال الراوي فأخذتني سنة فرأيت النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فقال لي إلحق بالأعرابي فبشره بالجنة»[4] والأخبار من ذلك كثيرة وفي الصحيح انه عليه السلام قال

---

(١) في أ [بتعللتها].

(٢) في ب [وأشغل].

(٣) في ب [القلب الصحيح بالتوجه].

(٤) أورد القرطبي في تفسيره حكاية نحوها، قال روى أبو صالح عن علي عليه السلام وساق المتن. انظر تفسير القرطبي (٣/ ١٨٣٤). وأورده أيضاً الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغي في كتابه الشامل [وهو كتاب في مذهبنا نحن الشافعية وهو شرح مختصر المزني. طالب العلم / محمد فارس] الحكاية المشهورة عن العتيبي. انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٠).

«من زار قبري وجبت له شفاعتي»[1] قال بعض العلماء: يجب على زائره صلى الله تعالى وسلم عليه أن يجزم بنجاته وعنه. عليه السلام؛ «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»[2] «ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»[3] وعنه عليه السلام «لا يكيد أحد أهل المدينة إلا انماع وإن أمهل كما ينماع الملح في الماء»[4] وعنه عليه السلام «اللهم [اكفهم][5] من دهمهم»[6] أي أغار عليهم بغتة وعنه عليه السلام «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»[7] وعنه عليه السلام «اللهم إن ابراهيم خليلك

---

(١) ضعيف: أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨ _ ١٩٤). وفي سنده موسى بن هلال العبدي وهو ضعيف. انظر لسان الميزان (٦/ ١٣٤) _ ١٣٥) (ترجمة / ٤٦٧). وعزاه الحافظ الهيثمي للبزاء قال: وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد ٤ ٥١٤). وعزاه الحافظ الهيثمي للبزاء قال: وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٥١٤). وعن ابن عمر مرفوعاً «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقاً علي أن أكون له شفيعًا يوم القيامة». أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٦) _ الحديث (٤٥٤٦). وأخرجه في الكبير (١١٢ و٢٩١) _ الحديث (١٣١٤٩). قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني في الأوسط والكبير: فيه مسلمة ابن سالم وهو ضعيف. انظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٥١) _ الحديث (٣٣٧٦). وفي الكبير (١٢/ ٤٠٦ _ ٤٠٧) _ الحديث (١٣٤٩٧). والدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) _ والبيهقي في الكبرى (٥/ ٢٤٦). والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٨ _ ٤٨٩) _ الحديث (٤١٥٣). قال الحافظ الهيثمي: وفيه حفص بن أبي داود القارىء وثقه أحمد وضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤) عن ابن عمر مرفوعاً: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي». أخرجه الطبراني في الصغير وفي الأوسط (١/ ٩٤ _ ٩٥) _ الحديث (٢٨٧). قال الحافظ الهيثمي: وفيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها. انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٥١٤).

(٣) أخرجه الحافظ البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٨). الحديث (٤١٥٢). عن رجل من آل الخطاب مرفوعاً: «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في ب [القهم].

(٦) عزاه الحافظ الهيثمي للبزار وقال: إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ٣١٠).

(٧) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٤٨٣) _ الحديث (٢/ ٤٩٦٦). والطبراني في الكبير (٧/ ١٤٤). قال الحافظ الهيثمي: عزاه الشيخ في الأطراف إلى النسائي ولم أره في المجتبى فلعله في الكبير [وهو كما قال طالب العلم] وعزاه للطبراني في الكبير وقال: «وفيه من لم أعرفه». أنظر/ مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ٣١٠).

وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثلما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء بخم فوائح وفوائح»[١].

حكى أهل السير أن تبعًا لما قدم المدينة أراد خرابها فجاء حبران من قريظة يقال لهما شحيتا ومنيه فقالا أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد، يخرج آخر الزمان فأعجبه ما سمع منهما وصدقهما فيما قالا فكف عن أهل المدينة فهو صلى الله تعالى وسلم عليه وقاية وحماية ومعونة لسكان بلده قبل ظهوره وبعد ظهوره في حياته وبعد وفاته اللهم اجعلني ومن أحبه دايمًا أبدًا جاره ولا تحرمني بفضلك بالدارين جواره فإن العيون لا تنقطع عن الكريم والذنوب لا تمنع من [إحسان][٢] الرؤوف الرحيم.

إن كان لا يرجوك إلا محسن   فيمن يلوذ ويستجير المذنب

مسك روحي ومسلك توخى وجداني.

عياني لزائري الحضرة الجامعة المحمدية قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾ [النساء: ٦٤] قال مولانا السيد [أسعد][٣] البلخي تغمده الله برحمته صريح النص يدل على أن الظالم سواء كان مشركًا أو مسرفًا أو منافقًا لو جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستغفرًا تائبًا مما كان منه من التفريط واستغفر له الرسول ﷺ وهو قد استغفر للجميع فإنه مأمور به لهم من عند الله تعالى «لوجدوا الله توابًا رحيمًا» فإذا تحقق الشرط وهو مجيئه مستغفرًا ترتب عليه الجزاء وهو وجدان الله تعالى توابًا رحيمًا والمجيء إليه عليه السلام أعم من أن يكون في حياته [أو][٤] بعد انتقاله بل بعده أبسط حضورًا لمن قصده ولا شك أن التوجه إلى وجهته الروحية مع التمثل [إليه][٥] بين يديه بالجثمان أكمل وأجمع للفضائل، وإذا كان حال الظالم نفسه هكذا في زيارته فكيف بالصالح، فضلاً عن المتقي والعارف المتحقق، وكلام الله تعالى حق ووعده صدق فمن لم يجد الله تعالى في زيارته النبي ﷺ فليراجع نفسه الغبية فإنه إما أخل بالشروط أو وجده سراً وجدانًا بسيطًا غيبيًا منزهًا عن الكمية مجهول الكيفية وما تحقق علمًا يقينًا مركبًا تصديقيًا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/٣٦٣) ـ الحديث (٢٢٦٩٦) بدون ذكر [فوائح وفوائح].

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [و].

(٥) سقط من أ.

[شهاديًا][1] فلا يلومن إلا نفسه القاصرة، فإنه لا منع في فيض الحق ولا ضيق في جاه المرور بل القصور من قبل الزائر [وتحقيق][2] هذا الوجدان [وجدان][3] كان بمعنى أدرك وصادف فهو يتعدى إلى [مفعول واحد وهو الوجد السري][4] [البسيط المجهول الكم والكيف أعني الحضور الإشراقي عين العالم والمعلوم وإن كان بمعنى علم من أفعال القلوب][5] فهو يتعدى إلى مفعولين بمعنى التصديق [المركب][6] المتضمن للحكم الإيقاعي أو الانتزاعي أعني علم العلم المسمى بالحصولي والأول العلم الحضوري الإشراقي وهو علمه سبحانه وتعالى بذاته وجميع صفاته وبالعالم الذي هو فعله وعلم الملأ الأعلى وعلم الإنسان بذاته ولوازمها الأول كذلك. [حضوري بمعنى الانكشاف التام بغير غيبة][7] والثاني العلم الحصولي للإنسان العاقل تصورًا أو تصديقًا بما خرج عن ذاته بطريق التمثل الصوري، أعني ارتسام صور الأشياء في القوة المفكرة فحصل من ذلك أن العارف المتحقق جامع بين الوجدان السري البسيط أن الله تعالى هو الباعث للعبد الثواب عليه الجائي به إلى الزيارة أو القاصد تشوقًا ومحبة أينما كان بالتوبة والايمان ولكل مؤمن إن كان متوجهًا إليه من سائر الآفاق ايمانًا أولاً واستحضارًا نجيًا ثانيًا لأنه لا يؤمن إلا بإذن الله تعالى خصوصًا بالزيارة للزائر وبين التصديق اليقيني الشاهدي أن العبد المؤمن الزائر مظهر اسمه التواب من قوله «ثم تاب عليهم» ليتوبوا. والحبيب المزور صلى الله تعالى وسلم عليه بالمؤمنين رؤوف رحيم بالنص فالمؤمن المتحقق بالوجدانين له علم بسيط متعلق بذاته سبحانه وتعالى وصفاته ويشاركه فيه جميع الأشياء المسبحة بحمده تبارك وتعالى وله فضل علم أعني التصديق اليقيني المتعلق بأحكام الله سبحانه وتعالى وأفعاله المترتب بعضها على بعض، وهو مناط الثواب ورفع الدرجات [وأما الزائر][8] الفاقد فإما أن يكون غبيًا لا يدري الزائر والمزور، ولا تحقق رد المزور سلامه عليه فضلاً عن تحقق سلام المزور قبل سلام الزائر كما قال تعالى ﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة. أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ [الأنعام: ٥٤] [وهو كما قال][9]:

---

(١) سقط من ب.
(٢) غير ظاهرة في أ.
(٣) سقط من ب.
(٤) سقط من ب.
(٥) سقط من ب.
(٦) سقط من ب.
(٧) سقط من ب.
(٨) سقط من ب.
(٩) في ب [وهو أحلى ما قال].

تـاهـت الألـبـاب فـيـك فـمـا مـيـزت وردًا مـن الـصـدر

فذاك لا عرف الإجابة ولا باعث له على الزيارة إلا الضيق والشكاية من أمر المعاش والمضائق الدنيوية وفضل الله تعالى أوسع ورحمته وسعت كل شيء وكمال شفقته سيد المزور، معروف حيث سبقت له العناية بترتب المقدمة، فسوف ينتفع بتفضيل النتيجة عند كشف غطاء البشرية وإما أن يكون من الفرق التائهة الحائرة المنكرة للرؤية واللقاء دنيا وعقبى ولا كلام لنا معه حيث حرم ما فاز به غيره في هذه النشأة معجلاً وإن كان في المطلوب من حيث لا يعلم، كما قيل:

رب أمـر نـحـو الـحـقـيـقـة نـاظـر بـرزت لـه فـيـرى ويـنـكـر مـا يـرى

وربما تأول نص التنزيل بقياس عقله على مقياس دائه في نقله فبعد عن المرام وتاه في مهامة الكلام، لأن هذا الوجدان والإدراك البسيط السري التصوري واليقين المركب الايماني الاستحضاري القلبي المسمى بالإحسان المشار إليه بكأنك تراه في هذه النشأة الجامعة خصوصًا في حضرته صلى الله تعالى وسلم عليه بكمال ذاته المقدسة أبدًا يصير رؤية أخروية تفصيلية ومشاهدة جليلة مناسبة لتلك النشأة النورية النزيهة عن اعراض هذه النشأة [والجواهر](1) المكتنفة بها وإنما حبس [المتأول](2) بالشبه ثم من الله تعالى على هذه الأمة المرحومة بآية أخرى تدل بصريحها على سعة الرحمة على العبد أينما كان فقال جل وعلا ﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا﴾ [النساء: ١١٠] والاستغفار مجازي وهو أن يقول بلسانه أستغفر الله ولا يتصور شيئًا، بقلبه، وحقيقي وهو الذي حظى به الكحل وهو نصب [أعينهم](3) أن سبقت لهم الحسنى والعناية الأزلية من الله تعالى لسرهم وروحهم ولطيفتهم بطلب استعداداتهم الغير المجعولة بستر أنانيتهم وتعينهم الجزيئي، المائل عن حد الاعتدال في سعة بحر إطلاق وجود سيدهم فاستمر فناؤهم في ربهم وبقائهم بوجوده في سائر المراتب الاستيداعية والمقامات الاستقرارية، فلا جرم دام شهودهم في جميع أحوالهم بغير مزاحمة دعوى الاستقلال بالوجود، وكانوا معه سبحانه وتعالى في شهود شؤونه حيث كان معهم أينما كانوا فاستغفارهم أزلي أبدي بستر وجودهم في وجود سيدهم وفي سائر أسمائه وصفاته وأفعاله وسمعوا خطاب ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] بل شاهدوا جهادًا أنه الواحد في الكل فلا يكن الزائر أنزل حالاً ممن ذمة الله تعالى في كتابه من الظمآن الذي وجد الله عنده فوفاه حسابه وكان يقول قديمًا مشايخ ما وراء النهر من طلب

(1) في ب [والجوهر]. (2) في أ [المناول]. (3) في ب [أعينها].

شيئًا وجده، ويقول مشايخ العراق من وجد شيئًا طلبه وشيخ الإسلام من مشايخ خراسان يقول النزاع لفظي والمآل واحد سواء ضربت الزجاج على الحجر أو الحجر على الزجاج. وأنا مع العراقيين [ومآل الأقوال][(١)] يرجع إلى ما نحن فيه من الوجدان [البسيط السري][(٢)] والمركب التفضيلي ويتعلق بهذا الباب.

ما نقل عن بعض المحققين انه قال كل شيء إذا طلبته وجدته إلا الحق سبحانه وتعالى فإن وجده سابقه لطلبه وكان يقال ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وجاء في الخبر أن سيدنا موسى عليه السلام قال: «يا رب أبعيد أنت فأناجيك أم قريب فأناديك» فسمع الله تعالى يقول «أينما قصدتني وجدتني» ويشير إلى الذوق الموسوي قوله تعالى ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] وما أعذب ما قال:

كما ذا تموه بالشعبين والعلم ... والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

وأقول كما قال:

إن كانت الأعضاء خالفت الذي ... أمرت به من سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتم ... فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدى الأمانة منهما ... فهبوا له ما زل في الأركان

وما أرجى ما قال:

عصيت فقل لي كيف ألقى محمدًا ... ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع
عسى الله من أجل الحبيب وقربه ... يداركني بالعفو فالفضل أوسع

فائدة: عن ابن [الجوزي][(٣)] قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا. فشكوا ذلك إلى عائشة رضي الله عنها فقالت «انظروا إلى قبر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبينها سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق انتهى. فالكوة التي في القبة الشريفة هذا أصلها وسنة أهل المدينة اليوم في مثل ذلك. فتح باب المواجهة من المقصورة المحيطة بالجهة المعطرة والاجتماع هنالك للدعاء والاستغاثة [فائدة][(٤)(٥)]

(١) في ب [ومالي إلا أقول].
(٢) في ب تقديم وتأخير.
(٣) في ب [الجوهرزي].
(٤) في ب [مسألة].
(٥) الفائدة: لغة: ما استفيد من علم أو مال. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٣٢٥). واصطلاحاً: المسئلة المرتبة على الفعل من حيث هي كذلك، وعرفت بأنها كل نافع ديني أو دنيوي. أنظر / السبع كتب مفيدة لعلوي السقاني (ص٦٣١).

ورد عنه عليه السلام «أن في مسجدي لبقعة قبيل هذه الاسطوانة يعني الثالثة من المنبر والقبر وتسمى أسطوان القرعة لو يعلم الناس ما صلوا إليها، إلا أن تطير لهم قرعة.

قيل: والدعاء عندها مستجاب كذا في الجواهر.

مسألة: ورد انه عليه السلام قال «ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[1] قال الخطابي معناه من لزم طاعة الله في هذه البقعة آلت به الحال إلى روضة من رياض الجنة يوم القيامة.

وقال غيره: يجوز أن يكون هذا الموضع بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة وقال آخر كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقتبس العلم من النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في ذلك الموضع وهو مثل الروضة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر»[2].

دقيقة قال في المواهب: واعلم أن أعظم نعيم في الجنة وأكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله وسلم عليه وقرت العين بالقرب من الله تعالى ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي [هي][3] أعظم من الجنان كما قال تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢] ولا ريب أن الأمر أجل مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحضيرة القدس بتحية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فأي نعيم يداني تلك المحبة ولذتها وقرة العين بها وبهجتها، وهل فوق نعيم قرة العين بمحبة الله تعالى ورسوله نعيم. فلا شيء أجل من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه في مشهد مشاهد الإكرام والعز المقيم حيث يتجلى الحق جلا جلاله «ويقول سلام عليكم عبادي ومرحبًا بكم أهل ودادي أنتم [المؤمنون

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضائل المدينة (٤/ ١١٩) ـ الحديث (١٨٨٨). ومسلم في الحج (٢/ ١٠١١) ـ الحديث (٥٠٢/ ١٣٩١). والترمذي في فضل المدينة (٥/ ٧١٨) ـ الحديث (٣٩١٥). والإمام مالك في الموطأ في القبلة (١٩٧١١) ـ الحديث (١١). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣١٧) ـ الحديث (٧٢٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٣٢) ـ الحديث (٣٥١٠). وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت. والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٨٥) ـ الحديث (١٢٥٣١). والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٩٨) ـ (٥٢٩). والطبراني في الكبير (١١/ ١٩٥) ـ الحديث (١١١٥٨) قال: وفيه من لم يسم. وعزاه الحافظ الهيثمي للطبراني في الكبير وقال فيه رجل لم يسم. انظر مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٣١). واعلم أن مدار رواية الإمام أحمد والترمذي والبيهقي على محمد بن ثابت وهو ضعيف ويحتج بروايته. انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٦٩) ـ (٦٠١١).

(٣) سقط من أ.

الآمنون][1] لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، هاذي يدي مبسوطة عليكم وأنا ربكم أنظر إليكم فيقولون ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضى عنا فيرفع الحجاب ويتجلى الحق جل جلاله فيخرون سجدًا فيقول الله تبارك وتعالى قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبدًا»[2] فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى. فيقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور [﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾][3] [فاطر: ٣٤. ٣٥] [والله أعلم][4].

مسئلة: ليس في الجنة عبادة إلا الحمد والشكر والتسبيح والتهليل عن غير تكليف وإلزام وإنما هو من تيسير الإلهام ﴿وقالوا الحمد الله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [الزمر: ٧٤].

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرًا تردني تفضلاً ... كأني بالتقصير استوجب الفضلا

وقال آخر:

لك الحمد يا الله في كل حالة ... ومن جملة الآلاء قولي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بقوة ... تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

وقال غيره:

إذا كان شكري أنعم الله نعمة ... على أنه من مثلها يجب الشكر
فكيف يكون الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتسع العمر

مسئلة: قدم النبي صلى الله تعالى وسلم عليه المدينة المنورة ضحى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول[5] فاستقبله زها خمسمائة من الأنصار فما

---

(١) في ب تقديم وتأخير.

(٢) بنحوه أخرجه: مسلم في الإيمان (١/ ١٦٣) ـ الحديث (٢٩٧). والترمذي في صفة الجنة (٤/ ٦٨٧) ـ الحديث (٢٥٥٢). وابن ماجه في المقدمة (١/ ١٦٧) ـ الحديث (١٨٧). والإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٩) ـ الحديث (٢٣٩٨١). وأخرجه البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً [يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً]. (٨/ ٥٣١) ـ الحديث (٤٩١٩). وأخرجه البخاري عن أبي هريرة مطولاً في التوحيد (١٣/ ٤٣٠) ـ الحديث (٧٤٣٧).

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من أ.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥١١).

رأى أحد مثل ذلك اليوم وخرج يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته والمسلمون عن يمينه وشماله ومن خلفه منهم الماشي ومنهم الراكب فما مر بدار من دور الأنصار إلا قالوا هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة فيقول لهم خيرًا ويدعو ويقول عن ناقته انها مأمورة خلوا سبيلها. فمر ببني سالم فأتى مسجدهم الذي في وادي رانونا وأدركته صلاة الجمعة. فصلاها لهم هنالك. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ثم ركب ناقته وصار حتى انتهت به إلى زقاق الحبشى ببني النجار فجعلن النساء والولدان يضربن على [الدفاف][1] ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعى لله داع[2]

وفي رواية:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر [المطاع جئتنا تمشي][3] رويدًا نحونا يا خير ساعى.

ومر عليه السلام بجوار من الأنصار وهنّ ينشدن ويقلن:

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

وقال عليه الصلاة والسلام «الله يعلم اني أحبكم[4]. ثم سار عليه الصلاة والسلام إلى أن بركت ناقته على باب دار أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه فنزل بها سبعة أشهر ثم بنى مسجده»[5] قال أهل السير. بناه أولاً.ماية في ماية وقيل أقل من مايه في طول سبعة أذرع [وقيل في طول خمسة أذرع][6] فلما فتح الله تعالى عليه خيبر بناه [ثانيًا][7] وزاد عليه مثله ولما هاجر عليه الصلاة والسلام فرح بقدومه الشريف أهل

---

(١) ثبت في أ [الدف].

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧) من طريق: أبو بكر الإسماعيلي قال سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم عليه السلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن... وذكره. وانظر/ البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٩٥).

(٣) سقط من أ.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه في النكاح (١/ ٦١٢) ـ الحديث (١٨٩٩) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٨). وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨). والسيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٩٠).

(٥) أخرج الحافظ البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) عن عبدالله بن الزبير أنه ثبت ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في العرش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد.

(٦) سقط من أ.

(٧) في أ [ثانية].

المدينة وكان يوم قدومه عندهم أعظم من يوم الزينة وأول كلمة سمعت منه بالمدينة المنورة «أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[1] ولما بركت ناقته الميمونة عند المسجد الشريف قال هذا المنزل إن شاء الله تعالى اللهم أنزلني منزلاً مباركًا وأنت خير المنزلين. فقال المحل بلسان الحال:

بقدومكم نزل السرور بساحتي	وغدا بها طير الهنا يغرد
ولقد سموت على الديار بقربكم	حتى كأنني فوقهن الفرقد
سبحان من بالعز أبدل ذلتي	وأنالني منحًا عليها أحسد
إن البقاع إذا نظرت رأيتها	تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

و«كان موضع المسجد الشريف حديقة ليتيمين من الأنصار هما أسهل وسهيل وكانا في حجر أسعد بن زرارة.

وقيل: معاذ بن عفرا فاشتراه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه أو استوهبه وبناه مسجدًا وأمر بقطع ما كان فيه من النخيل والفرقد وكانت فيه قبور جاهلية فأمر بها فنبشت وأمر بالعظام فغيبت ولما أخذ في بنائه قال «ابنوا لي عريشًا كعريش أخي موسى ثهامات وخشبات وظلة كظلة أخي موسى والأمر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان إذا قام فيه أصاب رأسه السقف.

وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يرتجز في عمل المسجد فيقول ولا يستوي من يعمر المساجدا. يداب فيها قائمًا وقاعدا. ومن يرى عن الغبار حائرا. فأقيمت فيه سواري من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر فعاشوا فيه وأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم. فقالوا: يا رسول الله لو امرت بالمسجد فطين. فقال «لا عريش كعريش موسى» فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا صلى الله تعالى وسلم عليه وزاده شرفًا وفضلاً لديه ثم تداولته أيدي الخلفاء والملوك فوسعت فيه وبنته [على][2] مقتضى حال الوقت وتفصيل ذلك مما يطول شرحه وقد تكفلت بأخباره التواريخ أنشدني [العلامة][3] الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم [المدني][4] أجازه لنفسه:

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٤/ ٦٥٢) ـ الحديث (٢٤٨٥) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١/ ٤٢٣) ـ الحديث (١٣٣٤). والدارمي في الاستئذان (٢/ ٣٥٧) ـ الحديث (٢٦٣٢) واللفظ له. والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٥٢٥) ـ الحديث (٢٣٨٤٦).

(٢) سقط من أ.

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من ب.

من رام يستقصي معالم طيبة ... ويشاهد المعدوم كالموجود

فعليه باستيفاء تاريخ الوفا ... تأليف عالم طيبة السمهودي

[وروي][١] عنه عليه السلام «لا تشد الرحال[٢] إلا[٣] إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام[٤] ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[٥][٦].

---

(١) في أ [وردا].

(٢) بضم أوله بلفظ النفي والمراد النهي عن السفر إلى غيرها. قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به، والرحال بالمهملة جمع وصل وهو للبعير كالسرج للفرس، وكنى بشد الرحال عن السفر لأنه لازمه مع مخرج ذكرها مخرج الغالب في ركب المسافر وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي في المعنى المذكور ويدل عليه قوله في بعض طرقه [إنما يسافر] أخرجه مسلم من طريق عمران بن أبي أنس عن سليمان الأغر عن أبي هريرة. انظر فتح الباري (٣/ ٧٧).

(٣) الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال إلى موضع، ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها، لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام، لكن يمكن أن يكون المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد. انظر فتح الباري (٣/ ٧٧).

(٤) أي المحرم وهو كقولهم الكتاب بمعنى المكتوب، والمسجد بالخفض على البدلية، ويجوز الدفع على الاستئناف والمراد به جميع الحرم. وقيل: يختص بالموضع الذي يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم. قال الطبري: ويتأيد بقوله: [مسجد، هذا] لأن الإشارة فيه إلى مسجدالجماعة، فينبغي أن يكون المستثنى كذلك. وقيل: المراد به الكعبة حكاه المحب الطبري وذكر انه يتأيد بما رواه النسائي بلفظ [إلا الكعبة] قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر لأن الذي عند النسائي [إلا مسجد الكعبة] حتى ولو سقطت لفظة مسجد لكانت مرادة، ويؤيد الأول ما رواه الطيالسي من طريق عطاء أنه قيل له: هذا الفضل في المسجد وحده أو في الحرم؟ قال: بل في الحرم لأنه كله مسجد. انظر/ فتح الباري (٣/ ٧٧ ـ ٧٨).

(٥) أي بيت المقدس وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقد جوزه الكوفيون واستشهدوا له بقوله تعالى: «وما كنت بجانب الغربي». والبصريون يؤولونه بإضمارالمكان أي الذي بجانب المكان الغربي ومسجد المكان الأقصى ونحو ذلك، وسمي الأقصى لبعده عن المسجد الحرام في المسافة. وقيل: في الزمان. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظم لأنه ثبت في الصحيح أن بينهما أربعين سنة. وقال الزمخشري: وسمي الأقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد وقيل: لبعده عن الأقذار والخبث. وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة لأنه بعيد من مكة وبيت المقدس أبعد منه ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها إيلياء بالمد والقصر وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على هذا الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف، وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال =

وعنه عليه الصلاة والسلام «من دخل مسجدي يتعلم خيرًا ويعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره»[1].

وعنه عليه الصلاة والسلام «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء أحق المساجد أن يزار وتركب إليه الرواحل، صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»[2] كذا في منح الفتاح[3].

= وبضمهما أيضاً. وشلم بالمعجمة وتشديد اللام بالمهملة، وشلام بمعجمة، وسلم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأورى سلم بسكون الواو، وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة قال الأعشى: وقد طفت للمال آفاقه * دمشق فحمص فأورى سلم. ومن أسمائه كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروت آخره مثلثة وكورشيلا، وبابوس بموحدتين ومعجمة وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب [ليس]. وفي هذا الحديث: فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة للأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى. انظر / فتح الباري (٣/ ٧٨).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٣/ ٧٦) ـ الحديث (١١٨٩). ومسلم في الحج (٢/ ١٠١٤) ـ الحديث (٥١١/ ١٣٩٧). وأبو داود في المناسك (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ـ الحديث (٣٠٣٣). والترمذي في أبواب الصلاة (٢/ ١٤٨) ـ الحديث (٣٢٦). والنسائي في الكبرى في المساجد (١/ ٢٥٨) ـ الحديث (٧٧٩). وابن ماجة في إقامة الصلاة (١/ ٤٥٢) ـ الحديث (١٤٠٩). والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣١٣) ـ الحديث (٧٢٠٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١)٤٦٦ ـ الحديث (٨٦٢٤). وابن حبان في صحيحه (ص / ٤٩) الحديث (٨١) موارد الظمآن). والحاكم في المستدرك في العلم (١/ ٩١) ـ والطبراني في الكبير (٦/ ١٧٥). الحديث (٥٩١١).

(٢) عزاه الحافظ السيوطي للبزار عن عائشة مرفوعاً. انظر/ الدر المنثور (٥٤١٢).

(٣) جاء في الهامش: قال العلامة الخطيب أحمد البري عن شيخه العلامة عبد الرحمن الخياري ـ رحمهما الله ـ ما نصه: فالصلاة بمكة وإن كانت أكثر من حيث العدد فهي في المدينة أكثر من حيث المدد المحمدي وقد يزكو العدد القليل لبعض الأسباب على العدد الكثير كصلاة النفل في البيت بالنسبة إلى صلاته في المسجد ولو المسجد الحرام على القول باختصاص المضاعفة به لما فيه من الاتباع، ولئن سلم عدم الزيادة عليها [. . .] بعد يوجد في المفضول مزية ليست في الفاضل كما في الصوم، فإن الصلاة أفضل منه على الأصح ومع ذلك يتولى الله جزاءه وذلك يدل على أنه أعظم من جزاء الصلاة، لأنما يتولاه الله تعالى شيء عظيم، وحيئنذ لا دليل في كثرة المضاعفة على أفضلية مكة لخروج الصلاة بدليل خاص لحكمة يعلمها الله تعالى ويعلم بها من يشاء فتفطن. أشار إلى هذا الأخير البرماوي في شرح البخاري له.

وعنه عليه الصلاة والسلام «من خرج على طهر لا يريده إلا للصلاة في مسجدى حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة»[1].

وعنه عليه السلام «لا تقوم الساعة حتى تقلب على مسجدي هذا الكلاب والذباب والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه [فلا][2] يقدر عليه»[3] كذا في الدرة.

وما أحسن ما قال:

السباق السباق قولاً وفعلاً   حذر النفس حسرة المسبوق

ومن محاسن المسجد الشريف «القبة الزرقاء» التي من حظى بقربها قضت له السعادة الأزلية بأن لا يشقى. كيف لا وقد اشتملت على ضريح سلطان الأنبياء وترجمان الأصفياء فلقد سعدت بها طيبة الطيبة واستنزلت بساكنها من الله تعالى [وشآبيب][4] رحمته الطيبة.

فيا حسنها والليل مرخى سدوله   وقد أشرقت بالنور قبتها الزرقاء

وقالوا يرق العيش فيها على الفتا. فقلت وما أحلاه عيشًا وإن رقا.

ومن محاسنه الروضة المطهرة وما اشتملت عليه من الآثار المحمدية.

قال في الجوهر المنظم لم يتحدد عرض الروضة [لاختلاف الروايات][5] الصحيحة.

قال ابن جماعة والظاهر منها أن جميع مسجده روضة فهي تطلق على أماكن متفاوتة في الفضل، فأفضلها ما بين القبر والمنبر، ثم ما بين بيوته كلها والمنبر، ثم بقية المدينة، ثم ما كان خارجها إلى المصلى. انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمة الله تعالى عليه.

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال: انفرد بهذه الزيادة يوسف ابن طهمان. قال: ورواه يوسف بن طهمان عن أبي أمامة عن سهل عن أبيه مرفوعاً. انظر الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩) ـ (١٧).

(٢) في أ [فما].

(٣) لم أجده.

(٤) كلمة غير مقروءة في أ وفي ب هكذا [شآبيب]. قال في القاموس: الشؤبوب: الدفعة من المطر وحد كل شيء وشدة دفعه، وأول ما يظهر من الحسن، وشدة حر الشمس وطريقتها جمع شآبيب. انظر/ القاموس المحيط (١/ ٨٥).

(٥) في أ [لاختلافات الرواية].

وما أحسن ما قال ابن جابر:

إذا قمت فيما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقا

لقد قمت في دار النعيم بروضة ... ومن قام في دار النعيم فلا يشقا

وقال آخر:

بهجة العين روضة المختار ... تنجلي في مشارق الأنوار

حرم حل فيه خير إمام ... جامع الفضل قبلة الأبرار

أول العاملين في الخلق لكن ... آخر المرسلين في الإنذار[1]

باذخ الأصل ناسخ الجهل علما ... راسخ الفضل شامخ في الفخار

مضرى وأبطحى حسيب ... قرشي وهاشمي نذاري

صفوة الحق أشرف الخلق طرًا ... نخبة من خلاصة الأخيار

يا رسول الإله كن لي شفيعًا ... يا شفيع العصاة من حر نار

أنت في الأنبياء سلطان شرع ... جئت بالسيف منذر الكفار

فعليك السلام من عبد ود ... ما سرى سر نسمة الأسحار

وعلى الآل والصحابة جمعًا ... وعلى التابعين والأنصار

مسئلة: قوله عليه الصلاة والسلام «ما بين حجرتي ومصلائي روضة من رياض الجنة»[2] قيل المراد مصلاه في مسجده وقيل مصلى العيد وهو ما فهمه بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذا في الجوهر المنظم.

مسئلة: ما بين المنبر ومقامه الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعًا وشبرًا بذراع اليد المعتدلة حكاه ابن حجر.

مسئلة: كان المنبر الشريف من طرفاء الغابة ثلث درجات وذلك في سنة ثمان من الهجرة وعنه عليه الصلاة والسلام «منبري على حوضي»[3].

قال الخطابي: معناه من لزم عبادة الله تعالى عنده[4] انه يسقى من الحوض يوم القيامة وقال غيره المعنى أن الله تعالى يعيد (هذا المنبر بعينه على حالة فينصبه عند حوضه كما يعيد) الخلائق أجمعين.

وعنه عليه السلام «منبري على ترعة من ترع الجنة»[5].

---

(١) هذا البيت أول القول في ب.

(٢) لم أجده.

(٣) لم أجده.

(٤) سقط من أ.

(٥) لم أجده.

قال ابن سلام في الترعة ثلاثة أقوال:

أحدها: انها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة.

وثانيها: أنها الباب.

وثالثها: أنها الدرجة.

وروى «على رتعة» بتقديم الراء [على التاء][1] والرتعة بسكون التاء وفتحها الاتساع في الخصب وكل خصب مرتع.

وعنه عليه الصلاة والسلام «لا يحلف أحد عند منبري هذا. [على][2] يمين آثمة، ولو على سواك أخضر، إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار»[3].

وفي رواية «من حلف عند منبري هذا يمينًا كاذبًا يستحل بها مال امرء مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»[4].

فائدة: عن كعب الأحبار ما من يوم وليلة إلا وينزل عند الفجر سبعون ألفًا من الملائكة يحفون بالقبر الشريف، ويصلون عليه إلى الليل، ثم ينزل سبعون ألفًا يفعلون كذلك إلى الفجر وهكذا حتى يقوم صلى الله تعالى وسلم عليه من قبره في سبعين ألفًا يزفونه والمراد أنهم يصلون صلاة مخصوصة وإلا فجميع الملائكة يصلون عليه كما قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وقد صح في الحديث أن الملائكة تسعة أعشار الخلق[5].

فائدة: في عشر الستين وسبعمائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر قرية من بيت مال المسلمين بمصر. ووقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة المعطرة في كل خمس سنين مرة بالحريرة الأخضر والأبيض. مكتوبًا فيها الشهادتان على رسم الدلالات. وأسماء الخلفاء ومن محاسن آل عثمان خلد الله تعالى دولتهم أنه إذا ولى أحدهم الملك. كسى الحجرة المعطرة بكسوة أخرى بالحرير الملون والوضع البديع وفي أيام[6] المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان، كسيت مرتين، وإذا وصلت الكسوة الجديدة قسمت تلك الكسوة القديمة. على خدام الحرم الشريف.

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

* انظر/ القاموس المحيط للفيرزآبادي (٣/ ٢٧).

(٥) لم أجده.

(٦) سقط من ب.

تتمة[١]: بيع كسوة الضريح النبوي. إذا صارت مخلوقة وجددت ونقلها جائز بناء على [أن][٢] ذلك موقوف على إذن السلطان. حتى يظهر ما ينافيه وإنما الخلاف في كسوة الكعبة. بناء على شرط الواقف. كذا في كتاب زهد البساتين. وهذا بالنظر إلى الكسوة العثمانية ولا بأس بإخراج تراب الحجرة المعطرة. [وتراب][٣] المسجد الشريف. وأثاره للمتبرك. وقال في شرح لباب المناسك لا بأس بإخراج تراب الحرم وأحجاره وأشجاره اليابسة وإلا ذخر مطلقًا وماء زمزم للتبرك به إجماعًا زاد في الكبير وتراب البيت للتبرك به لكنه [داخل][٤] في عموم [ما سبق][٥] وهذا في القدر اليسير الذي لا يؤدي إلى التعمق في الحفر قاله الملأ على القارىء تتميم رحمه الله تعالى[٦].

قال السبكي في كتابه تنزل السكينة على قناديل المدينة اختلفوا إذا وسع المسجد عما كان عليه في زمنه صلى الله وسلم عليه هل تثبت الفضيلة أم لا. أم تختص بالقدر الذي كان في زمنه وممن رأى الاختصاص الإمام النووي ورأى جماعة عدم الاختصاص كما في مسجد مكة وقد ثبت أن مسجده كان سبعون ذراعًا في ستين وأما تعليق القناديل في الحجرة المعطرة وجعلها لها ملكًا أو وقفًا أو نذرًا أو هبة فلا يجوز التهاون به. وإن لم يكن تعليقها في الأول واجبًا ولا مندوبًا فقد صار شعارًا يحصل بإزالته نقص. فيجب إدامتها [مع][٧] إبقائها على الملك.

ومن محاسن المسجد الشريف محرابه صلى الله تعالى وسلم عليه وشرف وكرم. فإن الوقوف بهذه المواقف الجليلة من أعظم النعم الجميلة وأي فضيلة أعظم من الوقوف بذلك الموقف الشريف والتملي بأنوار ذلك المقام المنيف أنشدني بمصر المحروسة سنة اثنتين وأربعين وألف. السيد الشريف القاضي محمد الحجازي إجازة لنفسه.

وما أجود ما قال:

إذا رمت جالها الق ظهرك يا فتى	لظهر سما في الناس وهو رحاب
اما تنظر المحراب لولا استناده	إلى البيت لم تخضع إليه رقاب

فائدة: ابتداء الإمام الحنفي بعد الستين وثمانمائة ومحرابه نهاية زيادة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومن محاسن المسجد الشريف باب الوفود المبلغ قاصد

(١) سقط من أ.
(٢) سقط من أ.
(٣) سقط من أ.
(٤) في ب [أدخل].
(٥) سقط من ب.
(٦) سقط من أ.
(٧) ثبت في أ [على].

تلك العتبة العلية المقصود فإنه الباب الذي لا يشقى وافده والمورد العذب[١] الذي لا يظمأ وارده.

قيل: ومن خواصه أن من أصيب بنائبة واستند إليه فرج الله تعالى كربه وهون صعبه وإن خلا عن الاستعداد ولم تكن فيه قابلة الاستمداد.

وما أحلى ما قال:

وبـــاب إذا أمـــه وافـــد رآه مـن الـغـيـث [أدنـى][٢] وانـدا
لـه الـفـتـح دأب ومـن شـأنـه يـرد وقـاصـده لـن يـردا

ومن محاسن[٣] المسجد الشريف الباذهنج اللطيف فإنه ينزل منه الهواء الرطب خصوصًا في الأيام الحارة فيحصل به رفق بالمحدورين بل ويستغنى به عن نسيمات البساتين وهو في ثلاثة مواضع من المسجد الشريف وعليه فما أحسن ما قال:

يا طيبة نفحة باذهنج لم يزل بهوائه لنفوسنا تنفيس
معرى بجذب الريح من آفاقه فكأنه للريح مغناطيس

ومن محاسن[٤] المسجد الشريف صحنه فإن الجالس فيه أحسن حالاً منه في البساتين مع ما اختص به من مشاهدة الحجرة المعطرة والقبة الشريفة إلى غير ذلك من الفضائل التي لا تحصى والنوافل التي لا تستقصى وفي الصحن نخلة مرصة حولها درابزين من خشب مربع الشكل وهي من بقايا نخلات كانت هناك قيل كانت بصحن المسجد نخيل مغروسة نحو خمسة عشر.

قال المجد اللغوي: وفي أيام عزيز الدولة، شيخ الخدام غرس كثير من هذا النخل الذي بالمسجد اليوم وكأنه لم يتعرض أحد لهذه البدعة كذا في المغانم وفي كتاب زهر البساتين فإن قيل كيف ساغ غرس النخل في المسجد وهو من البدع المنهى عنها الجواب ان المسئلة مختلف فيها فمنهم من [كره][٥] ومنهم من [منع][٦] ومنهم من أباح ولا يسوغ الانكار إلا في مسائل الإجماع. وأما حكم ثمرتها فإنها مباحة لجميع المسلمين كالنابت في المقبرة والبيدا وحجة الطريق تتميم في ذكر أبار النبي صلى الله

---

(١) سقط من ب.
(٢) في أ [أدب].
(٣) غير ظاهرة في أ.
(٤) في ب [هنالك].
(٥) في أ [ذكره].
(٦) في أ [منعه].

تعالى وسلم عليه وهي كثيرة الا ان المشهور منها سبع وفي ذلك يقول أبو اليمن المراغي:

[وما أجل ما قال][1]

إذا رمت آبار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالا بلا وهن

«إريس وغرس رومة وبضاعة، كذا بصة قل بئر صاء مع العهن بئر إريس كأنيس وتعرف ببئر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. سقط خاتمه الشريف من يد عثمان. رضي الله عنه. في أيام خلافته. فنزحت فلم يوجد. وعندها حدائق ذات بهجة وماؤها أعذب ماء هنالك وهي[2] في غرب مسجد قباء طولها أربعة وعشرون ذراعًا وشبرًا. منها ذراعان ونصف في الماء وعرضها خمسة أذرع وطول قفها الذي جلس عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أذرع وعند البئر اطم عال خراب. يعرف بالحصن. كذا في الجوهر المنظم.

قلت: وقد تجد ذنبآء البئر بعد ذلك مرات. وزيل في علو السقف وجعل في قبلي البئر مسجد لطيف. والحصن اليوم مسكن. فلاح البئر المذكورة بئر غرس بفتح أوله ويروي بالضم. جاءها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا بدلو من مائها[3]، فتوضىء منه ثم سكبه فيها[4]، فما ترفت بعد ذلك. ورأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح على غرس. فتوضأ منها، وبصق فيها[5]، وأهدى له عسل فصبه فيها، وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء من جهة المشرق نحو نصف ميل. وعند ركنها الشرقي القبلي الحديقة المغلية. طول بئرها سبعة أذرع وعرضها عشرة أذرع والماء ذراعان. كذا في الدرة الثمينة. ومجال البئر قبلي واشتهر عند أهل الفلاح أن المجاز الشامي أوفق بالصنعة وسره الانحدار الطبيعي ومساعدة الهوى.

وفي الجوهر المنظم ورد يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئر غرس بسبع قرب لم

---

(١) سقط من أ.

(٢) في أ [فهي].

(٣) في ب [ماء].

(٤) قال ابن شبة: وحُدِّثنا عن ابن أبي يحيى، عن... أن النبي ﷺ توضأ من بئر الأغرس، وأهراق بقيّة وضوئه فيها. انظر تاريخ المدينة المنورة لابن شبّة، قيد الطبع بتحقيقنا ١٦١/١ (ما جاء في البئار التي كان يُستقى منها).

(٥) لم أجده.

تحلل أوكيته فغسل[١] منها كما أمر وكانت خرابًا فجددت [بعد السبعمائة][٢]. ولها درجة من داخل الحديقة ويقربها مسجد ولها درجة أخرى من خارج الحديقة عمرت عام اثنين وثمانين وثمانماية وكانت عليها حديقة غناء فصارت بورًا كأن لم تكن.

وما أوقع ما قال[٣]:

[بنى][٤] الدنيا أقلوا الهم فيها ... فما فيها يؤل إلى الفوات

بناء للخراب وجمع مال ... ليغنى والتولد للممات

وبئر رومة بالضم في غربي المدينة بعيدة منها وهي في تراح واسع من الأرض وطي. وعندها بناء من حجارة عظيمة كان ديرًا ليهودية طولها ثمانية عشر ذراعًا وعرضها ثمانية أذرع وماؤها حلو صاف طيب. ورد (نعم القليب قليب المزنى)[٥]. وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين فقال عليه السلام من يشتري رومة فيتصدق بها فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله فيها شرب في الجنة[٦]. فساوم عثمان رضي الله عنه اليهودي فأبى عن بيع كلها فاشترى منه نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين وصار لكل يوم فكان المسلمون يستقون[٧] في يوم عثمان ما يكفيهم يومين. فقال اليهودي: أفسدت على [تركن][٨] فاشترى النصف الثاني بثمانية الآف درهم

---

(١) قال ابن شبّة: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن أبي جعفر: أن النبي ﷺ غُسِّل من بئر سعد بن خَيْثَمَة، بئر يقال لها الغَرْس بقُباء، كان يشرب منها. انظر تاريخ المدينة لابن شبة، قيد الطبع بتحقيقنا ١/ ١٦٢ (ما جاء في البئار التي كان يستقى منها).

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [بنو].

(٥) قال ابن شبّة: قال محمد بن يحيى، وأخبرني غير واحد من أهل البلد: أن النبي ﷺ قال: نعم القَلِيب قَلِيب المُزني. انظر تاريخ المدينة لابن شبة، قيد الطبع بتحقيقنا ١/ ١٥٤ (ذكر بئر رومة، وهو في العقيق) تنبيه: ثبت في أ، ب، بدل [المزني] قوله [الموتى] وهو تصحيف طالب العلم/ محمد فارس.

(٦) قال ابن شبّة: قال محمد، وحُدِّثتُ عن الوقاص، عن الزهري: أن النبي ﷺ قال: من يشتري رُومَة يَشرب رُوَاءً في الجنة، فاشتراها عثمان رضي الله عنه من ماله فتصدق بها. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١/ ١٥٤ (ذكر بئر رومة، وهي في العقيق).

(٧) في ب [يستسقون].

(٨) ثبت في ب [ركيتي].

واستقل بها المسلمون، وحول هذه البئر آبار طيبة الماء عجيبة الوضع والبناء بحيث يزعم الناظر إليها أنها من وضع الجنة لغرابة أمرها.

[وما ألطف ما قال][1]:

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا عجبًا عدوه من صنعة الجنة

بئر بضاعة بموحدة مضمومة وتكسر فمعجمة وقيل مهملة وهي في شمال المدينة. صح أنه قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه يستقي لك من بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيها [لحوم] الكلاب؛ والمحائض فقال: إن الماء طهور لا ينجسه شيء[2]، وفي ذلك كما لا يخفى رخصة عظيمة ونعمة جسيمة وصح أنه عليه السلام «بصق فيها وتوضأ من دلو منها ورده إليها ودعا لها»[3] وكان المريض يغتسل منها فيبرأ. يكون الماء فيها على قدر ذراعيه وعرضها ستة أذرع وطولها أحد عشر ذراعًا وشبرًا وهذه البئر في بستان وماؤها عذب طيب لونه صاف أبيض طيب الرائحة. كذا في الدرة.

قلت: وعندها اليوم مسجد لطيف وأما البستان فقد صار من أنضر الحدائق وأحسنها.

وللنجم من بعد الهبوط استقامة وللدهر أيامًا تجور وتعدل

بئر البصة: بموحدة مضمومة فمهملة مخففة.

وقيل: مشددة من بص الماء رشح. والأول من وبص كوعد إذا بلغ.

خرج إليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسل رأسه منها بالسدر يوم الجمعة

---

(١) سقط من أ.

(٢) رواه أبو داود والطبراني وقال ابن شبّة: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن ابن إسحاق، عن سليط بن أيوب، عن عبدالرحمن بن رافع الأنصاري، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقال له: يا رسول الله، إنه يُسْتَقَى لك من بئر بُضَاعَة، وهي تلقى فيها لحوم الكلاب والمحائض وعُذَر النساء. فقال رسول الله ﷺ: إن الماء طهور لا يُنَجِّسه شيء. انظر تاريخ المدينة لابن شبة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٦/١ ج١٥٧ (ما جاء في البئار التي كان يُسْتَقَى منها).

(٣) قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبي يحيى، عن يحيى بن عبدالله بن يسار عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بصق في بُضاعة. وقال: حُدِّثنا عن ابن أبي يحيى عن أبيه عن أمه، أنها سمعت سهل بن سعد رضي الله عنه يقول: سقيت النبي ﷺ بيدي من بُضاعة. انظر تاريخ المدينة لابن شبّة قيد الطبع بتحقيقنا ١٥٧/١.

وصب غسالة رأسه وفراقة شعره فيها[1]، وهي قريبة من البقيع على يسار الطريق السالكة إلى قباء في حديقة موقوفة على الفقراء وهي ما بين النخيل، وقد هدمها السيل [وطمها][2] ثم غمرت والماء فيها أخضر وإذا انفصل منها فهو أبيض طولها أحد عشر ذراعًا منها ذراعان في الماء وعرضها تسعة أذرع وهي مبنية بالحجارة حلوة الماء طيبة، وفي الحديقة بئر أخرى في قبلتها أصغر منها رجح بعضهم الكبرى واختار بعضهم الصغرى.

بئر حا: قال المجد: هي بئر قريبة الرشا ضيقة القنا طيبة الماء وقد أفرد لها بعضهم مصنفًا وفي الدرة الثمينة: في الصحيح من حديث أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل وكانت أحب أمواله إليه بئر صا وكانت مستقبلة المسجد، وكان عليه السلام يدخلها ويشرب من مائها[3] فلما نزل قوله تعالى ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] أتى أبو طلحة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وأنا أحب أموالي إلي بئر صا وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخ ذلك مال رابح[4]. وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: افعل. فقسمها في أقاربه وبني عمه.

قال في الوفا: وكان منهم أبي بن كعب، وحسان بن ثابت فباع حسان حصته من معاوية بن أبي سفيان فقيل له تبيع صدقة أبي طلحة فقال ألا أبيع صاعًا من تمر بصاع من دراهم.

قال الحافظ ابن حجر: وبيع حسان لحصته من معاوية دليل على أن أبا طلحة

---

(١) لم أجده.

(٢) ثبت في أ [وطما].

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ٢٨٩. وقال ابن شبّة: حدثنا عبدالله بن نافع بن ثابت قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة، رضي الله عنه أكثر أنصاريّ بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبّ أمواله إليه بئر، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. فتصدّق بها أبو طلحة رضي الله عنه. انظر تاريخ المدينة لابن شبّة قيد الطبع بتحقيقنا ١/ ١٥٧ (ما جاء في البئار التي كان يُسْتَقى منها).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة ٣/ ٣٨١ الحديث ١٤٦١. وأخرجه مسلم في الزكاة ٢/ ٦٩٣ الحديث ٤٢/ (٩٩٨). والدارمي في السنن ١/ ٤٧٧ الحديث ١٦٥٥. والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٧٤ الحديث ١٢٤٤٧.

ملكهم الحديقة المذكورة. ولم يقفها عليهم، ويحتمل أن وقفها، وشرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه علي وغيره.

قال في الوفا: قلت: وقد اشترط ذلك [علي][١] في صدقته. كما [حكاه][٢] ابن شبة عن نسخه كتاب الصدقة.

وقد اختلف الناس في ضبطه:

فقال صاحب النهاية: بئرحا بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وبفتحهما والقصر.

وقال الزمخشري بيرحا فيعلى [من البراح][٣] وهي الأرض المنكشفة الظاهرة وقيل هي على الإضافة. وحا اسم رجل أو قبيلة فينون أو هو مقصور وهذه البئر اليوم في وسط حديقة صغيرة قريبة من البقيع ومن سور المدينة على طريق سالكة طولها عشرون ذراعًا منها أحد عشر في الماء وعرضها ثلاثة أذرع وشبر وهي في مقابلة المسجد النبوي من جانب الشمال.

بئر العهن: بئر بالعالية مليحة منقورة في الجبل لا تكاد تنزف وتسمى اليسيرة[٤] برك عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوضأ منها وبصق فيها[٥] وكانت للأنصار وهي اليوم لآل شدقم من بني حسين أشراف المدينة. عليها حديقة غناء وفيها روضة حسناء.

وقد اختلف في السابعة من الآبار: فقيل: هي العهن وهو المشهور عند أهل المدينة.

وقيل بئر السقيا[٦].

---

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [رواه].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [الكبيرة].

(٥) قال ابن شبّة: وحُدِّثنا عن ابن أبي يحيى، عن محمد بن حارثة الأنصاري، عن أبيه، أن النبي ﷺ سمّى بئر بني أمية من الأنصار (اليَسِيرة)، وبَرّك عليها، وتَوَضّأ وبصق فيها. انظر تاريخ المدينة لابن شبّة قيد الطبع بتحقيقنا ١/١٦١.

(٦) قال ابن شبّة: حدثنا سعيد بن سليمان وهارون بن معروف، قالا: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يُسْتَقَى له الماءُ العذب من بئر السُّقْيَا. انظر تاريخ المدينة لابن شبّة قيد الطبع بتحقيقنا ١/١٥٨.

[وقيل بئر جمل][1] ولا تعرف جهتها فضلاً عن عينها.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرضه صبوا علي من سبع قرب من آبار شتى[2]، ولا دلالة في الحديث على إرادة هذه الآبار المذكورة.

ذكر عن[3] النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في الدرة لما كانت أيام الخندق وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخافون البيات فيدخلون كهف بني حرام وهو في غربي جبل سلع[4] تجاه الحديقة النقيبية فبات فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا أصبح هبط ونفر العيينة التي عند الكهف وتوضأ منها[5].

---

(١) سقط من ب.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٥١ الحديث ٨١. والإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٦٩ الحديث ٢٥٢٣٣. والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٥.

(٣) في ب [عين].

(٤) سقط من ب.

(٥) قال ابن شبّة: وحُدِّثنا عن ابن أبي يحيى عن طلحة بن خداش عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر عن عبد الملك بن جابر عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، وسعد ابن معاذ: أن النبي ﷺ توضأ من العَيْنيَّة التي عند كهف بني حرام. قال: وسمعتُ بعض مشيختنا يقول: قددخل النبي ﷺ ذلك الكهف. انظر تاريخ المدينة لابن شبّة قيد الطبع بتحقيقنا ١/ ١٦٠.

ذكر نسب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال قائلهم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

[وإلى ههنا اتفقوا واختلفوا فيما وراء ذلك][1] خاتمة.

قال بعضهم هذا النسب الشريف يكتب لكل شيء لأنه اشتمل على حروف الاسم الأعظم وقد جرب في مهمات كثيرة وما زال السلف يحفظون ويأمرون أولادهم بحفظه والتبرك به. وما أحسن ما قال:

فهات لي ذكر من أحب وخلي ... كل من في الوجود يرمي بسهمه

لا أبالي ولو أصاب فؤادي ... أنه لا يضر شيء مع اسمه

باب: فيما اشتمل عليه سور المدينة السنية[2] وذكر بعض منافذها العذبة الهنية:

بشراك يا ساكن المنازل ... بمنزل ماله مماثل

تشاهد المصطفى دواما ... من حيث لا مانع وحائل

فاشكر لمولاك [كل][3] حين ... فالفضل بالشكر غير زائل

وما أصدق ما قال:

إذا كنت [في][4] طيبة ساكنا ... وكنت بعيدًا من المسجد

---

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [العلية].

(٣) سقط من ب.

(٤) سقط من ب.

فـإن فـضـيـلـة مـن قـد دنـت بـه داره مـنـه لـم تـجـحـد

قيل لم يكن في المدينة المنورة سور في الزمن القديم وأول من بنى بها سورًا بعد خراب أطرافها عضد الدولة وذلك بعد الستين وثلثمائة في خلافة الطائع بن المطيع[1] قال المجد اللغوي في المغانم وكان مصلى العيد داخل الباب ويروى أن اسحق بن محمد الجعدي بنى سورالمدينة سنة مائتين وثلاثة وستين وجعل فيها أربعة أبواب ويحكى عن القاضي سنان الحسيني[2] أنه كان يقول في الخطبة على المنبر اللهم صن من صان حريم بيتك بالسور محمد بن علي بن منصور.

تتميم في أيام الشريف أبي نمي محمد بن بركات شريف مكة المشرفة استولى على الديار المصرية ملك الروم السلطان الأعظم سليم عليه الرحمة والرضوان فجهز إليهما قاصدًا بالاستمرار والاستقرار والاستيلاء على [أقطار][3] تلك الديار.

[ومن أحسن ما قال][4]:

فلا عد منهم نعمة خلقت لهم ودنيا بهم فيها الحياة تطيب

فكان السلطان سليم عليه الرحمة هو أول من ملك الحرمين من آل عثمان وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعماية.

ومن محاسن السلطان سليم قوله على ما حكاه عنه القطب الحنفي في كتابه الاعلام:

الملك لله من يظفر بنيل غنى[5] يتركه[6] قسرًا ويضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وفي أيام ابنه السلطان «سليمان» عليه الرحمة والرضوان كان بناء سور المدينة المنورة اليوم. وذلك في سنة تسعماية وتسعة وثلاثين وبنى على أساس السور القديم في سبع سنوات لتعطيل العمارة في خلال المدة. وكان تمامه في سنة[7] تسعماية وست وأربعين ودائر السور بذراع العمل ثلاثة آلاف واثنان وسبعون وقيل هو ما بين الأبراج والتجويف. أربعة آلاف والمتصرف[8] عليه مائة ألف دينار وكتب على الباب الغربي إنه

(1) في ب [المشبع].
(2) سقط من ب.
(3) سقط من أ.
(4) في ب[منى].
(5) في ب [ينزله].
(6) في ب [نملة].
(7) سقط من ب.
(8) في ب [المصرف].

من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم وقد حصل ولله المنة . بهذا السور لأهل المدينة المنورة . كمال ميسرة الأمان. على اختلاف حال الزمان.

يا من لهم في مهجتي والحشا	منازل تزهو ببنيان
قلبي لكم سور بديع البنا	كأنه السور السليماني

ومن محاسن المدينة: بل من رحمة الله تعالى وعنايته بها [كونها][1] في ولاية صاحب الوقت والزمان. ومصاحب العزة والأمان الهمام الذي إذا نسب إلى النفوس كان العاشر من [البشر أو إلى][2] العقول فهو الحادي عشر.

شمس سماء الخلافة. وقمرها في الليل البهيم. ظل الله تعالى في أرضه. القائم بإحياء سنته وفرضه. ودينه القويم محجة الله الواضحة. ودلالته الناصحة للخالق على التعميم. أمين الله تعالى على خلقه. وخليفته القائم بحقه بتقدير العزيز العليم. الجامع بين شجاعة الليث. وسماحة الغيث. والخلق العظيم. خادم الحرمين الشريفين. سلطان الروم واليمن والعراقين. واسطة عقد آل عثمان السلطان بن السلطان الملك المظفر المنصور المعان المؤيد بالتوفيق والسداد. مولانا السلطان مراد خلد الله تعالى ملكه على تعاقب الآباد. وجعل الممالك في ملكه. وملك عقبه إلى يوم التناد. ولا برحت أيام اقباله مسفرة ووجوه الأنام بتحقيق المرام في أيامه مستبشرة. والله تعالى يجعل صدقاته الشريفة تشفى من داء الحرمان بكل فائدة. وصلاته المنيفة لكل من ضعف عن الوصول إلى استحقاقه عائدة. ما دامت الأيدي بالدعاء له مرفوعة. وقلوب أهل الإيمان على محبته مجموعة.

أجدد عهدي بالدعاء لدولة	قديما أمرتني ودام له حمدي
وأحمد عودي بعد بدئي مثنيًا	على فضلها فيما أسر وما أبدى

ومن محاسنها بل من محاسن الدهر: تعلق أمورها وأحكامها بصاحب القبلة المرضية. حامي حمى بلد الله الأمين. وبلد جده سيد المرسلين. السيد الشريف. السند المنيف. ناصر الشريعة القويمة سالك المسالك المستقيمة [نور حدقة النبوة والرسالة][3]. نور حديقة الفتوة والبسالة المختص من الله تعالى بجزيل العواطف وجميل المنن مولانا السيد زيد بن محسن بن حسين بن حسن زاد الله في شأنه عزة[4] ومكانة

---

(١) سقط من أ.
(٢) هكذا ثبت في الأصل.
(٣) سقط من ب.
(٤) في ب [عزاً].

[وجعل فوق مكان][1] أعدائه مكانه ولا برحت ألوية مجده برياح السعادة خافقة. وألسنة الأقلام على مدى الأيام بمدائحه ناطقة. فلقد طابت بشمائله الشابقة ونوافله الفايقة. طيبة الطيبة. وما حولها من البقاع. وشفى بالأمن من هو بها من الرعايا وسائر الأتباع وأصبح أهلها بحمد الله تعالى يرفلون بوجوده وجوده في حلل الوفا وحلل الصفا. ويتنقلون من مكارمه بعد التتميم والتكميل إلى الاكتفاء.

لوائح وفواتح ولما كانت محبة آل البيت النبوي من أسنى المطالب لا سيما وقد قال الله تعالى في كتابه المحكم ﴿قل لا اسألكم عليه أجرًا الا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] وإذا الأنام توسلت بوسيلة. فوسيلتي حبي لآل محمد. حتى قال أهل التحقيق: أن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة لمحبته صلى الله تعالى وسلم عليه ثم محبة [ذريته][2] لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة وتطهيرهم بمحض فضل الله تعالى من الأوصاف الذميمة وينظرون إليهم اليوم. نظرهم إلى آبائهم. بالأمس [ولو رأوهم][3] ويغضون على انتقادهم. ويزيدون في ودادهم. ويكلون أمرهم إلى بارئهم.

كما قال:

[لأحمد أهواكم وأرعى ودادكم	وحق لآل المصطفى عندي الود][4]
فما كان منكم من جميل فإنكم	متابعة والفرع عن أصله يبدو
وما خالف المعروف في ظاهر فقد	تولاه رب يرحم العبد إذ يغدو

لاق وراق التنبيه على ذلك، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

قال مولانا السيد شيخ باعلوي في ديباجة كتابه العقد النبوي: الحمد لله الذي اختص أهل البيت المطهرين من الأرجاس والأدناس المتميزين على من سواهم من الناس. بكل فضل وكرم وباس بخصائص تنقطع دونها أعناق مطامع أهل الالتباس. ومزايا لا يشق لها غبار ولا يحلق لها آثار. عند توجهها إلى الغايات [واستياقها][5] في جلبة الكمالات حتى وقف من سواهم عن التطاول إلى شيء من معاليهم وقامت القواطع بأنهم الواصلون إلى غاية الآمال حتى مواليهم فمن ذلك ما أشار إليه مشرفهم صلى الله تعالى عليه وسلم بقربهم مع القرآن في وجوب التمسك بهما وانهما لا يفترقان وكتوقف صحة الصلاة على الصلاة عليهم. عند جمع من العلماء الأعيان وكونهم كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا. ومن تخلف عنها هلك. فالحذر [الحذر][6] أن تكون ممن

(١) في ب [قوت].
(٢) في ب [ذريتهم].
(٣) في أ [ولو رأفهم].
(٤) سقط من ب.
(٥) في أ [واشتياقها].
(٦) سقط من ب.

في هذه الداهية الدهيا قد [ارتبك][1] وكقوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] الدالة على شرف لا تبلغ غايته الأفهام وكقوله ﷺ: كل سبب ونسب وحسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وحسبي[2].

وكقوله «إن لكل نبي أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهي عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم. من أحبهم أحبه الله، ومن بغضهم[3] بغضه الله»[4].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة أنتظم بها في سلك محبتهم. وأحشر بها معهم في زمرتهم. لا من أحب قومًا فهو معهم وان لم يعمل بعملهم كما قاله الصادق مشيرًا إلى تعاظمهم وتعاليهم وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله. الذي فضله الله على سائر مخلوقاته صلى الله وسلم عليه. وعلى آله الذين حباهم بقربه الأعظم. ونسبه الأشرف الأكرم. وأتحفهم بما من تجبر جهته لا بعلم. وهو ما فيهم من البضعة الكريمة. والدرة الجوهرة اليتيمة[5] وعلى أصحابه الذين نقلوا إلينا سنته. وعلى التابعين وتابعيهم من يذكرهم ينزل الله تعالى رحمته. إلى أن قال: ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة فإنهم يحشرون مطهرين. مغفورًا لهم.

وأنشد للقيراطي:

شرف الله طيبة بنبي | منه طابت عناصر الشرفاء
حاز فضلا آباؤه وبنوه | فهو فخر الآباء والأبناء

ثم قال: وللوسائل حكم المقاصد. ومن هنا قالوا: الوسائل في المعنى هي الوسائط للوصول إلى المطالب وهي الشفاعة.

---

(١) في ب [ارتكب].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٥ الحديث ١٨٩٥٤. والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٦ وعزاه للطبراني وقال: فيه أم بكر بنت المسور ولم يجرحها أحد ولو يوثقها، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) في ب[أبغضهم].

(٤) في ب [الثمينة].

(٥) رواه ابن ماجه في المقدمة ١/ ٥١ الحديث ١٤٣ مختصراً. والطبراني في الكبير ٣/ ٤٨ الحديث ٢٦٤٧ ـ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

كما قال:

على الله في كل الأمور توكلي وبالخمس أصحاب العبا توسلي
محمد المبعوث وابنيه بعده وفاطمة الزهراء والمرتضى علي

وقال العلامة ابن حجر: من خطبة[1] عقد نكاح: ابنته على الإمام عبد الله بن عبد المعطي الطبري. بعد ذكر الأئمة الطبرية. وكيف لا وهم من خلاصة[2] الجرثومة الهاشمية. وعصابة التنزلات المصطفوية والعشرة الطاهرة من كل دنس تطهيرًا أي تطهير.

والمفروض محبتهم ومودتهم على كل جليل وحقير.

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر[3] أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

والمقرونين بالقرآن الكريم[4] في أمن العالم بهما ما داما باقيين من كل خطب جسيم ومدلهم بهيم والمخصوصين[5] لما فيهم من البضعة الكريمة والدرة اليتيمة التي لا يوازي شرفها شرف ولا يلحق رفيع شأوهما سلف ولا خلف بأنهم الأعزة في كل زمن والمقروع لهم عند ترادف الفتن وتكاثف المحن.

[وما ألطف ما قال]*:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف[6] من الطراز الأول

حقق الله تعالى لنا بآل نبيه وصلة المحبة التي طبعنا عليها وأعرضنا عن كل فخامة تقطع عنها نظرًا إليها إذ لا فخامة إلا منهم ولا زعامة إلا عنهم ومن ثم قال عمر للحسن رضي الله تعالى عنهما اعتذارًا إليه واعترافًا بالحق الواجب عليه والله ما أنبت الشعر على رؤوسنا بعد الله إلا أنتم وقال للحسين وقد قال له وهو صغير انزل عن منبر أبي والله إنه لمنبر أبيك وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك فرضي الله تعالى عنه إذ أقر المجد في نصابه ورده إلى إهابه وجعلنا ممن أعطى كل ذي حق ما تستحقه مرتبته وتستدعيه منقبته إلى أن قال صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله المطهرين به [من][7] من كل دنس وعيب الآمنين بباهر جاهه من كل ريب الوارد فيهم ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله

(١) في أ [خطبته].
(٢) في ب [خلوصه].
(٣) في ب [قدركم].
(٤) في ب [العظيم].
(٥) في ب [المخصوص].
(٦) في ب [اللفوف].
(٧) سقط من ب.
* سقط من أ.

وذريتها على النار[1] لكن لا ينبغي للشريف أن يقع منه بذلك اغترار فقد قال محمد الجواد وأبوه علي الرضي وجد جده زين العابدين وهؤلاء من أكابر أهل البيت الطاهرين المطهرين إن ذلك الحديث خاص بأولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها من غير واسطة وكأنهم نظروا لما في حديث آخر مع عدم النظر لتلك الرابطة وهو «يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب ويا عباس عم رسول الله صلى الله وسلم عليه يا بني هاشم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، قوا أنفسكم من [النار][2] لا أغني عنكم من الله شيئًا»[3] [وفيه ما فيه][4] إذ فاطمة رضي الله تعالى عنها مذكورة في الحديثين فتعين أن الأول فيه النظر لمظهر الفضل والجمال والثاني فيه النظر لمظهر العدل والجلال وقال [في الفتاوى][5] المتفرقة ولا يغض عن ذات الشريف بل عن الوصف المذموم مع اعتقاد تطهيره ولا يقع في حقه فقد قيل مثل الشريف إذا أقيم عليه الحد الشرعي مثل ابن أمير تلوثت قدماه بقذر فغسله عن أجل خدم أبيه وما على من رأى سمّا أن يطرحه ولا يتحساه وقال الشيخ الأكبر في الباب التاسع والعشرين من الفتوحات ما معناه. وترى ما يقع من بعضهم من المظالم كأخذ المال والقتل ونحو ذلك من الأمور السماوية كالموت والغرق ولا تقع في حق أحد منهم تنبيه كثيرًا ما تسول للإنسان نفسه محبة أهل البيت النبوي فيعتقد صدق الدعوى ومن ناقش نفسه في ذلك تجلت شموسه وانجلت عروسه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٢. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٠٥ وعزاه للطبراني والبزار بنحوه، وقال وفيه عمرو بن عتاب وقيل ابن غياث وهو ضعيف.

(٢) سقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٣٦٠ الحديث (٤٧٧١). وأخرجه مسلم في الإيمان ١/ ١٩٢ الحديث ٣٥٠ (٢٠٥). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٠٩ الحديث ٢٥٥٩٠. والبيهقي في الكبرى ٦/ ٤٥٩ الحديث ١٢٦٤٩. والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٣٢٨ الحديث ٣٧٤٣. والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع وأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرأفة فيما بينهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نص له على إنذارهم. وفي الحديث فوائد منها: جواز تكفية الكافر وفيه خلاف بين العلماء قال الحافظ: كذا قيل وفي إطلاقه نظر، لأن الذي منع من ذلك: إنما منع منه حيث يكون السياق يشعر بتعظيمه بخلاف ما إذا كان ذلك لشهرته بما دون غيرها كما في هذا أو للإشارة إلى ما يؤول أمره إليه من ذهب جهنم. ويحتمل أن يكون ترك ذكره باسمه لقبح اسمه لأن اسمه كان عبد العزي. قال الحافظ: ويمكن جواب آخر وهو أن التكنية لا تدل بمجردها على التعظيم بل قد يكون الاسم أشرف من الكنية ولهذا ذكر الله الأنبياء بأسمائهم دون كناهم. انظر فتح الباري (٨/ ٣٦٢).

(٤) سقط من ب.

(٥) غير مقروء في أ.

وإذا طلع الصباح فلا حاجة إلى المصباح قال بعضهم إذا رأيت المبتلي من أهل البيت ورأيت في نفسك الرحمة له والرأفة به وعزمت على مساعدته على الزمان من غير استنكاف أحواله الغير المحتملة فذلك دليل المحبة وأما مراعاة الشريف إذا كانت له حاجة تقضيها وملاحة ترتضيها فالحكم يومئذ بدور العلة.

وكل يرى طرق الضلالة والهدى ... ولكن طبع النفس للنفس قائدا

ومن محاسن المدينة تعدد [الحكام][1] بها وفيه لطف إلهي بالرعية وذلك لأنه إذا حدث بها أمر لا يقوم له ساق إلا باتفاق آرائهم وفيه سر الإجماع البعيد من الخطا في طريق الاجتهاد.

وما أوقع ما [قال][2] «تخالفت الأهواء[3] والحق واحد» «وكل إلى رأي من القول راجع وهذا اختلاف جر للناس راحة» كما اختلفت في الراحتين الأصابع **ومن محاسنها** بل من محاسن الدهر التفرقة السلطانية وهي الحنطة[4] الواصلة من أوقاف مصر المحروسة فإنها تجمع في الوكالة السلطانية وتجتمع لها الكتبة مع القاضي وشيخ الحرم النبوي وتفرق على أكثر أهل المدينة والمجاورين وغيرهم بمقتضى [الدفاتر][5] وكانت تفرق قبل هذه السنين على رأس كل شهر لكل شخص حصة ومقدارها ثلاثة أمداد مدنية وهي مقدار القوت الكافي للإنسان في الشهر ثم آل الأمر إلى أن صار يكتب للرجل الواحد المنفرد نحو الستين حصة بالوجاهة وغيرها ومن ولد له من ضعفاء المدينة لا سبيل إلى كتابة اسمه ولا إلى اثبات رسمه وبموجب هذه الحركة تغيرت هاتيك البركة، وكان يقال:

فلا تطلبن من عند يوم وليلة ... خلاف الذي مرت به السنوات

وها نحن نطلب ما مرت به تلك السنون، فتجده منظومًا في سلك ما لا يكون وكانت جملة الأسماء أولاً تناهز ستة آلاف فتجاوزت وإن خلا أكثرها عن المسميات عشرين ألفًا، والله يضاعف لمن يشاء وساعد [ذلك][6] عدم الوصول الحبوب من مصر المحروسة بحيث كانت التفرقة في جميع سنة سبع وأربعين وألف نصف حصة وانقطع الخير.

---

(١) سقط من ب.
(٢) غير مقروء من أ.
(٣) في ب [الآراء].
(٤) ثبت في أ [الحنطة السلطانية] والصواب حذف السلطانية.
(٥) في ب [تطابرت].
(٦) سقط من ب.

ولله در القائل:

نحن قسمنا الرزق بين الورى فأدب النفس ولا تعترض
وسلم الأمر لأحكامنا فكل عبد رزقه قد فرض

ومن محاسن المدينة:

منهل السوق، وهو المقابل للمدرسة الزمنية في الرحبة التي عند باب السلام فإنه يستقي منه أكثر أهل المدينة السنية والذي ساقها إلى ذلك الموضع الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمائة وجعل لها درجًا متسعًا وقيل أسامة من أمر الشام ولعله جددها وتعرف بالعين الزرقا لأن مروان الأزرق بن الحكم هو الذي أجراها وهو وال على المدينة المنورة، وأصلها من غربي قباء من ثلاثة آبار بئر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وبئر الرباط والتي في بئر عدن وهي تجري إلى المصلى وعليها فيه قبة يخرج منها الماء في وجهين شرقي وشمالي، وعلى ذكر الزرقا قال في الوفا وتسميه به لأن مروان الذي أجراها كان أزرق العين وكان القياس أن يقال عين الأزرق، وقال القيراطي شعر:

ما لعين سودا مني نصت بعد حبي لعينها الزرقا
أي زرقا بان لي من سقاها ما اختفى نوره عن الزرقا

فما أحلى ما قال:

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فلا تعذروني إن فتنت بها عشقا
يقولون من زرق العيون شامة وعندي أن اليمن في عينها الزرقا

والمناهل اليوم بالمدينة المنورة منهلان بالمصلى ومنهلان بالذكي ومنهلان بالقلعة ومنهلان بالساحة ومنهل بالحارة ومنهل بالثنية والمنهل المذكور وكلها تعرف بالعيون وكلها من عين الأزرق والعين التي أجراها محمد باشا وقد أحسن عمارتها آل عثمان وجعلوا لها خدامًا وجعلوا لهم أرزاقًا على ذلك فهي في الحقيقة من حسنات آل عثمان خلد الله تعالى دولتهم إذ لولاهم لاندرست آثارها. **فائدة** قال الواقدي كان بالمدينة على زمن معاوية صوافي كثيرة وكان يجد بالمدينة المنورة وأعراضها آيه وخمسون ألف وسق ويحصد مائة ألف وسق من الحنطة كذا في الخلاصة[1] ومن محاسن ما اشتمل عليه السنور حمام الوزير محمد باشا فإن فيها نفعًا عامًا ورحمة من الله تعالى وأنعامًا وهي حسنة الوضع والبناء المحكم مشيدة الأروقة القائمة على النمط الأقوم.

---

(١) غير مقروء في أ.

قد حسنت من جميع نواحيها ولاقا إن يلاق فيها[1]
يا حسن حمامنا وبهجتها مراى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحزن

أو [كما قال]:

إن حمامنا التي نحن فيها أي ماء لها وأية نار
قد نزلنا بها على ابن معين وروينا عنه صحيح البخارى

أنشد لنفسه بن رشيق:

ولم أدخل الحمام بعد فراقهم لأجل نعيم قد رضيت بيوس
ولكن لتجري [عبرتي][2] مطمئنة فأبكي ولا يدري بذاك جليس

وأنشد في تعجيل الخروج:

خذ من الحمام واخرج قبل أن يأخذ منكا
حدثن عنه وإلا حدث الحمام عنكا

يروى عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله تعالى عنه أنه قال، إذا دخلت الحمام فقل عند نزع الثياب اللهم انزع عني ربقة النفاق وثبتني على الإيمان إذا دخلت البيت الأول فقل اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وأذاه اللهم اذهب عني الرجس وطهر جسدي وقلبي ثم ضع من الماء الحار على هامتك ورجليك وخذ منه جرعة إن أمكنك [فإنه][3] ينقي المثانة ولا يشرب فيه الماء البارد ولا الفقاع فإنه [ ][4] [المعدة ولا تغسل بالماء البارد][5] ولكن صبه على قدميك وإذا جرحت فإنه يذهب الشقيقة ولا تدخلها على الريق ولا تسلق فيها فإنه يذيب شحم الكلا وتعمم عند خروجك شتاء وصيفًا وعنه رضي الله عنه يوم الحمام يوم الأربعاء وعن علي كرم الله وجهه يوم الحمام يوم الخميس ويوم الجمعة يوم الطيب. لطيفة. خرج الحسن بن علي رضي الله [تعالى][6] عنهما من الحمام فقال له رجل، طاب استحمامك، فقال له يا لكع وما تصنع بالاست هاهنا قال فطاب حمامك قال إذا طاب الحمام فما راحة البدن قال فطاب حميمك قال ويحك أما علمت أن الحميم العرق قال فكيف أقول، قال قل طاب ما طهر

---

(١) في ب [ولاق أن يقال].
(٢) في أ [عبري].
(٣) في أ [سخانه].
(٤) غير ظاهرة في أ وب.
(٥) سقط من ب.
(٦) سقط من ب.

منك، وطهر ما طاب منك وعن الصادق إذا قيل لك طاب حمامك فقل أنعم الله بالك كذا في مكارم الأخلاق.

ومن محاسن المدينة أنه لا يتمرد فيها أحد ويتجاوز الحد إلا عجل الله الانتقام منه وأخذ من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر وكان يقال إن من أسماء المدينة، الفضاحة وذلك منه لا يكون بها شيء إلا وتحدث به الألسنة وكان يقال ما أضمرته الليالي أظهرته الأيام وما [أسترته][1] السريرة [أبدته][2] [الأسرة][3] للآنام وكيف يفوت هذا الناس شيء وما في القلب يبديه[4] العيون وكان يقال:

اصنع جميلاً ما استطعت فإنه لا بد أن يتحدث السمار

تنبيه:

قال بعضهم: ينبغي لكل عاقل أن لا يقع في حق أخيه المؤمن، ولو وقف له على فاحشة إلا بحق الشرع ولا يعيره بها فإنه لا يدري ما يفعل به وقد قال الله تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور: ١٩] وقال عليه السلام من عير مؤمنًا بفاحشة كان على الله أن يوقعه في مثلها[5] أو كما قال:

هي المقادير فلمني أو فذر إن كنت اخطأت فما اخطأ القدر

قال الإمام [الغزالي][6] في فضل بيان علاج الغضب من كتاب الاحياء* روى أبا ذر قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمرا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه فقال يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلاً[7] بأمه[8] فقال نعم قال فانطلق

---

(١) في ب [أسرّته].

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب [ألسنة].

(٤) في ب [تبديه].

(٥) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٤/ ٦٦١ الحديث ٢٥٠٥. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وذكره البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٤٠ ما بعد الحديث ٣٥٦٢.

(٦) سقط من ب.

* انظر الأحياء (٣/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٧) قال الحافظ: وقيل إن الرجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر. أنظر فتح الباري (١٨١١).

(٨) قال الحافظ: في السياق، دلالة على جواز تعديه [عيرته] بالباء وقد أنكره ابن قتيبة وتبعه بعضهم وأثبت آخرون انها لغة. انظر فتح الباري (١/ ١٠٩).

فارضي صاحبك فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم بأنك لست بأفضل من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائمًا فاقعد وإن كنت قاعدًا فاتكىء وإن كنت متكئًا فاضطجع[١].

وعنه عليه السلام العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه. إذا تلتمس للناس عيبًا تجد لهم عيوبًا ولكن الذي فيك أكثر يحكى عن بعض السلف، أنه [راى] بمكة ما لا يرتضي من سنائها، فأنكره، واضطرب فيه فكره فلما كان الليل، راى قائلاً (ينشد هذه الأبيات):

إذا نحن شيئًا لا يدبر ملكنا	سوانا ولم نحتج مشيرا مدبرا
فقل للذي قد رام ما لا نريده	وأتعبت نفسا بالذي يتعذر
لعمرك ما التصريف إلا لواحد	ولو شاء لم يظهر بمكة منكر

وفي كتاب المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوي «بسفهاء مكة حشو الجنة» حديث تنازع فيه عالمان في الحرم فأصبح الطاعن فيه وقد اعوج أنفه[٢].

ورأى قائلاً يقول له سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثًا فاعترف بالكلام فيما لا يعنيه ويقال: إنه ابن أبي الصيف اليمني وأنه كان يقول إن ثبت فإنما هو إسفاء مكة. تصحف على الراوي ومعناه المحزون على [تقصيرهم][٣] انتهى بمعناه والكلام في مثل ذلك كثير وفي الجامع الصغير المدينة خير من مكة وفي المواهب بسنده المدينة أفضل من مكة وعن مالك رحمه الله تعالى ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، وإذا كانت المدينة الشريفة بهذا المكان من الفضيلة والشرف فلا غرو [أن][٤] يطيب بها من حلها فمن أهلته الحضرة الشريفة للحلول بها والتشرف بتربها فكيف بأشرافها وأبناءها الذين هم غراسها ولله در القائل.

كفى شرفًا أني مضاف إليكم	وإني بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا	على نسبه منكم من الطيب أعرف

وقال آخر:

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ١/١٠٦ الحديث ٣٠. وأخرجه مسلم في الإيمان ٣/ ١٢٨٣ الحديث ٤٠(١٦٦١).

(٢) انظر/ المقاصد الحسنة للسخاوي (ص/ ٢٥١). الحديث ٥٦٤.

(٣) في ب [المحزونون].

(٤) سقط من ب.

إذا لم تطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين أتطيب
وإذا لم يجب منها ربنا[1] الدعاء ... ففي أي حي للدعاء يجيب

من محاسن المدينة:

أنها عون بغريبها، حتى على أهلها وفيه سر لا يثار وأنه لا يرد إليها أحد من الآفاق ويتأملها إلا ويختارها حتى على وطنه بل وينشد بلسان الحال في هذا المجال:

رأيت بها ما يملأ العين قرةً ... ويسلي عن الأوطان كل غريب

رأيت مكتوبًا على اسطوانة في المسجد الأقصى سنة اثنين وأربعين وألف.

إذا كنت في القدس الشريف تشوقت ... إلى مكة نفسي بحج وعمرة
ولو كنت فيها قالت النفس طيبة ... أعيش بها في كل روح النبوة
ولو كنت فيها زاد للأهل شوقها ... فمن لي بأهلي والبلاد الشريفة

وقال آخر:

تطالبني نفسي مقامًا بطيبة ... فأذكر معفي أهلها فاقصره
حياء من التقصير في حق بعضهم ... وإرضاء كل منهم متعذر
ويغلبني شوقي إليها فأنثني ... أقدم رجلي تارةً وأؤخر

أنشد لنفسه قاضي القضاة تاج الدين السبكي:

إذا كنت جار المصطفى ونزيله ... فيقبح بي شوقي لأهلي وأوطاني
أأرحل عن دار به[2] الخير كله ... وفيها هوى القاصي وأمنية الداني
حلفت يمينًا إنها خير منزل ... لأكرم نزال وأشرف جيران
ولست بناس أهل ودي وإنما ... إذا فزت بالباقي فمالي والفاني[3]
فيا رب بلغ من أحب وصولها ... ليزداد إيمانًا كما زاد إيماني

وأنشد لنفسه ابن جابر الأندلسي:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حفا ... بالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم إلى ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلفا[4]
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها أنتم في بحر نعمه غرقا

---

(١) في ب [من جهاد].
(٢) في ب [بها].
(٣) في ب [بالفاني].
(٤) في ب [الخفقا].

ترون رسول الله في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع[1] الإحسان حرًا ولا رقا
[بطيبة مثواكم وأكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا][2]
وكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكرًا وفضل الله بالشكر يستبقا
أمنتم من الدجال فيها فحولكم ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا
وكذاك من الطاعون أنتم بمأمن ... فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم ... وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتًا تحت رحماه أنتم ... وحشرًا فستر الجاه فوقكم ملقا
فيا راحلاً عنها لدنيا يريدها ... أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
وتخرج عن حوز النبي وحرزه ... إلى غيره تسفيه[3] مثلك قد حقا
لئن سرت[4] تبغي من كريم إعانةً ... فأكرم من خير البرية ما تلقا
هو الرزق مقسوم وليس بزائد ... ولو سرت حتى كدت أن تخرق الأفقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به ... إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقا
لقد أسعد الرحمن جار محمد ... ومن جار في ترحاله فهو الأشقا

قصيدة غزلية نبوية:

سقى منازل علوي[5] كل غيداق ... من السحاب ملت الودق[6] دفاق
وزارها كل يوم لا يبارحه ... من النسيم سحيرًا[7] كل خفاق[8]
فكم وصلت بها الغيد الحسان وقد ... حسن الرحى وصل مشتاق لمشتاق
غيدا يشابهن غزلان الصريم إذا ... خطرت يومًا بإلحاظ وإحداق
من كل سحارة الالحاظ فاتنة الألـ ... ـفاظ ممشوقة كالغصن معناق[9]
ورب كحلاء[10] تعمى* كلما رشقت ... قلبي بسهم من الإلحاظ رشاق

---

(١) في ب [يسمع].
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [التسفيه].
(٤) في ب [لئن نثرت].
(٥) في ب [علواً].
(٦) في ب [الورق].
(٧) في ب [سحراً].
(٨) في ب [حقاق].
(٩) في ب [مضاق].
(١٠) في ب [كحلاً].
* صمى الصيد يصمى مات مكانه والأمر فلاناً حل به. انظر القاموس المحيط ٤/٣٥٣.

هيفاء نطق منها[1] الحلى إن خطرت ... يومًا يصمت منها الحجل في الساق
قد شغفني سقم من سقم مقلتها ... وفي مجاجتها[2] بريىء وترياق
خود وهبت لها قلبي[3] وما سمحت ... منها بطيف لذي الظلماء طراق
ولم ترق لصب شفة[4] سقم ... في حبها موثق من غير اطلاق
قد خانت العهد مني وهي عالمة ... أني على عهدها ما خنت ميثاقي
وأعرضت مذ رأت شيبي ولاح لها ... خفوق[5] رأيه إقتاري واملاقي
ورب قائلة كم أنت ذو غصن ... ذاو بلا ثمر فيه وأوراق
فقلت خلي[6] ملامي واقصري عذلي ... فلست متهمًا[7] في الرزق خلاق
ومن سقى الناس كأس البغى مسرعة[8] ... فسوف يترعها المسقى للساق
إن القناعة ثوب من تجليه[9] ... لم يخش ما عاش من فقر وإملاق
ومن ألم بطّه وهو معتمد ... على نداه سما من فوق آفاق
ذاك الذي عجزت عن مدحه فكري ... وحبه لم يزل في مهجتي باقي
عليه صلى إله العرش ما طلعت ... شموس إقباله من أفق اشراق

ومن نبويات الشيخ عبد الرحمن البرعي:

عاهدوا الربع ولوعًا[10] وغرامًا ... فوفوا للربع بالعهد ذماما
كلما مروا على إطلاله ... سفحوا الدمع بذي سفح سجاما
نزلوا بالشعب من شرقيه ... مستظلين أراكا وبشاما[11]
ينشر الطل عليهم لؤلؤا ... يفخر اللؤلؤ حسنًا وانتظاما
إذا هبت صبا نجد لهم ... أفهمتهم عن ربا نجد كلاما
يا رفيقي بنواحي رامة ... غنيني بالابرق لفردق راما
والإيشلات المظلة[12] بها ... أيها الإيل سقين الغماما
كم بدور في حدور المنحنى ... يستعير البدر منهن التماما

(1) في ب [ينطق عنها].
(2) في ب [محاجنها].
(3) سقط من أ.
(4) في أ [سنة].
(5) في ب [حقوق].
(6) في ب [قلى].
(7) في ب [منها].
(8) في ب [مترعة].
(9) في ب [تجلبينه].
(10) في ب [ولو علو].
(11) في ب [وبستاما].
(12) في ب [ولإيلاف المطلاني].

حبهم حل سويد مهجتي — وفادي بعدما فت* العظاما
أيها اللائم أذني لا[1] تعي — زخرف القول فدع عنك الملاما
أولع الحب بلحمي ودمي — فعلام اللوم في الحب علاما
والفتى[2] العذري[3] لا ينفك عن — عهد الحب ولو ذاق الحماما
ليت شعري هل أرى شعبهم — بعد بعدي وترى عيني الخياما
ما عليكم سادتي من حرج — لو تدرون لبالينا القداما
إن تناءت دارنا عن داركم — فاذكروا العهد وزورونا مناما
هيجتني نسمة نجدية — تركت قلبي عميدًا مستهاما
كلما ناحت حمامات الحمى — في أراك الشعب ناوحت الحماما
وأحبابي[4] الأولى عاهدتهم — علقوا عقلي بمن أهوى هياما
عرضوا السكر علينا مرة — فانتهى الكأس وما فضوا الختاما
تملت أرواحنا من ذكرهم — لم نر الراح ولا ذقنا المداما
يا ندامي فؤادي عندكم — ما فعلتم بفؤادي يا ندامى
همت فاستعذبت[5] تعذيبي بعدكم — فاجرحوا قلبي ولا تخشوا آثاما
أنتم من دمي المسفوح في — أوسع الحل فلو كان حراما
فاصرموا حبلي وإن شئتم صلوا — ما ألذ الحب وصلاً وانصراما
أنا راض بالذي ترضونه — لكم المنة عفوًا وانتقاما
كنت بالشعب وكنتم جيرتي — لو صفا لي ذلك العيش وداما
قسمًا بالبيت والركن الذي — طاب تقبيلاً ومسحًا واستلاما
إن في طيبة قوم جارهم — في محل النجم يعلو أن يساما
روضة الجنة في أوطانهم — وترى آثارهم يبرىء الجذاما
كل من لم ير فرضًا حبهم — فهو في النار وإن صلى وصاما
هم نجوم أشرقت[6] الكون بهم — بعدما كانت نواحيه ظلاما
فتحوا الأرض بعليا بأسهم — واستباحوا يمنًا منها وشاما

---

(١) في ب [واني].
(٢) في أ [ألفيء].
(٣) في ب [المعزر].
* الانفثاث الانكسار. انظر القاموس المحيط ١/ ١٧١.
(٤) في ب [احبابي].
(٥) في ب [فاستعديت].
(٦) في ب [وأشرق].

فيهم الشمس الذي أنواره لم يطق من بعده الحق انكتاما
الأعز المنتقى من هاشم طيب العنصر يسمو أن يساما
المداني قاب قوسين الذي كان للأملاك والرسل إماما
ارتضاه الله نورًا للهدى وانتقاه لدم[1] الأعداء حساما
خصه منه بدين قيم نسخ الأديان ندبا والتزاما
وكتاب أحكمت آياته عصمه الله لمن رام اعتصاما
[يهتدي كل من استهدى به][2] سبل الرشد ويعمى من تعاما
فرض العمرة [والحج لنا][3] وصلاة وزكاة وصياما
يا رسول الله ياذا الفضل يا رحمة عم بها الله الأناما
يا أبا القاسم يا أحمد يا بهجة المحشر جاها ومقاما
يا وجيه الوجه في الدارين يا شافع الخلق إذا البداوا خصاما
جد على عبد الرحيم المتلجىء لحمى عزك يا غوث اليتامى
وأقلني من[4] عثرتي يا سيدي واكتساب الذنب من خمسين عاما
ورفاقي الكل قم بي وبهم في الملمات إذا احتجنا القياما
نحن في روض ثناكم نجتني ثمرات المدح نثرًا ونظاما
لو سما المجد لأقصى غايته كنت للمجد سناءً وسناما
يدك العليا على كل يد زادك الله علوًا واحتراما
وكسى روحك منه رحمة وصلاة ترتضيها وسلاما
تقتضي حقك مني دائما وتعم الآل والصحب الكراما

لطيفة:

قال القاضي أبو المحاسن يوسف نجم الدين الزرندي الأنصاري الحاكم بالمدينة الشريفة والناظر في أمر الحسبة خادم السنة والحديث وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة: من طريق المحاضرة وطريق المذاكرة إن الحرمين الشريفين اجتمعا في ميدان الفخر ومن دونهما حجازه وليس معهما لغيرهما في هذا المقام على الحقيقة مجاز فتسنم حرم المدينة شرفًا من الشرف عال ثم قال الحمد لله الذي فضلني على سائر البلاد وجمع لي بين ظريف الفضل والتلاد وشرفني بحلول خير العباد وأشرف كل حاضر وباد

---

(١) في ب [وانتضاه بدم].
(٢) غير مقروء في أ.
(٣) غير ظاهر في أ.
(٤) سقط من أ.

وألبسني مفاخر الفاخرة وأعلى مقامي في الدنيا والآخرة وجعل تربتي شفاءً من السقام وغباري دواء من الجذام فلي الشرف على كل اقليم، والفضل في الحديث والقديم وبإسمي ينوه على كل خطيب وعرف تربي أطيب من كل طيب فالمقام بي في المكاره جنة وفي روضة من رياض الجنة وحسبي فخرًا بالمنبر الذي علت مراقيه وحاز جميع الشرف براقيه فإلى مسجده تشد الرحال من كل قرية وخلاه والصلاة فيه كما قد علم بألف صلاة فلي السناء الباذخ والشرف الذي هو بأرض المسجد راسخ فلا غرو إن سبقت في هذا المضمار فلحق الخيل بالركض المغار واقسم من غاباتي بالأسود ومن لاباتي بالحرار السود ومن أزهار رياضي برش البرود ومن أغصان نخيلي وأشجاري بكل أملود، ومن رماح بساتيني بالعالية ومن سواقي جناني بكل ساقية جارية وجارية ساقية لكمالي[1] فوق كل كمال وجمالي أبهى من كل جمال وحسبي من الشرف الذي لا يجد بالطول والعرض إن ما ضم أعضاءه الشريفة بالإجماع أفضل الأرض والفرق ما بين الدرهم والدينار في الصرف كالناس ألف منهم بواحد وواحد كألف.

سقى الله يثرب من بلدة ... وطاف بها مستفيض السحاب
بلاد تسامت بمن حلها ... وطابت وفيها الدعاء يستجاب

وقال آخر:

رعن الله طيبة من بلدة ... وساق السحاب لأعتابها
فقد جمعت كل فضل جز ... يل ولا يدخل الفضل بابها

وقال:

إذا اهتزت مناكب ذي افتخار ... بقرب مليكه وعلو داره
فإني لا أزال أهز عطفي ... بجيرة أحمد حامي جواره

وبالجملة فإن المدينة المنورة وإن كانت كثيرة اللآواء[2] فإن تحت ذلك فوائد يطول شرحها ومتاجر يتضاعف ربحها وكيف لا يحتمل المشتقات من أحب أن يتمتع بسيد أهل الأرض والسموات وينال ما وعد من جزيل المثوبات وجليل الهبات وانجاز وعده الصادق له بشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواها وإلى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها بل أشق وأهلها لا يختارون عليها وهم على ذلك الحال بل وينشدون في ذلك قول من قال:

---

(١) في ب [كلمالي].

(٢) في ب [اللاداء].

بلاد ألفناها على كل حالة | وقد يؤلف الذي ليس بالحسن
وتستحسن الأرض التي لا هواها | ولا ماؤها عذب ولكنها وطن
ورب امرىء ألقى هواه على أمر | فلم ير منه غير ما يورث الحزن

وربما يوجد فيهم القادر على الانتقال فلا ينتقل والقوي على[1] الرحلة فلا يرتحل بل يؤثر وطنه مع إمكان الارتحال والقدرة على التحول والانتقال.

فيا وطني إن فاتني بك سابق | من الدهر فلينعم بساكنك البال
فإن أستطع في الحشر إنك زائر | وهيهات لي يوم القيامة إشغال

على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان قد وسع الله تعالى فيها على بعض السكان وكثيرًا من استوطنها حسن فيها حاله وتنعم بها باله وكان من قبل في زوايا الخمول كثير الفاقة قليل المحصول فإن منّ الله تعالى على المرء يمثل ذلك هنالك وهو عنوان السعادة وترجمان الشهادة وإلا فمن وفقه الله تعالى صبره فيها ولو عاى أحر من الجمر وأمر من القهر فيستجلي مرارة غصتها ليستجلي عروس منصتها وإن كان يلقى يسير من لأوائها ليوقى كثيرًا من مصائب الدنيا وبلوائها فإن غاية المضرة المسرة والمبرة وقد روى عنه عليه السلام أنه قال من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة[2]. وقال ينادي منادي دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر[3]، وقال من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم [يهتم][4] بأمر المسلمين فليس منهم[5]. وعنه عليه السلام اللهم من أحبني فأقل ماله وأمت ولده[6] وعن جعفر الصادق انا أهل البيت من أحبنا فليتعد للبلاء جلبابا وما أحسن ما قال:

---

(١) سقط من أ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٨/ ٤٥ الحديث ٧٩١٢. وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٥١ وقال: فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٩٧ برقم ١٤.

(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٩٦ الحديث ٩، وقال رواه البزار وقال لا يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه.

(٤) سقط من ب.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور للحاكم والبيهقي ٣/ ٢٣٨.

* وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥١ وعزاه للطبراني وقال فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك.

(٦) لم أجده.

إذا كان شيء لا يساوي جميعه   جناح بعوض عند من أنت عبده
واشغل[1] جزء منه كلك والذي   يكون على ذا الجلال قدرك عنده
فطوبى لمن[2] حل بهذه العالم والديار   وشملته أنوار هذه المعاهد والآثار

وقضى فيها ما بقي من الأنفاس والأعمار فيما بين المسجد المؤسس على التقوى والروضة التي هي من رياض جنة المأوى:

ومن يعش هكذا فقد جعلت   وقفا عليه سوابغ النعم
ومن فاته العين هدى شوقه الأثر   ومن لم يظفر بلذة المشاهدة لم يعدم

لذاذة الخبر[3] أنشد لنفسه أبو عبد الله محمد[4] الفيومي:

إني إذا برحت دار المصطفى   وازداد شوقي نحوها وحنيني
طالعت في تاريخها السامي لكي   أمشي على آثاره بعيوني

اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا ولا تحرمنا شفاعة ساكنها الذي شمل الكائنات نوافل ومننا وصلى وسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

أنشد الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض:

تيقنت أن لا منزلاً بعد طيبة   يطيب وان لا عزة بعد عزة
وما اختص وقت دون وقت بطيبة   بها كل أوقاتي مواسم لذتي

ولله در القائل:

ما ذكر الطير للأوطان أوطارا   إلا وشاهدت قلبي هام أوطارا
كلا ولا لمعت بالسفح بارقة   إلا وسح سحاب الدمع مدرارا
ولا سرت نسمة من طيبة سحرا   إلا وأصبح نشر الكون معطارا
لا تذكرت أيامي بروضتها   إلا وأجريت في الخدين أنهارا
يا ساكني طيبة من[5] بعد بعدكم   لم يألف القلب لا ربعًا ولا دارا
ولا رأت مقلتي من بعد طلعتكم   بدور ثم ولا شمسًا ولا أقمارا
فكلما رمت بالأفكار رؤيتكم   تصورت جارحات[6] القلب أبصارا
ولست أعجب من غدر الزمان بنا   والدهر ما زال بالإنسان غدارا

---

(١) في ب [فاسمك].
(٢) في ب [بمن].
(٣) في ب [الحير].
(٤) سقط من ب.
(٥) سقط من ب.
(٦) في ب [خارجات].

لو أن ما بي من الأشواق نحوكم ... أضحى على الفلك الدوار ما دارا
كم أرقب القرب والركبان أسألها ... لعل أسمع في الأخبار اخبارا
يا سادتي إني من بعد بعدكم ... أمسي وأصبح مشتاقًا ومحتارًا
وما تغير غير الجسم من سقم ... ولا جرى غير دمع قد بكى الجارا

وقال آخر:

يا أهل طيبة[1] لا زالت شمائلكم ... كالروض باكره سار من الديم
أنفاسكم والنفوس الغر لا برحت ... كالزهر والزهر في لطف وفي كرم
ما أمكم زائر إلا وآب بما ... يربوا على فكره من كل مغتنم
فأنتم الطاهرون الطيبون ومن ... لا ريب في مجدهم من سالف القدم
لا عيب فيكم سوى أن التنزيل بكم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم[2]
جميلكم جل أن يخص وفضلكم ... في الناس أشهر من نار على علم
كفاكم بجوار المصطفى شرفًا ... وجار ذي الجاه أنى كان لم يضم
لولاكم خير الله الكرام لما ... كنتم له جيرة من سالف الأمم
والله جل اسمه بالقرب خولكم ... وزادكم بسطة في العلم والهمم
لا زلتم وأمان الله يكلؤكم ... فما يحاذر في حرز من اللمم
وكيف أخشى الرزايا إن تلم بكم ... وأنتم في حمى المختار في حرم
عليه صلى إله العرش ما سجعت ... ورق الحمائم بين الضال والسلم
وإله الطهر أرباب الكمال ومن ... وآلاهم وجميع الصحب كلهم

فائدة:

زعم بعضهم أن السر[3] في ضعف وجدان من في المدينة المنورة وفتور شوقه المطلوب يضاعفه القرب الصوري كما هو شأنه. وإن قيل:

وما أعظم ما يكون الشوق يومًا ... إذا دنت الخيام من الخيام

حتى أن من ذهب إلى أطراف المدينة، من بساتينها وحدائقها وجد من نفسه الوحشة وقلة الأمان ولا تطيب نفسه بغيبته أكثر من ثلاثة أيام وكذلك كره بعض العلماء كثرة الزيارة مخافة الوقوع في السآمة والملل فينبغي أن يغيب أحيانًا ليجدد عهود الأشواق ويرجع رجوع المحب المشتاق.

---

(١) في ب [ياساداتي]. (٢) في ب [والخصم]. (٣) سقط من ب.

باب في ذكر المصلى والنقا والعقيق المؤذن بطيب اللقا

ورعى الله الأبرق والمصلى — وبان الحي ما شجعت حمامه[1]
فتلك[2] الصب المعنى — بها الأرواح صارت مستهامه
على عرب بها مني سلام — يكون المسك من قبلي ختامه

المصلى: في الأصل اسم لموضع الصلاة ثم صارت بالغلبة علمًا على مصلى العيد ثم أطلق على سبيل التوسع على ما حوله، اطلاق اسم الجزء على الكل ومن محاسنه عمارة الأمير علي وهو في غربي المسجد المذكور، وللمصلى ذكر في الشعر فمن ذلك:

ولي من فقد جيران المصلى — وغرام لا يقر له قرار
فلو خيرت لم أختر سواهم — ومن لي أن يكون الجار

النقا: بالفتح والتخفيف مقصورًا، ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السقيا له ذكر في الأشعار العربية والمولدة [فمن ذلك][3]:

ألا يا سائرًا في قفر عمر — يكابد في السرى وعرًا وسهلا
بلغت نقا المشيب وجرت عنه — وما بعد النقا إلا المصلا

وقالت محاسن الشعراء:

هاتيك يا صاح ربا لسلع — ناشدتك الله تعرج معي
وانزل بنا بين[4] بيوت النقا — فقد غدت أهله المربع
حين نطيل اليوم وقفًا على — الساكن أو عطفًا على الموضع][5]

وقال الشاب الظريف:

---

(١) في ب [ما سجعت حماماً].
(٢) في ب [مواطن].
(٣) في ب [في مسلك ذلك].
(٤) سقط من ب.
(٥) سقط من ب.

ولقد رأيت برامة بأن النقا فمنعت طرفي منه أن يتمتعا
ما ذاك من ورع ولكن من رأى أشباه عطفك حق أن يتورعا

قال البهازير:

ولي فيه قلب بالغرام مقيد له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في الماء وثغره أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

وقال ابن الحلاوي:

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه وذلك تشبيه عن الحق مشتط

وقال آخر:

قرب الديار يزيد شوق الوآلة لا سيما إن لاح نور جماله
أو بشر الحادي بأن لاح النقا وبدت على بعد رؤس جباله
فهناك عليك الصبر من ذي صبوة وبدى الذي يخفيه من أحواله

وأما بطحان فقال الشرف المناوي في كتاب كشف المناهج هو بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة موضع[1] بقرب المدينة كذا[2] قاله النووي وغيره.

وضبطه ابن الأثير بفتح الباء وقال أكثرهم بضمها ولعله الأصح انتهى وفي القاموس بطحان بالضم أو الصواب الفتح وكسر الطاء موضع بالمدينة.

سقيًا لسلع ولساحته والعيش في أكناف بطحان
أمسيت من شوقي إلى أهلها أدفع أحزانًا[3] بأحزان

[وأول بطحان الماجشونية وآخره السيح][4] وعند الحديقة الماجشونية وآخر السيح[5] حضرة تعرف بتراب الشفاء وقد جربها العلماء وغيرهم للشفاء من الحمى شربًا وغسلاً لكن الشرب هو الوارد عند البخاري وغيره لما أصابت الحمى بني الحارث قال لهم النبي صلى الله تعالى وسلم عليه «أين أنتم من صهيب قالوا ما نصنع به قال تأخذون

(١) سقط من ب.
(٢) في ب [كما].
(٣) في ب [أخرًا].
(٤) سقط من ب.
(٥) سقط من أ.

من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل أحدكم ويقول بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا[1] شفاء لمريضنا بإذن ربنا[2] [ففعلوا ذلك][3] فتركتهم الحمى».

تنبيه: السيح بالفتح وسكون المثناة من تحت مصدر ساح يسيح اسم لما حول مساجد الفتح وأما السيح بالضم والنون الساكنة وقيل بضمتين أطم لبني الحارث على ميل من المسجد وهو أدنى العالية سميت به الناحية وبه منزل الصديق رضي الله تعالى عنه بزوجته الأنصارية المنحنى بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون له ذكر في الغزل بأماكن المدينة وهو عند أهلها اليوم يقرب المصلى في القبلة شرقي بطحان وهو الآن منزل عرب الشام عند ذهابهم إلى الحج وأما بعد رجوعهم فمنزلهم شرقي وادي سلع وكان بالمنحنى منازل لأهل الخير حتى قال فيه:

خدور على الخط والمنحنا ... بها يغفر الله عمن جنا

---

(١) * أخرجه البخاري في الطب ١٠/٢١٧ الحديث ٥٧٤٥. * ومسلم في السلام ٤/ ١٧٢٤ الحديث ٥٤(٢١٩٤). * والبغوي في شرح السُّنة ٥/ ٢٤٤ و٢٢٥ الحديث ١٤١٤.

(٢) * قال الشيخ النووي: معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح قائلاً الكلام المذكور في حالة المسح. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/ ١٨٤. قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام وأن ذلك كان أمراً فاشياً معلوماً بينهم. قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية. ثم قال: وزعم بعض علمائنا أن السر فيه أن تراب الأرض لبرودته ويبسه يبرىء الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها. قال: وقال في الريق: انه يختص بالتحليل والإنضاج وإبراء الجرح والورم لا سيما من الصائم الجائع. قال الحافظ: وتعقبه القرطبي أن ذلك إنما يتم إذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق. وملازمة ذلك في أوقاته وإلا فالثقة. ووضع السبابة على الأرض إنما يتعلّق بما ما ليس له بال ولا إثر، إنما هذا من باب التبرك بأسماء الله تعالى وآثار رسوله، وأما وضع الإصبع بالأرض فلعله لخاصية في ذلك، أو لحكمة إخفاء آثار القدرة بمباشرة الأسباب المعتادة. وقال البيضاوي: قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلاً في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ورفع الضرر، فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئاً منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك، ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها. وقال التوربشتي: كأن المراد بالتربة الإشارة إلى قطرة آدم، والريقة الإشارة إلى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال إنك اخترعت الأصل الأول من التراب ثم أبدعته منه من ماء مهين عليك أن تشفى من كانت هذه نشأته. انظر فتح الباري (١٠/٢١٩). قال الشيخ النووي: قيل المراد بأرضنا أرض المدينة خاصة لبركتها وبعضنا رسول الله ﷺ لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصاً ـ وفيه نظر. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ١٨٤).

(٣) سقط من ب.

فيا جيرة القبر من يثرب أجير ومحب إليكم دنا
وقولوا قدمت على أحمد شفيع العصاة وكنز الغنا
فبشراك ما ترتجي حاصل ويهنيك هذا مقام الهنا

وقيل:

يا جيرة نزلوا بوادي المنحنا ما للمتيم عن محبتكم غنا
وغيري إذا طال الزمان سلاكم وتغيرت أحواله إلا أنا
إن صح لي ذاك الوداد ودام لي برضاكم فتحت أبواب الهنا

وتلطف الذهبي حيث يقول:

تولى شباب كأن لم يكن وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنا والنقا فما بعد هذين إلا المصلى

[وقال آخر]:

كفى مودنا باقتراب الأجل شباب تولى وشيب قد[1] نزل
وموت الأخلاء ما بعده بقاء يؤمله من عقل
إذا ارتحلت قرناء الفتى فلا شك في أنه قد رحل

[الشيخ شرف الدين بن الفارض]:

سقيا لأيام مضت مع جيرة كانت لياليـنا بهم أفراحا
وأما على ذاك الزمان وطيبة أيام كنت في[2] الغرب قراحا
حيث الحمى وطني وسكان النقا سكني ووردي الماء فيه مباحا
وأهيله أربي وظل نخيله طربي ورمله واديه مراحا
ما رنحت ريح الصبا شيح الربا إلا وأهدت منهم أرواحا

وقد اشتمل النقا على حدائق ذات بهجة فمن أحسنها بئر ودى[3] بن الأمير جمال الحسين[4] فإنها اشتملت على الشجر المتفرع والغرس المتنوع والعمارة الحسنة والأوضاع المستحسنة وماؤها أعذب ماء هنالك قال في الوفا ولعلها بئر أبي عنبة التي عرض رسول الله ﷺ عسكره عليها في جيش بدر ورد من استصغر[5] وهي على ميل من

(١) سقط من أ.
(٢) في ب [من].
(٣) في ب [وادي].
(٤) في ب [الحسيني].
(٥) أخرجه البخاري في المغازي ٧/ ٣٣٩ الحديث ٣٩٥٦. والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٦٥ الحديث ١٨٦٥٨. وفي موضع التخريج أن من استصغر هو البراء - رضي =

المدينة المنورة ومن محاسن النقا زمزم فإنها حديقة ذات نخيل وأشجار وعمارة تناجت في ساحتها الأطيار قال في الوفا بئر أهاب بصق فيها النبي صلى الله تعالى وسلم عليه[1] وهي بئر زمزم ولم يزل أهل المدينة قديمًا وحديثًا يتبركون بها وينقلون إلى الآفاق من مائها وفيه أنها بئر فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم احتفرتها لما أخرجت من بيت جدتها فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي الآن من أحسن الحدائق الخضرة ذوات[2] الأشجار الأنيقة النضرة وماؤها ليس بالعذب الخالص وما أحسن ما قال:

أكرم بزمزم إذ غدا متفجرًا ... بمعين ماء للمفاسد يصلح

حاوي الملاحة والعذوبة والشفا ... فلذلك يحلو للقلوب ويملح

ولأبي العلا سليمان المغري فيما قال:

لك الحمد أمواهُ البلاد بأسرها ... عذاب وخصت بالملوحة زمزم

وفي الخبر لا تقوم الساعة حتى تبلغ المساكن اهاب وفي رواية لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء شجرة ذي الحليفة وهي على ستة أميال من المدينة وقال الأسدي خمسة أميال ونصف ميل والميل ألف باع على المشهور وهو ثلث الفرسخ وأنشدوا:

إن البريد من الفراسخ أربع ... ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا

والميل ألف من الباعات قل ... والباع أربع أذرع فتتبعوا

ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها عشرون ثم الاصبع

ست شعيرات فبطن شعيرة ... منها إلى ظهرها[3] لأخرى توضع

ثم الشعيرة ست شعرات غدت ... من شعر بغل ليس فيه تضعضع

وقال عمر الوزير محمد باشا بذي الحليفة: البئر المنسوبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على يد نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة السيد أحمد بن سعد الحسيني في سنة تسعمائة واثنين وثمانين وجعل لها درجات بعرض حافتيها بحيث صارت المواشي تردها فتكرع منها وفي قبلي ذي الحليفة وادي الحساء وهو واد فيه آبار ومزارع شتى وهو المذكور في شعر أبي رواحة يخاطب ناقته.

= الله عنه ـ وأن ذلك وقع عند حضور القتال فعرض من يقاتل فرد من لم يبلغ، وكانت تلك عادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المواطن. انظر فتح الباري (٧/ ٣٣٩).

(١) لم أجده.
(٢) في ب [النضرة].
(٣) في ب [ظهر].

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي

ومن محاسن النقا:

المغسلة بالغين المعجمة قال المجد هي بكسر السين المهملة وكمنزله جبانة بطرف المدينة يغسل فيها كذا ذكره أهل التاريخ [ومن أوعظ ما قال][1]:

كذا عادة الدنيا فهل ناظر خطوب تفاجينا وموت [يصادره][2]
كفى عظة أن كلما جئت بلدةً تلقتك من قبل البيوت المقابر

وقد صارت هذه الجبانة حديقة كبيرة نضيرة وتعرف اليوم بالمغسلة بفتح السين على خلاف القياس وهي من قبلي النقا من غربي بطحان ومن محاسن بطحان حديقة أمير جليل والمسلحة وما اشتمل عليه ذلك الجزع من البساتين الفائقة والمنارة الرائقة.

فائدة [شجر][3] البان [شجر][4] يقارب الاتل ومنه نوع قصير دون شجر الرمان يدخل في الغوالي والأطياب كان ينبت بنواحي النقى [وبارق][5] والابرق ورامه مواضع بالعقيق.

وأنشد لنفسه الشيخ عبد اللطيف التكريتي:

ما شاقه البان ولا يشوقه مذ لمعت ببارق بروقه
حن إلى المعنى القديم فانثنى وشوقه إلى اللوى يسوقه[6]
يهوى باكتاف الحمى محجبا حكاه من غصن النقا وريقه
بدر خبايا أضلعي بروحه ظبي وسفح مدمعي عقيقه
ملكته طرفي [وقلبي][7] فغدا أسيره هذا وذا طليقه
يا أهل ذياك الحمى نزيلكم يحمل أن ترى له حقوقه
هلا سألتم بالغضا عزواله فارقه يوم النوى فريقه
مزق ثوب الصبر يوم بينكم ولذ في حبكم تمزيقه
وحقكم ما أم غير بابكم ولا سرت إلى سواكم نوقه
كلا ولا راق له منذ نأى عن حبكم مغنا ولا يروقه

---

(١) في ب [وقد قال].
(٢) في ب [يصدر].
(٣) سقط من أ.
(٤) سقط من ب.
(٥) سقط من ب.
(٦) في ب [يشوقه].
(٧) في ب [قلبي وطرفي].

ولا تعني بكم حادي السرا[1] إلا انثنى[2] ودمعه خلوقه
يود لو زاد على أحداقه سعيا وأحكام القضى تعوقه
يا طيبا منزله بطيبة ومن صميم هاشم عريقه
صلى عليك الله ما انهل الحيا وما سرى في فلك عتوقه[3]

ومن محاسن المدينة. العقيق وهو واد على ثلاثة أميال من المدينة وقيل على ميلين منها كذا في كشف المناهج للشرف[4] الناوي وفي القاموس العقيق الوادي جمعه اعقه وكل مسيل[5] [شقه][6] ماء السيل وموضع بالمدينة انتهى وقد وصف بأنه الوادي المبارك وفي خبر يحبنا ونحبه وهواء سجسج[7] لا حر فيه ولا برد ومن شعر الزبير فيه:

قم بنا يا أنيس قبل الشروق نحتسيها[8] على رياض العقيق

يحكى عن أعرابي أنه قال: دخلت العقيق فوجدت قلبي يمتلأ سرورًا[9] لا أعرف له سببًا غير طيب ترابه وعذوبة هوائه وانفلاج[10] جوه.

[ومن أحسن ما قال][11]:

ولقد صبوت إليه حتى كدت من فرط التصابي
يجد الجليس إذ دنا ريح الصبابة من ثيابي

قال في الدرة الثنية في أخبار المدينة: وادي العقيق اليوم ليس فيه ساكن وفيه بقايا أبنية مندرسة تجد النفس برؤيتها أنسًا كما قال أبو تمام وما زرنا من تود:

ما ربع ميه معمورًا يطيف به غيلان أبهى ربا من ريعها[12] الهذب
ولا الجدود وإن أدمين من حجل أشهى إلى قلبه من خدها الترب

فائدة: حاجر موضع بغربي[13] النقا من وادي العقيق وهو المذكور في الأشعار وأنشد لنفسه الشيخ عبد السلام بن يوسف ولله دره:

على ساكني بطن العقيق سلام وإذا أسهروني بالفراق وناموا

---

(1) في ب [الثوى].
(2) في ب [اثنى].
(3) في ب [عبوقه].
(4) في ب [المشرف].
(5) في ب [ميل].
(6) في ب [سميح].
(7) في ب [نحسها].
(8) في ب [نوراً].
(9) في ب [وأنفس وانفساح].
(10) سقط من ب.
(11) في ب [وما زرنا من تود].
(12) في ب [رامها].
(13) في ب [بقربي].

خطرتم على النوم وهو محلل ... وحللتم التعذيب وهو حرام
إذا نبتم عن حاجر وحجرتم ... على السمع أن يدنو إليه كلام[1]
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه ... ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى ... على حافتيه بالعشاء غمام
فما لي وما للربع قد بان أهله ... وقد فوضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة ... وهل لي بتلك البانتين لمام
وهل تهله[2] من بئر عروة عذبة ... أداوي بها قلبًا يراه أرام
ألا يا حمام الأراك إليكم ... فما لي في تغريدكن مرام[3]
فوجدي وشوقي مسعد ومؤانس ... ونوحي ودمعي مطرب ومدام

قال في الخلاصة: بئر عروة هذه ميمونة مأثورة، وكان الزوار لا يتجاوزون العقيق حتى يتزودوا من مائها وفيها يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري:

كفنوني إن مت في درع اروى ... واستقوا لي من بئر عروة مآى
سخنه في الشتاء بارده في الصيف ... سراج في الليلة الظلماء

وقال إبراهيم بن موسى الزبيري:

ليت شعري هل العقيق فسلع ... فقصور الجمآء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسول فما حا ... زا لمصلى فجانبا بطحان
فبنوا مازن على العهد أم ... ليس كعهدي في سالف الأزمان

قال أبو قطيفة:

القصر ذو النخل فالجمآء بينهما ... أشهى إلى النفس من [أبواب جبرون][4]

والمراد القصر الذي ابتناه سعيد بن العاص بن أمية أحد مشاهير الأجواد بصره عرصة العقيق وكان بنوا أمية يمنعون البناء في العرصة خنا بها فاحتفر بها سعيد وغرس النخيل والبساتين وكان نخلها أبكر شيء بالمدينة وتسمى عرصة الماء وابتنى مروان بن الحكم بعرصة البغل قصرًا واحتفر بها عينًا.

وفي ذلك يقول الوليد:

لم أنس بالعرصتين مجلسنا ... بالسفح بين العقيق والسند

---

(١) في ب [أزيدوا نواله كلام].
(٢) في ب [قهلة].
(٣) في ب [مكرم].
(٤) في ب [إيوان جيرون].

وفي الخبر: يا عائشة جبنا من هذا العقيق فما ألين موطأه وأعذب ماؤه قالت: يا رسول الله أفلا تنتقل إليه-قال «كيف وقد ابتنى الناس»[١].

وعنه عليه السلام «نعم المنزل العرصة، لولا كثرة الهوام»[٢].

قال المطري: العقيق ما بين الحرم إلى غربي بئر رومة، ومنه الجرف وسيأتي ولم يزل العقيق نخلاً وأعنابًا، حتى خربت تلك العيون، ولم يبق من عمارات العقيق إلا بعض الآثار وبقايا رسوم الآبار وما زالت النفوس ترتاح برؤيتها والأرواح تنتعش بطيب نسمتها ومن أحسن بساتين العقيق بئر مهدي فإنها حديقة غرسها زاهر وأنسها باهر وماؤها عذب وهواؤها رطب وفيها للنفوس مسرة ولأهلها بها أكرم مبرة انتهى[٣] وأما سيل العقيق فإنه أعظم سيول المدينة وأحلاها وأجملها وأجلاها [منا][٤] بحر النيل عند إقباله إلا كثمرة وأوشاله وما الفرات وحلاوته عندما ترون العين طلاوته لقد اختصت به أهالي المدينة حتى كان عندهم يوم الزينة وبالجملة فإنه إذا سال بالسلسال واديه وتعطر بأزهار بساتينه ناديه هرعت وجوه الناس إليه وعولت في صفاء الوقت وترادف المسرات عليه فتضرب حوله الخيام ولا سيما إن تحجبت الشمس بالغمام فترى الناس حوله ينتهزون فرصة اللذات وينتهبون أوقات المسرات.

قال أبو عبيدة: العقيق ينفق من قبل الطائف ويروى أنه أقام في بعض الأعوام نحو خمسة عشر يومًا وهو في قوة الجريان بحيث لا يمكن سلوكه ومن المعميات في السيل:

إذا ركب البيداء يخشى ويتقى	ولم يثنه طعن ولم يلوه ضرب
ويأكل ما يلقاه عند لقائه	ومن أعجب الأشياء ليس له قلب

وله أيضًا:

ما اسم شيء إذا تصحف جمع	وهو يصطاد ما من البحر يجلب
وهو لا طائر وليس بوحش	ثم إن رمت قلبه ليس بقلب

يريد ان هذا الاسم وهو لفظ سيل إذا تصحف كان شبكًا جمع شبكة وهو معدود لصيد السيمك في البحر وهو غير الطير والوحش وقلب سيل ليس وهو مادة النعمية[٥] ولابن المعلم[٦].

---

(١) لم أجده.
(٢) لم أجده.
(٣) سقط من أ.
(٤) في ب [ماء].
(٥) في ب [التعمية].
(٦) سقط من ب.

كم قلت إياك العقيق فإنه ... ضربت[1] جاذره بصيد أسوده
وأردت صيد مها الحجاز فلم يسـ ... ـاعدك القضا فرحت بعض صيوده

واختصره آخر فقال:

أبصرت ظبيًا في الحمى ... بين اللوى وزروده
أملت أن أصطاده ... فغدوت بعض صيوده

وقال غيره:

قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دم ... مهما جرى ذكر العقيق أو اللوى
وإذا تألف بارق من بارق ... فهناك ينشر من هواه ما انطوى

لطيفة:

في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني نقلاً عن الهيثم بن عدي قال: حدثني عبد الله بن العباس الهذلي عن رجل من بني عامر قال مطرنا مطرًا شديدًا ارتبعناه ودام المطر ثلاثًا ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحوه فخرج الناس يمشون على الوادي فرأيت رجلاً جالسًا على حجر فقصدته فإذا هو المجنون جالسًا يبكي فكلمته طويلاً وهو مطرق ثم رفع رأسه وأنشد بصوت حزين لا أنسى حرقته:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى ... وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا حيث أيقنت أنه ... يكون بواد أنت منه قريب
يكون اجاجًا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فتطيب
فيا ساكني أكناف نخلة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

زاد مغلطاي

أظل غريب الدار في أرض عامر ... ألا كل مهجور هناك غريب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... إلي وإن لم آته[2] لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبًا[3] ولم ينظر إليك حبيب

قال وهي من قصيدة أولها:

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وهجرانه مني إليه ذنوب
هجرتك مشتاقًا وزرتك خائفًا ... وفيك علي الدهر منك قريب

---

(١) في ب [ضرب]. (٢) في ب [آية]. (٣) في أ [حبيبنا].

سأستعطف الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور في هواك تثيب

قلت

ولعل تكرار اسم الحبيب في القافية غير مذموم فإنه لا يضر شيء مع اسمه وعلى ذكر المطر في التهنية به.

لله يوم قد همت سحبه ... بسفح روض طيب النسمه

وظبي أنس حن قلبي له ... إذ قال لي تهنيكم الرحمه

فائدة:

سيل الحجاب كان بمكة المشرفة واحتجب دورًا كثيرة وأحاط بالكعبة وكان في إمارة عبد الملك بن مروان سحر يوم التروية من عام ثمانين وحكى السيوطي في تاريخ الخلفاء، انه جاء سيل في أيام عبد الله بن الزبير طبق البيت الحرام فكان يطوف سجاته وهو أول من كسى الكعبة الديباج وكان له مائة غلام لكل غلام لغة ليست لصاحبه فكان يكلم كل غلام بلغته وللصيفي الحلي:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ... وتلك له عند الممات أعوان

فهافت على حفظ اللغات مجاهدًا ... فكل لسان في الحقيقة إنسان

وفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، طاف بالبيت سيل عظيم خرب الدور وأخلى البقاع وعلا على الركن اليماني مقدار ذراع وفي سنة ٩٧١ وفي سنة تسع وثلاثين ألف دخل مكة سيل لم يعهد مثله بحيث هدم الدور وذهب بالمال والرجال ودخل إلى المسجد وطاف بالبيت بحيث كان تاريخه رقى إلى قفل بيت الله وبسببه انهدمت الكعبة وعمل الناس في ذلك التواريخ والاشعار وكثر اللغط في عام تاريخه غلط وفي سنة أربعين بعد الألف كان بناء البيت الشريف ومن التواريخ المنثورة[1] فيه ورفع الله قواعد البيت وكانت هذه الفضيلة مما اختص بها السلطان الأعظم والخاقان المكرم واسطة عقد آل عثمان والمخصوص بالمناقب التي يعجز عنها البيان المسدد في الاصدار والايراد، مولانا السلطان مراد أصلح الله تعالى بما مضى اهتمامه فساد العباد وعم بعدل سيرته البلاد ولا انفك منشور عزه مكتوبًا على جبهة الشمس وجماجم أعدائه مندرسة كأن لم تغن بالأمس فيا له من أثر نعفو دونه المآثر ويا له من تاريخ خير يبقى مع الدهر الداهر وأكرم بها فضيلة اختصه الله تعالى بها دون آبائه وشرفًا يسطر خبره في صدر قرطاس أبنائه:

---

(١) في ب [المنشورة].

هـكـذا هـكـذا وإلا فـلا [لا][1] طـرق الـجـد غـيـر طـرق الـمـزاح

ومن تاريخ الفاسي لغيره:

بنى الكعبة الغراء عشر وكرتهم ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقه
ملائكه الرحمن آدم ابنه كذلك خليل الله ثم العمالقه
وجرهم يتلوهم قصي قريشهم كذا بن زبير ثم حجاج لاحقه
ومن يعد من آل عثمان قد بنى مراده حماه الله من كل طارقه

وذيل بعضهم فقال:

وخاتمهم من آل عثمان بدرهم مراد المعالي أسعد الله شارقه

فائدة:

الخلائق جمع خليقة، مزارع وقصور لغير واحد من آل الزبير يمر بها سيل العقيق كذا في تاريخ الوفاة ومن بعدهم من آل عثمان قد بنا مراد حماه الله من كل طارقه صح.

أنشد أبو حيان الشاطي لنفسه:

ترمون الحجاز وما علمتم بأن القلب بينكم العتيق
والفاظي العذيب وفي ضلوعي الحمى ودموع مقلتي العقيق

وقال آخر:

ولقد أتيت إلى العقيق فشاقني عين بها روض النعيم منعم
[فلأجلها من أهلها][2] أنا مكرم ولأجل عين ألف عين تكرم

ومن كتاب زهر الربيع وباب

حدثاني عن قامت ورضاب أشغلاني عن كل غصن وفريق
وصفا لي ثغر الحبيب فإني ذو اشتياق إلى النقا والعقيق

الشاهد:

في قوله صفا لي ثغر الحبيب، فإنه أدمج فيه وصفه بالنقا والعقيق.

وما أحلى قول ابن نباتة:

إذا لم تغض عيني العقيق فلا رأت منازله بالقرب تبهى وتبهر

---

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [فلأهلها من أجلها أنا مكرم].

وإن لم تواصل عادة السفح مقلتي فلا عادها عيش بمعناه أخضر

قال ابن حجة في كتاب كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام بعد إيراد البيتين فيه انظر أيها المتأمل إلى صحة الاشتراك في الاستخدامين وانسجام البيت الأول مع الثاني، وسيلان الرقة من هذا القطر النباتي والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازية والغزل الذي يليق أن تصدر به المدائح النبوية ومن الشعر المنسجم المحرك للأشجان.

أبكي إذا ذكر العقيق بمثله لعهود جيرته وحسن [المعهد][1]

فسقى الحيا تلك البقاع فتربها لجلاء عن القلب مثل الأثمد

السري الرفا:

إذا ذكر العقيق لنا سرنا عقيق الدمع سحا وإنهمالا

وسال من معالمه محيلاً فتطلب من إجابته محالا

سعد الدين بن عربي:

هذا العقيق فما لقلبك يخفق أتراه من طرب إليه يصفق

بانت له بانات سلع فانثنى وله إلى نسماتهن تشوق

ومن محاسن المدينة:

البركة المباحة وهي بركة الأمير بيري وهي في قبلي جادة العقيق وعندها حديقة وكان عليها بناء حسن لعبت به الرياح وبركة الأمير قاسم على بئر الأعجام وهي من قبلي مسجد السقيا وعندها سبيل ومشربه على حديقة لطيفة وكانت مقيلاً للأعيان ومنتزهًا لمن تناءت به الأوطان فدارت بها الليالي، حتى صارت كالرسم الخالي وكل عمارة تغدو خرابًا، عمارتها بتكرار الرياح العسيرية[2] وهي بركة عظيمة عليها عمارة حسنة وايوان لطيفة وهي من قبلي جادة النقا وبركة الوزير داود باشا وهي في غربي عمارته عند مقسم العين الزرقا وهي منهل الركب المصري وبركة المصلى وهي الكائنة في شرق حوسن عمر أنفدي وبركة الوزير مصطفى باشا وهي الكائنة في غربي بستانه في شمال باب السور الشامي وهي منهل الركب الشامي ولكل واحدة من هذه البرك أوقاف وخدمة وناظر ومن محاسن المدينة عمارة السلطان مراد عليه رحمة الله، رب العباد، فإن عليها مدار المهاجرين، والفقراء والمجاورين وكان لها خبز يصلح للقرا وكان يطبخ فيها اللحم ويفرق على الفقراء، وكان الفقير إذا نال نصيبه من الأرز المطبوخ في ليلة الجمعة

(١) في ب [العهد]. (٢) في ب [العتيرية].

والاثنين استخرج منه من السمن ما يكفيه إلى يومين وبالجملة فلا غير الله تعالى بها الحال ولا أخلاها من الخيرات والنوال، إذ لكل زمان مجال ولكل دهر دولة ورجال وقد أفرد بعض الفضلاء مؤلفًا بخصوصها وبين فيه تفاصيل جملها بنصوصها وفي معنى هذه العمارة، العمارة الخاصكية ومن محاسنها الرباط وضعًا ونفعًا فلا زالت بالخيرات عامرة وللفقراء بجزيل[1] الإحسان غامرة ومن محاسن المدينة حمام الوزير داود باشا فإنه حسن في وصفه عام في نفعه وعنده حديقة لطيفة متينة[2] وعمارة ظريفة، منازل ليلى كلهن منارة لطرفي وقلبي في حماها مخيم.

---

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من أ.

باب في ذكر سلع ومساجد الفتح وما اشتمل عليه ذلك السفح

حديث الغواني لست أنكر طيبه ... ولكن كلام العامرية أطيب

سلع بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة، جبل بالمدينة المنورة قال الأصمعي غنت حياله جارية يزيد بن عبد الملك وكانت من أحسن الناس وجهًا ومسموعًا وكان شديد الكلف بها وكانت نشأت بسلع.

لعمرك إني لأحب سلعًا ... لرؤيته كذا أكتاف سلع

تقر بتربته عيني وإني ... لأهوى أن يكون يريد نجعي

فتنفست الصعدا فقال لها لما تتنفسين والله لولا رؤيته لنقلته إليك حجرًا حجرًا فقالت له وما أصنع به، إنما أردت ساكنيه:

وما كنت أهوى الدار إلا بأهلها ... على الدار بعد الصاغين سلام

وكان العباس رضي الله عنه يقف على سلع فينأى غلمانه وهم بالغابة وذلك من آخر الليل وبينهما ثمانية أميال قال المجد، الغابة ماء على بريد من المدينة في سافلتها وهو محمول على أثناء الغابة لا أدناها وقبل هي على ستة أميال وعليه، فالمراد أولها وهي مفيض أودية المدينة وكانت بها أملاك لأهل المدينة استولى عليها الخراب وبيعة في تركة الزبير بألف وستمائة ألف.

لنا ملك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

وكم لله من مليك ينادي ... صبيحة كل يوم للمعاد

يقول لأهل دنيانا جميعًا ... لدوا الموت وابنو للخراب

ويروى أنه عليه السلام قصر الصلاة في الغابة[1] وإليها تنتهي عين معاوية ولم يبق منها اليوم غير مجاريها وعلى ذكر صوت العباس[2] قال في القاموس أبو عروة رجل كان

---

(١) لم أجده.

(٢) في ب [صدت].

يصيح بالأسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وللطبراني في الكبير سيبلغ البنيان سلعًا ثم يأتي على المدينة زمان تمر السفر على بعض أقطارها فتقول [قد كانت][١] مرة عامرة وذلك من طول الزمان وعفو الأثر وفي خبر ليخرجن أهل المدينة، خير ما كانت تصفا زهوًا وتصفا رطبًا، قيل من يخرجهم منها قال أمراء السوء وفي رواية [اعمر ما كانت][٢] وذلك في آخر الزمان.

يـا صـاح إن اسـود الـغـاب هـمـتـهـا ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وأما سليع بالتصغير، وهو جبل صغير وعليه اليوم القلعة السلطانية وكان عليه قبل ذلك، حصن أمير المدينة الشريف جماز بن شيخة الحسيني وفي حدود السبعين وستمائة كذا في زهر الرياض وأما كهف سلع، فقد كان عليه السلام يبيت فيه ليالي الخندق[٣] وهو على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية في مقابل الحديقة النقيبية على يمين الصاعد عليه وأعلى منه كهف صغير في جهة المشرق وتقدم ذكر العينية وكانت بسلع قصور مشيدة ومساكن عديدة، ومنارة حسنة الأوضاع والمسالك وللشعراء فيها تشبيب فمن ذلك:

قـصـور لـعـمـري حـبـاة مـضـت ... ولـم نـر بـالـنـخـل تـلـك الـقـصـورا
سـقـى الـلـه سـلـعًـا ومـا حـولـي ... وسـلـنـي تـجـدنـي بـسـلـع خـبـيـرًا

ومن القصائد النبوية في ذلك:

بـيـن سـلـع والـمـصـلـى عـرب ... حـبـذا قـربـهـم لـو وجـدا
حـيـث سـاروا فـفـؤادي مـعـهـم ... اتـهـم الـسـيـر بـهـم أو أنـجـدا
يـا سـقـى الـغـيـث ربـوعًـا بـالـلـوى ... كـلـهـا راح عـلـيـهـا وغـدا
بـعـدت عـيـنـي وفـي تـلـك الـمـنـى ... قـرب الـلـه لـنـا مـا بـعـدا
وحـيـاة الـحـب لـولا قـمـر ... حـل فـي ذاك الـحـمـىٰ مـا قـصـدا
أنـشـدوا قـلـبـي فـي مـعـهـدهـم ... فـهـو لا يـتـرك ذلـك الـمـعـهـدا
ودعـوا جـفـنـي وإن بـرح بـي ... ودعـوا شـوقـي إلـى أن يـقـدا
ربـنـا سـلـعًـا وسـل عـن جـيـرة ... مـثـلـهـم لـم تـر عـيـنـي أحـدا
فـإذا جـئـت فـعـرض عـنـدهـم ... فـحـديـثـي ولـك الـنـفـس فـدا
ورد الـمـاء ألـذي فـي حـيـهـم ... فـهـو الـمـاء ألـذي يـروي الـصـدا

---

(١) في ب [كان].   (٢) في ب [أشهر ما كانت].   (٣) لم أجده.

بعد ذاك المورد العذب لقد ... بت لا تطلب نفسي موردا

قل لهم لا صبر عنكم فإذا ... كان بعد لا تطيلوا الأمدا

بيننا موعد وصل وهم ... عرب لا يخلفون[1] الموعدا

ما رأينا أحدًا إلا انثنى ... طربًا يوم رأينا أحدا

وبدا من دون سلع قمر ... حبه في جلدي قد خلدا

أشرقت من نوره الأرض لنا ... فكان الليل صبح قد بدا

كيف صبري على حبيب قد غدا ... بالمعالي والمعاني مفردا

إن عيشًا قد مضىٰ في قربه ... لست أنساه ولو طال المدا

أيها الحادي دع العيس ونم ... [قد كفاها سوقها][2] عمن حدا

رقد القوم عليها وهي من ... شوقها قد منعت أن ترقدا

لو تراها راقصات في الفلا ... قد شجاها صوت حاد أنشدا

ذكرت سلعًا وسلع منتهى ... أمل الساري إذا ما اجتهدا

ليس من يسهر في كسب العلا ... مثل من يرقد فيمن رقدا

لا تقل ما لي زاد فالذي ... أنت ترجو كم فقيرًا زودا

ختم الرسل به رب الورى ... وبه في رتبة الفضل ابتدا

وهو عنهم خير في بعثه ... وهو في الفضل عليهم مبتدا

وجد الناس وهم في حاجة ... فنوى كل نوال وجدا

وجلا عن كل قلب وجلا ... وفدا من ذنبه من وفدا

سلم الله على خير الورى ... وعلى أصحابه أهل الندا

وعلى الآل سلام عاطر ... وثناء من محب سرمدا

وقال الشيخ أبو بكر الرداد:

لي باكناف طيبة بين سلع ... والقوالي مسامر وشجون

وحبيب إذا نألف برق ... من سنا أرضه تفيض العيون

يا أهيل الحمى وبان المصلى ... وقباب النقا بكم استعين

طال فقدي وباع جهدي قصير ... وبكم أصعب الأمور يهون

فالدراك المدراك يا أهل نجد ... قبل أن تذهب البقايا الغبون

وعسى عطفه تسكن جانبي ... وعسى عودة بها أستكين

---

(١) في ب [يخلفوا].

(٢) في ب [كفا عاشقوها].

وقال القيراطي:

عرض إلى ركب الحجاز اسائله ... في عهده بسكان سلع
فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

وأما مساجد الفتح وهي من غربي سلع، فالأول المرتفع على قطعة منه يسمى مسجد الأحزاب، ومساحته عشرون ذراعًا في سبعة عشر صح أنه صلى الله تعالى وسلم عليه صلى فيه ودعا فيه عليهم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء[1] وهذا هو الأصل في تخصيص هذا اليوم بزيارة هذه المساجد، وسمى مسجد الفتح لقوله عليه السلام ابشروا بفتح الله ونصره[2]، لأن سورة الفتح به نزلت والمسجد الذي يلي الأعلى قبله مسجد سلمان رضي الله تعالى عنه ويعرف بمسجد علي كرم الله وجهه ومساحته ثلاثة عشر في ستة عشر، والثالث مسجد الصديق رضي الله تعالى عنه والرابع في قبلة الثالث، على قطعة من جبل سلع، ويعرف بمسجد أبي ذر رضي الله تعالى عنه، صح أنه عليه السلام صلى في كل من هذه المساجد[3] وفي غربي المسجد الثالث صهريج يمتلي من سبل أبي جيدة وعليه ايوان لطيفة يقال له من عمارة إبراهيم آغا وفي غربي الصهريج، حديقة لطيفة وسبيل عمر في سنة ثمان وأربعين وألف وخلفه إلى جانب المغرب حدائق وبساتين ومزارع وفي شرقي سلع حول مناخ الراكب الشامي، حدائق ذات بهجة من أحسنها الزكي وهي حديقة ذات نضارة وعمارة وهي عند مشهد السيد محمد الزكي وبه عرفت وهي في قبلة ثنية الوداع وعلى ذكر الثنية فما أحسن ما قال:

جلا ثغر أو اطلع لي نيابا[4] ... يسوق بها المحب إلى المنايا
وأنشد ثغره الأصحاب فخرًا ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وقال صدر الدين بن الفيومي:

جلا مسواك خير در ... فجل بذاك واكتسب المزايا
وأنشد صحبة تيهًا وعجبًا ... أنا بن جلا وطلاع الثنايا

ومن الحدائق المعتبرة هنالك الحديقة القيرسلية وهي قبلة مسجد الراية والحديقة المكارمية والحديقة السنانية والحديقة الحمامية والحديقة الفيرزوية وعمارة الوزير مصطفى باشا منارة كأنها جنان يسلوا بها عن همه الجنان.

---

(١) لم أجده.
(٢) ورد في دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٠٣.
(٣) لم أجده.
(٤) في ب [ثيابا].

باب في ذكر قباء ومحاسن هاتيك الربا

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم

قبا بالضم يمد ويقصر، على ميلين من المدينة المنورة وفي آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، قبا قرية لطيفة على ثلاثة أميال من المدينة بها ما يلد العين من حسن منظر وما ترضيه النفس من شهواتها.

زمردة خضر أتدرين قرطها بلؤلؤة بيضاء من زهراتها

وأقول في ذلك، وإن لم أكن هنالك:

ما أطيب الأيام فيها تنقضي والعين قد قرت بوصل حبيبها

ما للعيش إلا في حماها ليت لي مأوى ولو في سفحها ورحيبها

وبالجملة، فإنها رياض رق أديمها، وراق نسيمها، ونم طيبها وترنم عندليبها وتحركت عيدانها، وتمايلت أغصانها وتفوقت أزهارها وصوت هزارها تسلسلت[1] جداولها وتبلبلت بلابلها وهذا ما أملته الخمائل يغمرها والنسمات برمزها وأشارت إليه الأزهار بلسان حالها وترحمت عنه الأطيار في حلولها وارتحالها وقال الماء الذي جعل منه كل شيء حي، ألا يا أهل الحي، من طالع مثالي فهم ضرب أمثالي ومن أعجم عليه اشكالي فليس من اشكالي والحمد لله البعيد في قربه، القريب في بعده [المتعالي في جده عن هزل القول وجده الموجد ما كان عدما][2] المودع كل موجود كلما جاعل العقل، حكمًا يميز بينه الشيء وضده، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده؛ فلله أول مسجد أسس على التقوى وفي الله قلوب على الطاعة تقوى، في حضرة ما أبهاها وروضة ما أشهاها الجداول قد سلت بأيديها كل عصب صقيل صيغ فضة بيد الضحى وذهبًا بيد الأصيل والأغصان كأنما خلقت منابر لخطباء الحمام وصورت أوراقها محاجر لدموع الغمام والطير ما بين متطلع من وكنه وقائم على غصنه من كل مغوف الطيلسان، ومطوق، يزهو طوقه على طوق العقيان:

---

(١) في أ [وتسلست].

(٢) سقط من أ.

يصلن بنوحي نوحهن وإنما بكيت بشجوي لا بشجو الحمائم

فلله هاتيك الحدائق، وقد سقاها ماءه النعيم، وألبسها نعماءه النسيم ونقل الشمال إلى الشميم طيبها وتحركت بالأشواق إليها قلوب العشاق ولا تحرك الأغصان حين حرك رطيبها ولقد طالت حيرة البليغ في وصفها وما عسى أن تحمل الشمال من طيب عرفها:

فيا حسن هاتيك الرياض وطيبها فكم قد حوت حسنًا يجل عن الجد

ولا سيما تلك السواني فانها تجدد حزن الواله المدنف الفرد

أطارحها شجوي وصارت كأنما تطارح شجواها يمثل الذي أبدي

وما بين هاتيك النخيل منارة تجدد ما قد فات من[1] سالف العهد

وفي سفح ذاك الجزع أي كواكب تلوح وتبد من قريب ومن بعد

سقى سفحها وبل من الغيث هاطل وحتى حماها بالعبيير وبالند

فكم قد نعمنا في ظلال رياضها بعيش هنيء في أمان وفي سعد

فمن لي بها مع من ود دنوه ومن لي بها في غير بلوى ولا جهد

أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي:

لله يوم في قبا قد مر لي في جمع أحباب وبسط زائد

وتمتعت في روضة أحداقنا بحدائق تسقى بماء واحد

وقال العفيف التلمساني:

يا سائق العيس نحو كاظمه بلغ سلامي لساكنين قبا

وقل قضى ذلك المشوق بكم وما قضى من وصالكم إربا

ومن سحريات الحدائق:

ما نلت ليلةً وصلي طيب السمر حتى مررت بنا نسمة السحر

لقد أتيت على ما كان في خلدي وجئت يا عذبة المحيا على قدر

لله ليلة أنس بات معتنقي فيها السرور ينادي طلعة القمر

ذاك الذي أوتي القرآن معجزةً واختص بالمدح في الآيات والسور

لولاه ما فاز بالفخر الجميل قبا وخص بالذكر في التنزيل والخبر

أكرم به مسجدًا ظل الفخار به فنال فيه الندامى أطيب السهر

والروض قد لعبت أيدي النسيم به ومالت الغضب والأغصان بالثمر

---

(١) في ب [في].

والعذب قد راق والساقي يطوف به ... على الجداول فما روض من الزهر
والطير قد رقصت في وكرها طربًا ... أغنت برنتها عن زخمة الوتر
يهنيك يا قلب هذا الوصل وابتهجي ... يا نفس واغتنمي من صحة العمر
وانت يا فيه الإسلام ما برحت ... روحي فداك تقر عن سائر الغير
وأنت يا ليلة الأنس التي لطفت ... لقد حللت محل السمع والبصر
ما أطيب العيش لولا بن حاسدة ... ما أطول الليل لولا فرحة الظفر
الليل ما بين أهل الوصل مختصر ... لو طال ما طال منسوب إلى القصر

ومن ذلك في هذه المسالك:

نشر الريح ما طوى كم زهر ... فزكا عرف ما شدا كل نشر
وتغنت سواجع الايك فيها ... وكذا الدوح هزه صوت ممري
في رياض الجزع تزهو وتزهى ... قد بدا من كمامها نشر زهر
وكذا الملفحات جادت وأبدت ... يا نديمي من طلعها خير بشر
يستوي في المصيف عند استواها ... كل ضيف لها وعبد وحر
ما ألذ الحياة فيها وأحلى ... خطر أتى بين أثل وسدر
ونديم من الصفا ومدام ... من وداد يروق من صفو صدر
[ومدبر من الوفا كاس حب ... مع طيب يفوق أطيب عطر]
ومغن من العين وسماع ... من لسان الثنا بحمد وشكر
وأمان من الرقيب وقرب ... من وقار وبعد ما كان يزرى
هذه عيشة الكرام وفيها ... فأقبلوا يا أولى الصبابة عذري
واسألوا إن بلغتموها أمانا ... من صروف الردى ومن سوء غدري

ومن تلك الأوصاف في هاتيك الأصناف:

إذا غرد القمري بكيت وإن بكى ... أموت وأفنى ان تغنى مع السحر
وإن سجعت فوق الغصون سواجع ... أطارت فؤادي حيث كانت من الشجر
وإن صوتت بين الأراك بلابل ... بليت بأنواع الشجون وبالفكر
وإن هب نشر الروض زاد بي الهوى ... وكنت متى هب النسيم على خطر
أبى العيش صفوًا والمحبة راحةً ... وأني بها طول الحياة على حذر
رعى الله أهل الجزع لو علموا الذي ... أصبت به لم يغفلوني من النظر
وكنت بهم في طيب عيش ولذة ... ونلت بهم كل الأماني مع الظفر

فيا قلب صبرًا علي أخطي وصلهم ... واسلم في باقي الزمان من الغير

ومن كتاب الحدائق الغالية ـ في قبا والعالية الحمد لله الذي كرمني بوصال من الهوى وشرفني بمسجده المؤسس على التقوى، وفضلني على جميع الضواحي وكلمني دون سائر النواحي [وأحمده على][(١)] ما منحني به من حلول الرسول وأشكره لما نحلني من آثاره غاية السؤال، والصلاة والسلام على من تشرفت به البطاح والربا وعمرت بحلوله حلة قبا وعلى آله وأصحابه وشيعته وأحزابه وعنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجد قبا كعمرة[(٢)] وفي الأثر لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحب إلي أن أتى بيت المقدس مرتين وكان عليه الصلاة والسلام يأتي قباء راكبًا وماشيًا فيصلي فيه ركعتين[(٣)] والأولى أن يزار يوم السبت لأنه عليه السلام كان يأتيه كل سبت[(٤)] وسبب اختصاصه به انه عليه السلام كان يفقد بعض أهل قبا يوم الجمعة، فيسأل عن المفقود فيقال له انه مريض فيذهب يوم السبت لزيارته[(٥)] وفيه رد لمن منع زيارة المريض في يوم السبت.

وأنشد في اجارة لنفسه بجلب المحروسة الشيخ فتح الله البيلوني:

السبت والاثنين والأربعا ... تجنب المرضى بها أن تزار

بطيبة يعرف هذا فلا ... تقيل فان العرف على المنار

وما أوقع ما قال:

---

(١) في ب [الحمدلله رب العالمين].

(٢) * أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة ١/ ٤٥٢ الحديث ١٤١١. والحاكم في المستدرك ١/ ٤٨٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٨٣ الحديث ١١٩٤. وأخرجه مسلم في الحج ٢/ ١٠١٦ الحديث ٥١٦(١٣٩٩). اعلم أن قباء: بضم القاف ثم موحدة ممدودة عند أكثر أهل اللغة وأنكر السكون قصره لكن حكاه صاحب العين. قال البكر: من العرب من يذكره فيصرفه ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه. وفي المطالع: هو على ثلاثة أميال من المدينة. وقال ياقوت: على ميلين على يسار قاصد مكة وهو من عوالي المدينة وسمى باسم بئر هناك. انظر فتح الباري (٣/ ٨٢). وقوله [راكباً وماشياً]: أي بحسب ما تيسر، والواو بمعنى أو. انظر: فتح الباري ٣/ ٨٣.

(٤) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٨٣ الحديث ١١٩٣. ومسلم في الحج ٢/ ١٠١٧ الحديث ٥٢٠/ ١٣٩٩. ومن فضائل مسجد قباء ما رواه عمر بن شبّة في [أخبار المدينة قيد الطبع بتحقيقنا محمد فارس] بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص «لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل». انظر فتح الباري (٣/ ٨٣).

(٥) لم أجده.

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يدعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وفيه حكمة زيادة أهله فيه، لزيادة علم المؤتى فيه، لأنه يزيد علمهم يوم الجمعة ويومًا قبله ويومًا بعده مسئلة في سنة أربع وثمانمائة جدد برسباي على يد شيخ الخدام قاسم المحلي غالب مسجد قبا وسقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة فجددت مع عمارة المسجد النبوي على يد الشمس بن الزمن بعد هدم المنارة للأساس مع ما يليها من سور المسجد إلى آخر بابه الغربي وأعيد مع سد الطيقان التي كانت مفتوحة فيه مما يلي السقف تشبه طيقانه الباقية وجدد بعض سقفه[(١)] وفي حدود الثلاثين [بعد الألف][(٢)] جددت أيضًا عمارته على يد شيخ الحرم النبوي محمد مجد[(٣)] وهو الآن في نضارة هذه العمارة فلا زال معمورًا بدوام الإسلام ولا برح مغموم الأكتاف بالغمام.

تتميم: لما قدم النبي ﷺ المدينة نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم فمكث عندهم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأخذ مربد كلثوم فعمله مسجدًا وأسسه وصلى فيه إلى بيت المقدس وهو مسجد قباء[(٤)].

وجاء في الأثر أن الخضر عليه السلام يصلي في كل جمعة في خمس مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد قباء ويصلي في كل ليلة جمعة في مسجد الطور.

وصلى عليه السلام إلى الاسطوان الثالث من مسجد قباء في الرحبة ولم يزل يزور المسجد مدة حياته وصح أنه عليه الصلاة والسلام كان يستقبل بيت المقدس[(٥)] حتى نسخ ذلك فأتى آت قبا وهم في صلاة الصبح فأخبرهم وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وكانت القبلة قبل صرفها عند الاسطوانة الثالثة في الرحبة. **فائدة** قال السهيلي إن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى لمسجد أسس على التقوىٰ من أول يوم وهل هو مسجد قبا أم مسجده صلى الله تعالى وسلم عليه قولان أرجحهما الثاني ومن محاسن هذا المسجد بئره التي ماؤها من أحلى المياه وأعذبها وطيب الهواء الرطب واختلافه في أروقته.

---

(١) في أ [عققه].
(٢) في ب [وألف].
(٣) في ب [حجر].
(٤) لم أجده.
(٥) أخرجه البخاري في الصلاة ١/ ٦٠٣ الحديث ٤٠٣. وأخرجه مسلم في المساجد ١/ ٣٧٥ الحديث ١٣/ ٥٢٦). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٥٤ ج ١٥٥ الحديث ٥٩٣٩.

وكان يقال:

شيئان أحلى من عناق الخرد ... وألذ من شرب القراح الأسود
وأعز من رتب الملوك عليهم ... حلل الحرير مطرزًا بالعسجد
سود الدفاتر أن أكون نديمها ... أبد الزمان وبرد ظل المسجد[1]

ومما يتبرك به بقبا دار سعد بن خيثمة في قبلة مسجد قبا لأنه ورد أنه عليه السلام اضطجع فيه[2] وخلفه من الجانب الغربي مسجد ينسب لعلي كرم الله وجهه وأمامه من الجانب القبلي مسجد ينسب لفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأما مسجد الضرار بقبا فقد عفا أثره وهفا خبره وأما أهل قبا فهم الذين قال الله في حقهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والخلف في بركة السلف وعن عويمر بن ساعدة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأهل قبا ـ إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم في كتابه العزيز فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ما هذا الطهور فقالوا ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا[3] وعن زيد بن أسلم الحمد لله الذي قرب منا مسجد قبا ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل وعن بعض الأكابر أن المكروب إذا نادى يا أهل قبا فرج الله تعالى عنه[4].

وما أحسن ما قال:

يحركنا ذكر الأحاديث عنهم ... ولولا هواهم في الحشا ما تحركنا
ولولا معانيهم تراها قلوبنا ... إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن نمنا
لدبنا أسى من لوعة وصبابة ... على أن في المعنى معانيهم معنا
فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ... إذا لم تذق وشراب الهوى دعنا
وسلم لنا فيما أدعينا فإننا ... إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا

ولله در القائل:

حديث ذاك الحمى روحي وريحان ... فلا تلمني إذا كررت ألحاني
روض به الدوح والريحان قد جمعا ... وخضرة ما لها في حسنها ثاني

---

(١) سقط من ب.
(٢) لم أجده.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥١٦/٣ الحديث ١٥٤٩١. والحاكم في المستدرك ١٥٥/١ وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي.
(٤) سقط من أ.

الماء والزهر والأطيار يرقص في ... ميدان أنس على أوتار عيدان
فالوصل دان وطيب الحال ينشدنا ... هذا هو العيش إلا أنه الهاني

وقال آخر:

على تلك الربوع وساكنيها ... سلام كالسلامة يستطاب
يكرره لساني بل كتابي ... بل الأيام إن درس الكتاب
وأدعوا الله مع سرف المعاصي ... فقد تدعوا العصاة وقد تجاب

ومن محاسن قبا الحسنية وهي في شرقي المسجد حديقة حسنا أنيقة غناء جامعة بين العمارة والنضارة رياضها زاهية زاهرة وحياضها باهية باهرة قد عذب ينبوعها وأشرقت ربوعها ورق فيها النسيم وتأرج بهاه الشميم».

والماء يخفي سجعي في التدفق صوته ... والورق تسجع باختلاف لغاتها
والوقت ينشد من يحاول صفوه ... خذ فرصة اللذات قبل فواتها

وما أحسن ما قال:

رعى الله أيامًا بها قد تصرمت ... وطيب ليال ما عرفت لها قدرًا
ليالي وصال لو تباع شريتها ... بروحي ولكن لا تباع ولا تشرا

وفي هذه الحديقة بركة بديعة في وصفها محكمة في صنعها محفوفة بالأشجار والأزهار مباحة للفقراء والزوار وأخرى فائقة في أنسها رائعة في نفسها عليها ايوان مشيد الرواق وعمارة تروق الأحداق وعلى ذكر البركة أنشد لنفسه بن تميم:

لقد قابلتنا بالعجائب بركة ... مكملة الأوصاف في الطول والعرض
كان الذي يرنو إليها بلحظة ... يرى نفسه فوق السماء[1] وهو في الأرض

وقال آخر:

وبركة للعيون تبدو ... في غاية الحسن والصفاء
كأنها إذا صفت وراقت ... في الأرض جزء من السماء

مسئلة

إن قيل لم كان القائم على الماء يرى أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ويرى السماء تحت الماء مع أنها فوقه الجواب إن معرفة ذلك متوقفة على معرفة قاعدة من علم الهندسة[2] وهي أن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل كالماء لم يثبت عليه لصقاله وزلق عنه إلى الجهة المقابلة للرائي إن لم يكن الصقيل أمامه بحيث تكون

---

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [الهندسية].

زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقصان فهاتان الزاويتان في السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجري فيه خياله إلى الماء فينقطع فيه وكان القائم وقع على سطح الماء والقائم إذا وقع يصير أسفله أعلاه فلذلك ترى السماء تحته وكل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم ألمًا واقفًا كالمرأة رأى على هيئته فالقائم في القائم في منعكس لأن موضوع الانطباع وهو الماء أسفل والقائم وهو شعاع العين آت إليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فأخذه وانبطح والانبطاح في الحقيقة إنما هو وجه الماء لا في عمقه والحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه في جوفه كأنه قد غرق بعد الانبطاح على وجه الماء في الماء ولو غرقت الشجرة كان رأسها أسفل وهو ضرورة وكل ما هو على مثل السماء وغيرها يرى أسفل وما أحسن ما قال:

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم ... وإن مال طرفي عنكم فهو أحول

وقال آخر بلسان أهل التوحيد:

بانعكاس الشعاع في المرآة ... وانعطاف الصدى على الأصوات
أيقن القوم إنه ليس في الكسـ ... ـوف سوى مقتضى سور الذات

مسئلة: والشيء بالشيء يذكر بالاستطراد أو بالمناسبة من غلط الحس أن الشخص الماشي قد يرى القمر تحت السحاب متحركًا إلى غير جهته التي يتحرك إليها بالذات وذلك على رأي القائلين بالشعاع وأنه المتحرك وفيه كلام طويل يطلب من بابه وأما رؤية الشمس كبيرة وصغيرة فلأن في جهة المشرق والمغرب رطوبات تتصاعد فتتفقد سفقًا فترى فيها الشمس كبيرة بسبب الرطوبات ورؤية النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجمال ونحوها في السراب طوالاً ونظائر ذلك تطلب من علم المناظرة وفيه لابن الهيثم كتاب في سبع مجلدات ومن أحسن حدائق قبا بل حدائق المدينة بالإجماع القويم مصغر القائم قاله كما قيل:

روض كمخضر العذار وجدول ... نقشت عليه يد النسيم مباردًا
والنخل كالهيف الحسان تزينت ... فلبس من أثمارهن قلائدا

أو\كما قال:

رياض إذا ما ذقت كوثر مائها ... أهيم كأني قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد في أن[1] في الأرض روضة ... تماثلها قل[2] أنت مجتهد ومخطىء

(١) في ب [بأن].

(٢) في ب [فلا].

امثل شوقًا فأشكلها في ضمائري		فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط

ولله در القائل:

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها		وأظل منها تحت ظل صافي
والزهر حياني ثغر باسم		والماء وافاني بقلب صافي

وبالجملة فإنها ذات رياض تسلسلت[1] جداول مائها وقصور تزين الأفق بنجوم سمائها بها النخيل التي لا تحصى والأشجار التي لا تستقصى غياضها مشهودة وحياضها موروردة بين مبان[2] وثيقة، ومغان أنيقة قد اشتمل على عمارات حسنة وأوضاع بديعة مستحسنة وبئر هي أوسع الأبار دولابًا.

ومنارة تزهو محاسن واعجابًا		وفيه ايوان بديع عنده بركة بديعة

ويصلح أن يقال فيها:

انظر إلى البركة الفيحاء التي اكتنفت		بها النواظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها		كواكب قد أداروها على القمر

وقال آخر:

قد قلت في البركة الفيحا وقد جمعت		من البدور أصناف الملاح زمر
إن كان في الفلك الأعلى يرى قمرًا		فهذه فلك دارت بألف قمر

والذي انشأ هذه الحديقة الغناء هو السيد الشريف أحمد بن سعد الحسيني نقيب السادة الأشراف بالمدينة المنورة ومن الأبيات المكتوبة باللازورد في سقف ايوانه تغمده الله تعالى برضوانه.

مجلس السعد عامر بالتهاني		والمسرات والمنا والأمان
جمع الحسن والبها فتسامى		بسناء يزهو على البنيان
وتباهى بمن حوى وتناهى		وعلا فخره مدى الأزمان
فهو عين البنيان حقًا كما قد		حل فيه إنسان عين الزمان
إن يكن مغرد البنا فلا عز		وفمنشيه مغرد في المعاني
قال قد حزت كل معنى وحسبي		من مشيد وسيد قد بناني
جاوز المدح في معانيه حتى		كل كلي عن وصفه بلساني
عندما تم رونقًا وجمالاً		وذكرنا به قصور الجنان

---

(١) في أ [تسلسلت].

(٢) في ب [بين متان].

انشد الحال في علاه ونادى يا ابن سعد لقد بلغت الامان
من صروف الزمان لا تخش ضيمًا أنت جار لسيد الأكوان
ولسان السعود أرخ فيه عش مقيمًا بدار سعدك [ ][1]

ومنها. ولله در قائلها:

يهنيك يا أشرف المجالس حللت في أطيب المغارس
في طيبة في جوار طه جوار عز بلا مقايس
يشاهد المصطفى دوامًا من حل عليك وهو جالس
منشيك من سادة كرام ليس له في العلا منافس
قد طاب أصلاً وطاب فرعًا وحاز من معظم النفائس
وكم من المجد شاد بيتًا حماه بالبيض واللوابس
لا زال في عزه مقيم يرفل في أجمل الملابس
قالوا فأرخ لنا بناه فقلت قولاً له مجانس
تاريخه أحمد بن سعد قد حل في أرفع المجالس

وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة من أحسن الحدائق وأبهجها تسمى القائم وهي لآل شاهين قال في زهر الرياض إلا أنه يحسن أن يقال فيهما من حيث التسمية اعكس تصيب لأن القويم أوسع منه دائرة وأكثر نخلاً وأنضر كرمًا خلا ما اشتمل عليه من المساكن الطيبة العامرة قلت ولعل التصغير هنا مما اريد به المحبة والتعظيم.

كما قال ثعلب:

بذيالك الوادي أهيم ولم أقل بذيالك الوادي وذياك من زهدي
ولكن إذا ما حب شيء تعلقت به أحرف التصغير من شدة الوجد

ومن محاسن حدائق قبا الشدقا والشديقا والبستان وبئر عذق والبويرة فإنها عيون تلك الأماكن ومنارة هاتيك المساكن.

ومن محاسن قبا بئر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في زهر الرياض وابتنى الشمس بن الزمن بعد عمارة مسجد قبا البركة والسبيل المقابلتين له بحديقة العيني وقد صارا للوزير محمد باشا مع بئر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وحديقتها وحصنها.

(١) ثبت في أ، ب [هين].

قلت وهي الآن من أحسن أماكن قبا عمارة ونضارة وفيها إيوان كأنه كما يقال ايوان كسرى.

فائدة ايوان كسرى على مرحلتين من بغداد بناه الملك ابرويز في نيف وعشرين سنة طوله مائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة بالأجر الكبار والجص وطول الشرافة خمسة عشر ذراعًا كذا في كتاب تحفة الأصحاب ونزهة الألباب نكتة من لطائف أخبار الملوك عن بعض رسلهم انه دخل على كسرى فرأى في ايوانه اعوجاجًا فسأل عن سببه فقيل له أنه كان مكان بيت لعجوز فقيرة فسألها الملك بيعه وأرغبها فامتنعت فتركه وبنى الايوان كما هو عليه الآن فقال هذا الاعوجاج خير من الاستقامة وكان كسرى وضع في ايوانه سلسلة ذات أجراس وجعل طرفها خارجًا عن القبة ونادى من كان مظلومًا فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته. قال العسكري وهذا هو الأصل في قولهم حرك عليه السلسلة.

ويحكى أن كسرى كان جالسًا في ايوانه فإذا حية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا ثم ان الحمامة جاءت بحب في منقارها فألقته بين يديه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحاناً لم يعرف فقال نعم ما كافتنا به الحمامة.

كل الأمور إذا نظرت إعارة	إلا الثناء فإنه لك باقي
لو أنني خيرت كل فضيلة	ما اخترت غير مكارم الأخلاق

واشتهرت بئر النبي صلى الله تعالى وسلم عليه كالشدقاء بالعنب الجيد وبالجملة فإن في قبا من الكروم أنواعًا مختلفة منها المدني وهو أنواع منه البرني ويقال له المراودي وهو أجودها لرقته وحلاوته وهو يحاكي الزيني من أعناب الشام ومنه البيض وهو دونه ومنه السكر وهو متوسط ومنها الحجازي وهو أنواع منه البياضي ويختلف في الرقة والغلظ ومنه السوادي وهو أحسن منه ومنه الخمري وهو أجوده ولا عجم لصغاره وفي كتاب البركة في السعي والحركة أن نوحًا عليه السلام شكى من الغم فأوحى الله تعالى إليه أن كل العنب الأسود انتهى وأحسن العنب ما كان في حدائق قباء ثم العالية ثم جفاف[1] ثم باقي بساتين المدينة وكان بالعقيق كروم كثيرة ويحكى أنه كان لسعد بن أبي وقاص بالعقيق كرم تباع ثمرته بألف دينار فبلغه أن شبان المدينة يصنعون منه الخمر فقطع أصول كرمه تتميم مانون كقانون ورانونا مقصور اسم سيل[2] من جبل في يماني

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [جبل].

عير يمر بالعصب ويعترض قباء يمينًا فيدخل الشدقاء والبستان ثم يخرج إلى العليقة ثم يمر بصرارة شاهين ثم يشارك سيل وادي بطحان المعروف بأبي[١] جيده من غربي القصيبة في قبلي المصلى وسيل بطحان يأتي من[٢] على سبعة أميال من المدينة يمر بالصيحاني المعروف بأم عشرة ثم بجفاف ثم بالقصاة بالفاء وهو موضع في غربي الماجشونية ثم بالمصلى ومساجد الفتح ثم بالغابة وينتهي مع السيول إلى البحر ومن محاسن حدائق قباء العليقة بضم العين المهملة وفتح اللام تصغير علقة بالضم وهو منتزه بديع في حدة حسن وبمحاسنه يذهب عن القلب الحزن عليه من بهاء البدر نور وضوء الشمس يكسوه الشعاعا وماؤه العذب في أقصى درجات الحلى وهواؤه الرطب من أطيب ما تشتهيه الملاء وبالجملة فكل هاتيك الحدائق ذات رياض وحياض وأشجار وأزهار.

ومن رام لي بها اللوى حيناً — وصفا لي فيها الهوى والهواء
وثنت نحوها الثنية قلبًا — قلبًا تستخفه الأهواء
وما أحسن ما قال — ولكل مقام مقال
ليس النزاهة في المنازل كلها — من سائر الأقطار والأمصار
إلا[٣] إذا ما كنت وسط حديقةً — إن الحدائق نزهة الأبصار

ولله در القائل:

يا من يلوم على الهوىٰ — دعني فشأنك غير سأني
لا يشغلك[٤] غير ما — تهوى فكل العيش فاني

وقال آخر:

يعنفني أهل البلاغة حيثما — تغزلت في الغزلان عن أبلغ القال[٥]
وينهون مثلي عن عكوفي على الهوى — أليس هوى أهل الهوى مقتضى الحال

وقال:

لا تلمني على الوقوف بدارٍ — أهلها طير والغرام ضجيعي
جعلوا لي إلى[٦] هواهم سبيلاً — ثم سدوا علي باب الرجوع

وخلف هذه الحديقة من جانب الشمال حديقة مورقة الأشجار مونقة الثمار

---

(١) في ب [بابن].
(٢) سقط من ب.
(٣) سقط من ب.
(٤) في ب [لايشغلنك].
(٥) في ب [الغال].
(٦) سقط من ب.

خفيفة[1] الماء العذب لطيفة الهواء الرطب وتعرف بالسرارة بفتح السين المهملة وتشديد الراء قال في زهر الرياض ولا يعرف اليوم بالسرارة غير هذه الحديقة وما حولها وبها نخلة مثنية يقال إنها انثنت للنبي صلى الله تعالى وسلم عليه حتى تناول منها[2]. وهذا على المشهور[3] لا على ما هو المسطور والناس يتبركون بها لذلك ويشترون ثمرها بأعلى ثمن وليست من حر النخل بل من أوسطه ويسمى جنسها الوحشي بصيغة مقابل[4] الإنسي والحديقة المذكورة بيد آل شاهين من الأشراف الوحاحدة الحسينيين انتهى.

قلت وإذا صح خبر النخلة فينبغي أن تكون من حر النخل بل يجب أن تكون من أعلاه كما قال:

وأكرم إحداق الحدائق منشدًا ... لعين تجازي ألف عين وتكرم

وما زال الناس يهدون تمر المدينة المنورة إلى الآفاق ويتبارك به كل محب ومشتاق وأنشدوا:

أفضل تهدية أمثالنا ... من طيبة مدفن خير الأنام

بعض تميرات إذا أمكنت ... تبركًا ثم الدعا والسلام

وقال آخر:

خير الهدية من مدينة أحمد ... دعوات صدق عند قبر المصطفى

بركاتها ترجى ويرجى نفعها ... وبها الشفاء لمن يكون على شفا

وقد أدركت جزوعًا بالية مجموعة في هذه الحديقة يتبرك الناس بها ويزعمون أنها بقايا تلك النخلة وأولادها وقد وضع عليها مسجد لطيف وذلك في حدود نيف وعشرين ألف وخلف هذه الحديقة من جهة الشمال حديقة معطرة بالأزهار مشتملة على أعناب ونخيل وأشجار تعرف بجزع العرصات[5] ولعلها المعنية بقوله:

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً ... وبالجزع أخرى كيف يلتقيان

وبالجملة فإنها بقعة تأرجت بطيْب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها وطلعت أهلة بدورها من آفاق السعود وتواصلت نفحات الهوى المقصور بها ولا تواصل نسمات الهوى المحدود.

---

(١) في ب [خفيه].

(٢) لم أجده.

(٣) في ب [هو].

(٤) في أ [مفانيل].

(٥) في أ [الفرمات].

فهي الروضة المورقة الأشجار والغيضة المونقة الأزهار

فلو أنني في جنة الخلد بعدها ذكرت ولا أنسى لذاتها أنسا

فيا لها من رياض تعطرت بأرجها[1] الأنفاس، وقال لسان التصديق في جواب الاستفهام عنها لا بأس رياض أشجارها باهية باهرة، وحياض أزهارها زاهية زاهرة.

وقال آخر:

رياض بها الحصباء در وتربها عبير وأنفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

رياض أثمارها باسقة وغياض أطيارها ناطقة فلو تأملت في أغصان رياضها الأنيقة لرأيت كلاً بمفرده حديقة فمدعى نضارتها عند أهل النظر مسلم وعلي محاسنها سالم من أن يوصف إلا بأنه موثق معلم قد فجرت على أرضها ينابيع البديع عيونًا وانشأت على رياضها من أغصان التفريع فنونًا فطفقت تخطر بأكمام ثمرها وجعلت ترمق بأحداق زهرها ولقد أغدقت سحابها وتنمقت رحابها وهب نسيمها واهتز وسيمها وطالما أوقع القلب في شرك الهوى تغريد هزارها وضاعف للصب غرامه طيب أزهارها هوى روضة قد طبق الأفق طيبها.

هوى تذوق العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فيا حسنها من رياض غدا جنوني فنونًا[2] بأفنائها

جرى الماء فيها على رأسه لتقبيل أذيال أغصانها

أو هي كما قال:

روض كأن ترابها أبدًا بماء الورد يسقى

وكأن تربة أرضها جدبت من الكافور عرفا[3]

أو كما قال:

رياض بكاها المزن وهي بواسم فناحت بغير الحزن فيها الحمائم

وأودعت الأنواء فيهن سرها فنمت عليهن الرياح النواسم

يبيت الندى في أفقها وهو ناثر[4] ويضحى على أجيادها وهو ناظم

كأن الأقاصي والعقيق تقابلا خدود جلاهن الصبا ومباسم

---

(١) في ب [بأرحها].

(٢) في ب [جنوني جنوناً].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [ناشر].

كأن بها للنرجس الغضِ أعيننا ... ننبه منها البعض والبعض نائم
كأن ظلال القصب فوق غديرها ... إذا أطربت[1] تحت الرياح أراقم
كأن غناء[2] الورق الحان معبد ... إذا رقصت تلك القدود النواعم
كأن نثار[3] الشمس تحت غصونها ... دنانير في وقت ووقت دراهم
كأن بها الغدران تحت جداول ... منوع دروع أقرعت[4] وصوارم
كأن ثمارًا في غصون نوسوست ... لعارض خفاق النسيم تمائم
كأن القطوف الدانيات مواهب ... وفي كل غصن ماس في الدوح حائم
كأن بنان المصطفى قد لمسنه ... فاعداه منهن الندى والمكارم
نبي انى غيثًا وغوثًا ورحمةً ... عليه صلاة الله ما أفتر باسم

أما بئرها فقد اشتملت على بناء بديع محكم حتى كأن أحجارها فيها عقد منظم يعجز أبناء الصناعة عن تصور شكلها فضلاً عن الاتيان بمثلها يغض لها حبن مائها الغزير العذب بأن تكون من أحلى ما يشتهي القلب ويشهد لها بالشراحة ما اشتملت عليه من الملاحة وما تناهيت في وصفي محاسنها ألا وأكثر مما قلت ما أدع.

ولقد أحسن التحليل من قال:

الماء قد عشق الغصون[5] فلم يزل ... أبدًا بمثل شخصها في قلبه
حتى إذا فطن النسيم إني له ... من غيرة فأزالها عن قربه
فإذا أتاه مهيمنًا بعتابه ... في الحال قطب وجهه من عتبه

وأما بساتينها في حسن تركيبها وترنم عندليبها فهي للأحزان تنفيس وللأشجان مغناطيس ان جرت محالها بالماء أجرت الدمع كالدماء وإن أسمعت غناءها جددت للنفس عنائها فهي منبع الشجو والغرام ومجمع اللهو والمرام.

أبدًا هكذا تأن بشجو ... وعلى إلفها تدور وتبكي

أو هي كما قال:

وسانية كانت غصونًا وريقةً ... تميس فلما فرقتها يد الدهر
غدت في رياض الجزع تبكي وتشتكي ... بدمع[6] على أيام عهد الصبا يُجري

وما أحسن ما قال:

---

(١) في ب [إذا ما اظهرت].
(٢) في ب [خفاء].
(٣) في ب [نشار].
(٤) في أ [أفرغت].
(٥) في ب [الغيون].
(٦) في ب [بديع].

يا يومنا بالجزع هل من عودة ... ليت الليالي للوصال[1] تعيد
فهواك لا يبدو السلو لطيبة ... والله يبدي ما يشاء ويعيد

وقال آخر:

وبالجزع حي كلما عن ذكرهم ... أمات الهوى مني فؤادي وأحياه
تمنيتهم بالإبرقين[2] ودارهم ... بوادي الفضا يا بعد ما أتمناه

وقال:

وبالجانب القبلي بالجزع شادن ... له من فؤادي نائب وشفيع
إذا خطرت في خاطري منه سلوة ... تعرض شوق دونها وولوع[3]

وقال:

عسى بالجانب القبلي يسري نسيمه[4] ... من الروض بالعرف الذي كتب أغرني
فما اعتضت[5] عن تلك الربى غير حسرة ... عليها ودمع يستهل ويذرف

وقال:

أهيل[6] الحمى والجزع يهنيكم المغنى ... وصوت القماري والهزار إذا غنى
بعدتم فأبعدتم عن النفس أنسها ... كأن الهنا لفظ وأنتم له معنى

ومن غراميات الشاب الظريف:

عفى الله عن قوم عفا الصبر عنهم ... فلو رمت ذكري غيرهم خانني الفم[7]
وبالجزع أحباب إذا ما ذكرتهم ... شرفت بدمع في أواخره دم
تجنوا كأن لا ود بيني وبينهم ... قديمًا وحتى ما كأنهم هم
ومشبوب ناري وجنة وجناية ... تعلمه إعطافه كيف يظلم
ألم وما في الركب منا متيم ... وعاد وما في الركب إلا متيم
وليس الهوى إلا التفاتة طامح ... يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلي ما القلب هاجت شجونه ... وغادره[8] داء من الشوق مؤلم
أظن ديار الحي منا قريبة ... وإلا فمنها نسمة تتنسم

(١) في ب [للوصل].
(٢) في ب [بالابرق منى].
(٣) في ب [ووداع].
(٤) في ب [بنسيمه].
(٥) في ب [اعتنقت].
(٦) في ب [أصيل].
(٧) في ب [الدهر].
(٨) في ب [وغامره].

ولله در القائل:

لا تلتفت بالله يا ناظري لأهيفٍ كالغصن الناضر
ما السرب ما البان وما لعلع ما الخيف ما ظبي بني عامر
يا قلب فاصرف عنك وهم النقا وخل عن سرب حمى حاجر
[جمال من سميئة داثر ما حاجة العاقل في الداثر][1]
وإنما مطلبه في الذي هام الورى في حسنه الباهر
أصبحت فيه مغرمًا حائرًا لله در المغرم الحائر

أنشد لنفسه أبو البركات السعدي:

وكم رمت كتم الحب عمن أحبه وكيف يكتم الحب عن ساكن القلب
إذا اختلج النبر المصون بخاطري تقلب مني القلب جنبًا إلى جنب
فتبدو ولا تبدو سرائر لوعتي وتخفى ولا تخفى وفي الحال ما ينبي

وقال الشيخ حسن البوريني:

تعشقت منه حالة لست قادرًا على وصفها إذا لم يذقها سوى قلبي
تيقنت أني فيه أصبحت مغرمًا ولكني لم أدر ما سبب الحب

ومن أشعار كتاب مصارع العشاق:

ولقد أقول لمن تعشق أغيدًا أو غادةً وغدا أسير وثاق
ما مذهبي عشق الجمال مقيدًا بل عشقه ديني على الاطلاق

وفي المعنى للصيفي الحلي:

ولقد تعرض للمحبة معشر عدموا من اللذات ما أنا واجد
قالوا أتعشق رب كلا ملاحة فأجبتهم أن المحرك[2] واحد
الحسن حيث وجدته في حيز هولي بإسباب الصبابة قائد

وقال الشيخ الشتستري:

أيا ساهيًا دع عنك رملة عالج ونجدًا ولا تندب اراكا ولا خطًا
وكن قاصدًا للحق تحظ بنيله فما ثم إلا الحق لكنه غطا

فائدة: الجزع بالكسر.

---

(١) في ب هذا البيت مؤخر عن الذي يليه. (٢) في ب [المحرف].

وقال أبو عبيدة: اللائق به أن يكون مفتوحًا منعصف الوادي ووسطه أو منقطعه أو منحناه، أو لا يسمى جزعًا حتى تكون له سعة تنبت الشجر أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، وربما كان رملاً، ومحلة القوم، والمشرف من الأرض إلى جنبه طمأنينة جزع الأرض والوادي، كمنع قطعة أو عرضًا، والجزع ويكسر الخرز اليماني الصيني، فيه بياض وسواد، تشبه به العين، والتختم به يورث الهم والحزن والأحلام المفزعة ومخاصمة الناس كذا في القاموس(*).

وما أحسن ما قال:

ألا إن وادي الجزع أضحى ترابه ... من اللمس كافورًا وأعواده ندا

وما ذاك إلا أن[1] عليا عشيةً ... تمشت وجرت في جوانبه بردا

ويطلق الجزع بالكسر اليوم على مواضع بالمدينة المنورة أشهرها جزع قباء وما في غربي قباء، وقبلتها من الآبار فماؤه أعذب أمواء المدينة المنورة فائدة الماء همزية عن الهاء وهو جوهر لطيف سيال يتلون بلون آنائه، وفي شرح الهمزية لابن حجر قيل لا لون له وإنما يتكيف بلون مقابلة والحق خلافه فقيل أبيض وقيل أسود والأسودان التمر والماء.

وما أحسن ما قال:

في خده عرق بدا ... ذا حمرة لصفائه

هذا يحقق قولهم ... الماء لون إنائه

قال البصير في التذكرة، الماء اجل[2] العناصر البدنية بعد الهواء على الأصح لبقاء البدن بدونه أكثر من بقائه بدون الهواء وتختلف باختلاف الأصل والسن والمزاج والزمان، أجوده الخالص من ماء المطر القاطر وقت صفاء الجو ولم يخالطه مكدر فالجاري مكشوفًا من البعد في أرض حرة أو حجر إلى الشرق أو الشمال النقي الأحجار المهري لما طبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن ونيل مصر أجمع لهذه الصفات ثم دجلة ثم جيحون فالمطر فالمطبوخ فماء العين المستعمل فالبئر وكل ما تحرك أو جرى فجيد، والصحيح عدم اختصاصه بدرجة في البرودة، يبلغ القداء أقصى الأعماق لأنه غذاء على الصحيح لعدم انعقاده، حافظ للرطوبات الإفراط منه يرخى ويعد ويهزل، كما أن تركه يجفف ويورث السدد. والجاري منه مغمورًا أو في رصاص، وطويل المكث والمكبرت

---

* انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣/ ١٢ - ١٣).

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [أجن].

والمجاور للرمل والتراب وأصول الشجر والحشائش ردى يعفن الأخلاط، وغدير المطر إذ صفته الرياح جيد جدًا ينفع المجرور والمكدود، والكبريتي يعقب الحكة والجرب شربًا ويمنع منهما غسلاً كمالح وزاجي، وماء الشب يقبض ويمنع تولد القمل غسلاً وماء الحديد سواء أخذ من معدنه أو طفى فيه يقوى الأعضاء ويحبس الاسهال والدم ويمنع الخفقان والزحير، وأما ماء الذهب والفضة أعظم فيما ذكر خصوصًا بالطفى، وماء النحاس مضر وأخبث منه ماء الرصاص ولا بأس بماء القصدير. وللماء الصحيح لذة ودخل في تدبير الصحة إذا استعمل بشروطه فهو لا يؤخذ قبل هضم فإنه مفسد للأغذية مبرد للمعدة، مصعد للأبخرة، وأن لا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح، كأكل البصل قبله وبعده ومزجه بالخل وأن يكون بداعية صادقة فما شرب قبل خمس عشر درجة تمضى من الأكل الصفراوي وضعفها لدموي، وخمسة وأربعين لسوداوي وستين لبلغمي كاذب لاعتداد به، شديد النكاية ولا بعد فاكهة فإنه يفسد الدم ولا بعد حمام وجماع فإنه يورث الرعشة والخدر ولا نوم لمن نام ولم يأخذ كفايته منه[1]، ولا قائمًا ولا متكئًا والحار يفسد ولا يروي بل يغير اللون، والثلج والبرد أقل رطوبة من باقي المياه ويأخذه العطشان قبل الأكل وفي خلاله جائز بقدر الداعي، ولا يجوز على الريق إلا صيفًا أو زمن الطاعون انتهى.

ويروى انه عليه الصلاة والسلام أكل طعامًا وشرب ماء باردًا في الصيف وقال يا بردها على الكبد[2]، حكاه في كتاب البركة. وعنه عليه الصلاة والسلام إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه لأنه أطفى[3] للمرة وأنفع للغلة[4]. وكان يأكل البرد ويقول يقتل الدود في الإنسان، وعنه عليه الصلاة والسلام الشرب في اثر الدسم داءً في البطن[5]. ويقال ان وجع الكبد من العب وهو جرع الماء من غير مص. وشرب عليه الصلاة في نفسين. وروى عنه عليه الصلاة والسلام من شرب الماء على الريق انتقضت قوته[6]. وعن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه من شرب الماء بالليل وقال

---

(١) سقط من ب.

(٢) وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أحب شراب عنده الحلو البارد الفرقدي (١٨٩٥) ـ للإمام أحمد ٢٤١٨٤

(٣) في ب [طغى].

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط ٥/ ٥١ ـ ٥٢ الحديث ٤٦٤٦. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٨٩، ٩٠ وقال فيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف.

ثلاثًا عليك السلام من ماء زمزم وماء الفرات؛ لم يضره وعن الباقر رضي الله تعالى عنه شرب الماء من قيام بالنهار أمرى وأصح[1] وبالليل يورث الماء الأصفر. كذا في مكارم الأخلاق.

وأنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني:

إذا رمت شربًا فاقعد تفز ... بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائمًا ... ولكنه لبيان الجواز

تتميم اجتمع عند كسرى من الحكماء عراقي ورومي وهندي وسوادي فقال كسرى ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه فقال العراقي هو ان تشرب كل يوم على الريق ثلث جرع من الماء الساخن، وقال الرومي هو أن يسف كل يوم قليلاً من حب الرشاد وقال الهندي هو أن تأكل كل يوم ثلاث حبات[2] من الاهليلج الأسود والسوادي ساكت وكان أصغرهم وأحدقهم.

وكان يقال:

عليكم بآراء الشباب فإنها ... فروع ذكاء لم تنل قدم العهد

فقال له الملك ألا تتكلم فقال أيد الله الملك، الماء الساخن يذيب شحم الكلا ويرخي المعدة وحب الرشاد يهيج الصفرا، والاهليلج الأسود يحرك السودا، قال فما الذي تقول أنت فقال الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل حتى تجوع ولا تشرب حتى تظمأ فإذا أكلت أو شربت فارفع يدك عند الشبع واقطع شربك قبل الري[3] فإنك لا تشكو إلا علة الموت، فصدقه[4] كل منهم فيما ادعاه، وكان يقال الاحتماء في وقت الصحة خير من شرب الأدوية وقت المرض. وكان يقال الطب حفظ صحة موجودة أورد صحة مفقودة، الأول متيسر والثاني متعسر أو متعذر ومن المجربات درهم مستكا[5] يطبخ في رخل ماء صاف[6] في فخار جديد إلى أن يذهب ثلثه للاستسقاء والقيء والغثيان والزحير ويقوي الهضم، ويجدد الفخار في كل مرة ويذلها الأذخر وتعديله الجوز كذا في التذكرة. وقد طال الكلام وخرج عن سلك النظام ولربما ساق المحدث بعض ما ليس النديم إليه بالمحتاج وهذا وان كان من قبيل الجمل المعترضة

---

(١) في أ [أصبح].
(٢) في ب [قليلاً].
(٣) سقط من ب.
(٤) في ب [فصدقه الملك وصدقه].
(٥) في ب [مصطكا].
(٦) سقط من أ.

ينبغي أن يكون من حشو اللوزينج. فإن الحاجة إليه ماسة وبمراعاة مثل ذلك سلامة الحاسة وذلك من أعز مطالب العقول كما هو مسطور منقول.

تسل عن كل شيء بالحياة فقد　　يهون عند بقاء الجوهر العرض
يعوض الله عما أنت متلفه　　وليس للنفس إن أتلفتها عوض

ومن محاسن حدائق قباء الصمد، وحوسان، والجعفرية وكانت غرة في جبهة هاتيك الأماكن، إلا إنها قد ذهبت بهجتها وأخلفت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة السابقة والعمارة الفائقة.

كفى أسفًا بالواله الصب أن يرى　　منازل من يهوى على غير ما يهوى
ولولا غرام لي بطيبة لم أكن　　أذل لمن يسوى ومن لم يكن يسوى

وقال آخر:

منزل حقه علي قديم　　من زمان الصبا وعصر البطالة
أنا أدرى به وإن كنت فيه　　سائلاً عنه أقتفي أطلاله
ومحال من المحيل جواب　　غير أن الوقوف فيه غلاله[1]

ولله در القائل:

قف نسأل الطلل الذي لا يعلم　　وقلوبنا في رسمه تتكلم
وأهًا له طللاً برامة بينما　　هو بالحياء منهن إذا هو معدم
وعلى البلى فقد يروق كأنما　　قطع الغمام عليه برد معلم

ومن أعمال قباء العصب بضم أوله وفتح ثانيه واد في حرتها الغربية، واد عليه للمحاسن رونق وبه طيور طاب عيش نديمها وقد اشتملت العصب على حدائق ذات بهجة من أحسنها سلطانة، وهي حديقة حسنة الترتيب، بديعة الوضع العجيب كثيرة النخل الباسق والشجر المتناسق ذات بناء شديد وإيوان مشيد وبركة وسيعة وأوضاع حسنة بديعة، وبئر شميلة بضم الشين المعجمة وهي روض فسيح الجنان مخضرة الأرجاء والرحاب بها الأشجار المؤتلفة والأزهار المختلفة والعمارة الحسنة والنضارة المستحسنة، والماء العذب والهواء الرطب فلا زالت كذلك، روضة من هاتيك المسالك وقطعة[2] ريحان السفري وهي حديقة لطيفة وفيها حصن قديم قال في زهر الرياض، العصب في غربي قباء بها النخيل والبساتين المعتبرة، ابتكر عمارتها السيد أحمد بن

(١) سقط من الأصل واستدركت في الهامش.　　(٢) في ب [قطيفة].

سعد نقيب السادة الأشراف، وبعض بني السفر وفيها مسجد التوبة صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه[1]. قلت وقد اندرس هذا المسجد بحيث لم يبق له أثر، ولم يكن له عند أحد من أهل المدينة خبر، ولم تزل الآثار تعفو رسومها، وتحدث من بعد الأمور أمور.

---

(١) لم أجده.

بـاب

في ذكر العالية، ورياضها الفائق نشرها على العبير والغالبة، وفيه ذكر جفاف وقربان ومحاسنهما السائرة بهما الركبان، ان الحقائق في الحدائق قد بدت، فاجنوا بها الثمرات من أشجارها. قال في الوفاء العالية من المدينة، ما كان في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فأكثر، وأقصاها عمارة على ثلاثة أميال وأربعة إلى ثمانية أو ستة على الخلاف في ذلك انتهى. ووجه التسمية جلي، وذلك لأن السيول تنخر[1] من تلك النواحي العالية إلى سوافل المدينة، فعلى ذلك يقال نزلنا من العوالي إلى المدينة، وطلعنا من المدينة[2] إلى العوالي، ولا عبرة بمن يقول لا يقال نزلنا المدينة لأنها محل الطلوع لأن ذلك من الأدب المولد المستبرد، فإن الله تعالى يقول «رب انزلني منزلاً مباركًا» وبملاحظة ذلك ساغ لمن كان في السوافل أن يقول نزلت المدينة وعليه عمل أهلها، وتطلق الحدائق على ما في العالية من البساتين والعوالي على القرية فقط وبالجملة فإن العالية رياض مخضلة[3] الربا وغياض معتلة الصبا بها النخيل الباسقة والأشجار المتناسقة والأغصان التي تتناوح عليها الأطيار وتتباكى في روضها الأمطار.

مهما اتجهت رأيت روضًا[4] ماؤه ... متسلسل يعلو عليه ويخفق
الريح يكتب والجداول أسطر ... خط له نسج الغمام محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد ... والغصن يرقص والغدير يصفق
ومعاطف الأغصان هزتها الصبا ... طربًا فذا عار[5] وهذا مورق
وهزاره يصبو إلى شحرورة ... ويجاوب القمري فيه مطوق
يتلو على الأغصان أخبار الهوى ... فيكاد صامت كل شيء ينطق
والورق في الأوراق يشبه شجوها[6] ... شجوي وأين من الخلى[7] الموثق

---

(١) في ب [تنحدر].
(٢) سقط من أ.
(٣) في ب [مخصله].
(٤) سقط من ب.
(٥) في ب [هذا عار].
(٦) في ب [لشجوها].
(٧) في ب [الحالي].

وقال آخر:

منازل أحبابي ومربى عشيرتي ... وأوطان أوطاري ورضى سخطي

لويت عناني في حماها عن اللوى[1] ... وهمت بها لا بالمحصب والسقط

ولذ عناق الفقر لي بغنائها ... وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط

سقى سفحها إن قل دمعي سحابةً ... مكللةً بالقطر منهلةَ النقط

ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت ... بصفحتها لا زالت واضحة الخط

ولا زال ذلك الروض بالطل معجمًا ... ومن شكل أنواع المسرة في ضبط

وقال ولله دره:

سقى الله في أرض العوالي منازلها[2] ... قطعت[3] بها دهر الريذا من العمر

درت أنني قد[4] حببتها متنزها ... فمدت لتلقاني بساطًا من الزهر

وفيها لقد رق النسيم وحيثما ... ذهبت وجدت الماء في خدمتي يجري

وقلت أنا في ذلك وإن لم أكن هنالك:

نشأت بفضل الله في ظل دوحة[5] ... سمت بنبي كنت من بعض عترته

فإن شئت في صفح العوالي وإثباتًا ... بدار الذي طابت وطالت بهجرته

فهاتيك دار الحبيب وهذه ... بها منن هي يا صاح من حول حجرته

وقلت في تفضيل العالية وفيه نظر:

فضل العوالي بين ولأهلها ... فضل قديم نوره يتهلل

من لم يقل أن الفضيلة طنبت ... أرض العوالي وهو حق يقبل.

إني قضيت بفضلها وأقول في ... وادي قبا الفضل الذي لا يجهل

وقلت في تقسيم الشوق:

إذا كنت في أرض العوالي تشوقت ... لأرض قبا نفسي وفيها المؤمل

ولو كنت فيها قالت النفس ليت لي ... بأرض العوالي يا خليلي منزل

فيا ليت أني كنت شخصين فيهما ... وما ليت في التحقيق إلا تعلل

وقلت بلسان حال الأحوال:

---

(١) في أ [الوي].

(٢) في أ [منازها].

(٣) في ب [فطمت].

(٤) سقط من ب.

(٥) في ب [رومة].

أراك تغالي في العوالي وفي قبا ... وأنت على وهم الخيال تعول
إني كم تكن تهوى الذي أنت سائر ... إلى غيره إذ أنت عنه تحول
فكن سائرًا في لا مقام فإنما ... تقلب من شأن لسان وترحل

ومن محاسن حدائق العالية سميحة بضم أوله، قال في الوفاء، بئر سميحة بئر بالمدينة عليها نخل لعبيد الله بن موسى.

قال كثير عزة:

كأن دموع العين لما تحللت ... محارم بيضا من تمني جمالها
قبلن غروبًا من سميحة اترعت ... بهن السواني واستدار محالها

(القابل الذي يلتقي الدلو تخرج من البئر فيصبها في الحوض)[1]، وقد غرس بعض أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة، فصارت من أحسن الحدائق. انتهى.

(وماء هذه البئر من أحسن)[2] مياه ذلك الجزع وإن لم يكن بالعذب الخالص.

وأنشدوا:

وفي مائها قد قيل بعض ملوحة ... ومنها مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم قلبي يراها ملاحة ... فلا برحت تحلو لقلبي وتملح

ومن أحسن المياه هنالك بئر النصيري بضم أولها، وعليها حديقة غناء، ومن أحسن حدائق العالية الدويمة والشجيرة والفقير بالتصغير، ومغلة[3] بصيغة اسم الفاعل، والبوعي وفي قبلته مسجد بني قريظة بضم القاف، وهو عشرون ذراعًا في مثلها، وحوله حدائق وبساتين ومزارع وفي الجهة الشامية منه المشربة روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه صلى في مشربة أم إبراهيم[4]، وهي أكمة بين النخيل قد حوط حوله بلبن، والمشربة البستان، قيل كان بستانًا لمارية القبطية.

وفي الصحاح المشربة بالفتح، الغرفة، وكذلك المشربة بضم الراء، والمشارب العالي قال في الجوهر المنظم، المشربة ولدت فيها مارية إبراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وموضعه اليوم مسجد، وهو أربعة عشر ذراعًا، في مثلها. انتهى. وعندها حدائق من أحسنها المرجانية والمالكي وأم غانم.

حدائق أنبتت فيها الغوادي ... ضروب النور رائقة البهاء

---

(١) سقط من ب.
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [مقالة].
(٤) لم أجده.

فما يبدو بها النعمان إلا ... نسبناه إلى ماء السماء

ومن أحسن حدائق العالية الدوار، بضم أوله وتشديد الواو، والمسمارية وما حولها والبغوة، فإن فيها البغية.

فائدة قال في الوفاء، زهرة بالضم ثم السكون، بين الحرة الشرقية، والسافلة مما يلي القف، كانت من أعظم قرى المدينة، وكان بها ثلاثمائة صانع، وهي مما يلي العالية بالقرب من الصافية وفي[1] الدور الثمينة.

القف بالضم والتشديد، وأصله ما ارتفع من الأرض وغلظ، وكان فيه إشراف على ماء حوله، وأحجار كالإبل البروك، وهو علم بواد بالمدينة عند المشربة وبه حسنًا، وأما جفاف فهو واد طاب روح نسيمه، وصح مزاج اقليمه رياضه زاهرة وحياضه باهرة، ونخيله باسقة وأشجاره متناسقة.

واد حريري الرياض فكم به ... من حارث يغدو به همام
ممتد أردية الظلال فروضه ... باكي العيون وثغره بسام

أو هو كما قال:

منزل طيب وماء معين ... وثرى أرضه يفوح عبيرًا
وإذا المرء قدر السير منه ... فهو ينهاه بإسمه أن يسيرا

فلا زال كذلك ولا برحت معمورة بعمارته هاتيك المسالك، قال في زهر الرياض جفاف بالكسر وفائين، جهة من العالية به الحدائق الحسنة والمنتزهات البهية المستحسنة ومن حق تلك المنازل والربوع، ان تكتب تراجمها باللجين أو بالدموع، وفيها قلت متذكر السالف العيش الطيب، فلا زالت بها شاء ايبب الغيث الصيب.

سقى الله في وادي جفاف بنائلا ... لهن جفاء رائق اللون والحسن
بران على ساقي النشير ثوابت[2] ... وأخرى مع الأعناب في ساحة العهن

وقال آخر:

جفاف بواديها رياض نواضر ... بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

وقال:

في زمان الربيع أهل جفاف ... في نعيم إذ تزهر الأزهار

---

(١) سقط من أ.

(٢) في ب [ثابت].

في قصور وسط الجنان تراها وهي تجري من تحتها الأنهار

وقلت:

تحن إلى وادي جفاف جوانحي وإن كان ممن قل فيه نصيبي

وإني لأهوى الجزع وهو ممتع ومن لي بجزع في رباه حبيبي

وقال:

عرج ركابك عن جفاف إنها واد تذل له الرقاب وتخضع

في كل أفق من بديع رياضه قمر يغيب وألف بدر يطلع

وقال:

يا سائرًا والريح يعثر دونه والبرق يبسم أدبه يتألق

[إن جئت من وادي][1] جفاف منزلاً لي نحوه حتى الممات تشوق

ورأيت في الروض المفوق[2] اغيدا في الكون مثل جماله لا يخلق

بلغ منازله التحية إنني أبدًا بحسن بهائها أتشوق

ومن أحسن حدائق جفاف الحمرة، والنواعم، فإنها من أعظم حدائق ذلك الوادي وأكرم بساتين ذلك النادي، وهي القائل فيها بعض واصفيها.

عيون المها بين النواعم لو تدري جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

فيا ساكني أكناف طيبة ماؤكم إذا ذقته ذقت الرحيق من السكري

ولولا بقايا طعمه في مذاقتي لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

فواهًا على سكنى النواعم دائمًا خلافًا لمن قال آهًا على مصر

فكم مر بي فيها حلاوةً ليلةً فكانت شبيه الخال في وجنة الدهر

وفي غيرها كم كنت أقضي لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وقال آخر:

وجوه في النواعم إن تبدت يقول الصب قد حصل المرام

وجوه لا تزال تضيء حسنًا لمثل جمالها خلق الغرام

ومن أحسن حدائق جفاف العهن، وهو أحد الآبار السبعة كما تقدم، والعهين بالتصغير والنشير، وهو روض تغنت أطياره فتمايلت طربًا أشجاره.

---

(١) في ب [إن جئت واد].

(٢) في ب [المضيق].

إذا تكسر ماؤه أبصرته ... في الحال بين رياضه يتشعب

وفيه[1] إيوان مشيد البنا وبركة متسعة حسناء في روضة تروق أعين البشر قد تناسق فيها[2] الشجر، وسجع على افنانها القمري من على جداول كاللجين تجري.

وسانية[3] حنت وأنت وقد غدت ... تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف الغصن تيهًا لأنها ... تغني له طول الزمان ويشرب

وقال ابن تميم:

وبركة ماء يملأ العين صفوها ... يخف بها روض من الغيث مزهر
ويسرح منها في الخمائل جدول ... كما سل من درع حسام مجوهر

وقال:

وحديقة ينساب فيها جدول ... طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو أخيال غصونها في مائه ... فكأنما هو معصم منقوش

ولقد أحسن التخيل من قال:

كأنما الماء وقد جفت به ... أشجاره وصافحته الألسن
مرآة غيد قد وقفن حولها ... ينظرن فيها أيهن أحسن

وقال القيراطي:

سقى الله بستانًا حللنا بدوحه ... وقد مالت الأغصان من كثرة الشرب
تراقصت الأغصان فيه ونقطت ... مغاني الرياض السحب باللؤلؤ الرطب

وقال البدر الذهبي:

لله روض فائح نشرها ... قد تمنعت[4] أردائها السحب
الطير فيها شيق مغرم ... وجدول الماء بها صب

وقال ابن الوكيل:

تغنت في دوي الأوراق ورق ... [ففي الأفنان من طرب فتون][5]
فكم بسمت ثغور الزهر عجبًا ... وبالأكمام كم كم رقصت غصون

---

(١) جاءت مكررة في أ.
(٢) سقط من ب.
(٣) جاء في ب [وايفك].
(٤) في ب [تمقت].
(٥) في ب [تجيد بالنوح فتناً بعد فنن].

وقال:

وربَّ حمامة في الدوح صارت [تجيد النوح فنًّا بعد فن][1]
أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا فمنها النوح والعبرات مني

وقال الصفدي:

لا تقيسوا بي الحمامة حزنًا أنا فضلي تدري به العشاق
أنا أملي الغرام على ظهر قلب وهي تملي وحولها الأوراق

وقال ابن لؤلؤ:

[ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والألحان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالةً من دون صحبي باللوى ورفاق
وأنا الذي أملي الجوى عن خاطري وهي التي تملي عن الأوراق

وقال آخر:

يا طالما سجعت وهنا بذي سلم ورقاء تعجم شكواها فأفهمه][2]
وتنثني نسمات الغور حاكيةً علم الفريق فأدري ما تترجمه

وقال الأزدي وأجاد:

لأمر ما بكيت وهاج شوقي [وقد سجعت على الأيك الحمام][3]
[لأن بياضها كبياض شيبي][4] فمنعني نوحها قرب الحمام

ومن سحريات الرياض:

إذا هبت نسيم الروض ليلاً عليك وأنت في بعض الحدائق
ووافق أن يكون البدر صاح وعندك شادن كالبدر فائق
لطيف كامل في الحسن فرد عطير طيبة من كل فاتق
وكان مع السواني صوت قمري يغني في الهوى حسن الطرائق
وصوت الماء يسكب في الجوابي يفوق بصوبه صوب الغدائق
ورن[5] الطير حتى كاد يزري بأوتار عليها الدق[6] رائق
وفاح لكل ريحان شداه وراح به مع الأرياح عائق

---

(١) في ب [ففي الأفنان طرب وفن].
(٢) سقطت هذه الأبيات من ب.
(٣) سقط من ب.
(٤) سقط من ب.
(٥) في ب [ورد].
(٦) في ب [الدف].

وسار البدر مرتحلاً سحيرًا ... ونادى الثريا أنت طالق
وجاء الصبح يسعى في إنطلاق ... وأذن فجره سبحان خالق[1]
وأصبحت الزهور على كمام ... تحاكي في النضارة كل شارق
وقد أصبحت في خير وبر ... معافى آمنًا من كل عائق
فذاك العيش عيش أولى التصافي ... وأرباب اللطائف والحقائق
فدونك فاغتنم صفوًا وحافظ ... على شكر العطا إن كنت حاذق

ومن ذلك من هذه المسالك:

إذا أصبح الجو زاه وقد ... تحجبت الشمس خلف الحجاب
ورق النسيم وأرخى الندى ... كواكب طل تزين الرحاب
فكن من بني الوقت واحرص على ... نديم أديب وطى الجناب
وخل مليح لطيف طريف ... يعاني الملاهي ويهوى الحباب
وحاد يجود على كل عود ... بلحن الأغاني وشجو الشباب
يزين المقام إذا ما استقا ... م لصوغ القوافي وجر الرباب
وكن في البساتين واطرح بها ... همومك واجعل عليها التراب
وإن اسبل الغيث اذياله ... فذالك لا شك يوم الشراب
وذلك يوم يزيد الهناء ... ويطوي بها الهم طي الكتاب
فخذ نصح صب خبير بما ... يقول فقد قال راعي اللباب
ولا تمنع البسط أوقاته ... فيشهر في ذاك سيف العتاب

ولقد أبلغ الواعظ بقوله:

لقد كادت الدنيا تقول لأهلها ... مشافهةً لو أنها تتكلم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى ينصرم
ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فرب غد يأتي بما ليس تعلم
إلا أن أهنى العيش ما سمحت به ... صروف الليالي والحوادث نوم

[وأصل ذلك][2] قوله تعالى: ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [القصص: ٧٧].

وما أحسن ما قال:

---

(١) في ب [خالق].

(٢) في ب [والأصل في ذلك].

إذا أمكنت مع عفة النفس لذةٌ فخذها ولا تنسى النصيب من الدنيا

ولله در القائل:

عليك بساعات السرور فإنها هبات زمان راجع في هباته

وخذ ما أتى مما ترى من مسرة وصل خير هذا الدهر في غفلاته

فإن صحيح الرأي من كان همه ومسعاه في تحصيل لذات ذاته

ومن محاسن جفاف، أم عشرة، واد في قبلي جفاف، تبقى فيه غدران من الأمطار ومن سيل أبي جيدة، وتجري منه جداول إلى مزارع وحدائق ...الك منها، فتجد به النفوس راحة ومسرة ويسعى إلى التنزه فيه من من الله تعالى عليه بسعة من الرزق والمبرة وبالجملة فإنه من المواضع الشهية الرائقة والمرابع البهية الفائقة لا سيما إذا اخضرت أكنافه وتزينت بالزهور أطرافه وسلم قاصده من مشاغبة الديون ومراقبة العيون، وهيهات وهيهات أن تمر إلا بمقتضى أحوالها الأوقات وعلى ذكر الجداول.

فما ألطف قول ابن تميم:

يا حسنة من جدول متدفق يلهي برونق حسنه من ابصرا

ما زلت انذره عيونًا حوله خوفًا عليه أن يصاب فيعثرا

فأبى وزاد تماديًا في جريه حتى جرى من شاهق فتكسرا

وقال آخر:

كأن المياه خلال الرياض وأعين أزهارها ناضرة

سماء تقطع فيها الغمام فلاحت به الأنجم الزاهرة

ومن الزهريات:

انظر إلى الأشجار تلق غصونها شابت وطفل ثمارها ما أدركا

وعبيرها قد ضاع من أكمامها وغدا بأذيال الصبا متمسكا

وقال آخر:

أنظر إلى الأغصان كيف تمايلت وتفارقت بعد التعانق رجعا

كالصب حاول قبلةً من إلفه ورأى المراقب فانثنى مترجعا

وقال آخر:

أقول وطرف الرجس الغض شاخص إلي وللنمام حولي الممام

أيا رب حتى في الحدائق أعين علينا وحتى في الرياحين نمام

وأما قربان فهو اسم رجل كانت له بئر عليها حديقة، وعندها عمارة في شرقي مسجد الشمس إلى جانب الشمال يفصل بينهما سيل أبي جيدة سمى باسمه ذلك الموضع وصار علمًا بالغلبة على تلك الناحية وكثرت فيه العمارات، وسكانه أهل خير ومعروف.

قال الشاعر:

من سره رطب وماء بارد   فليأت أهل الخير من قربان

وما أحسن ما قال.(ظل بارد، ورطب طيب وماء بارد)[1].

نحن جيران أحمد قد أقمنا   في رياض قد طاب فيها المقيل

ماؤنا بارد وأضحى لدينا   رطب طيب وظل ظليل

وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث لا يسأل الله تعالى عنها العبد يوم القيامة، ما يواري به عورته، وما يقيم به صلبه، وما يكنه من الحسر والقد وهو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة[2]، وروي عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال «ما أنعم الله على العبد من نعمة صغيرة وكبيرة فيقول عليها الحمد لله إلا أعطاه الله خيرًا مما أخذه[3] وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال، عن السؤال عن النعيم وإنما ذلك للكفار ثم تلا وهل يجازى إلا الكفور[4]، وعن الباقر رضي الله تعالى عنه، أن النعيم العافية وعنه أن الله تعالى أكرم من أن يطعم عبدًا أو يسقيه ثم يسأله عنه وإنما النعيم الذي يسأل عنه هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أما سمعت قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته﴾ حكاه[5] النيسابوري في تفسيره وأما مسجد الشمس ويعرف بمسجد الفضيخ وهو على نحو نصف ميل من مسجد قباء من الجهة الشرقية وهو مبني بأحجار على نشر من الأرض وعند بئر لها درج إلى الماء، وقد صلى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في هذا المسجد[6] قال في الجوهر المنظم مسجد

(١) جاءت قبل مكانها بسطر في أ.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩١ وعزاه لعبدالله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن الحسن ص ٢٨ الحديث ٦٤٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٧، ٥٠٨، وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي ليس بصحيح. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٩٨ وعزاه للطبراني، وقال فيه: سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩٠ ٣٩١ وعزاه لابن مردويه عن الكلبي.

(٥) سقط من ب.

(٦) لم أجده.

الفضيخ شرقي قباء على شفير الوادي أحد عشر ذراعًا في مثلها سمي بذلك، لأن أبا أيوب ومن معه كانوا يشربون به الفضيخ، فجاءهم الخبر بتحريمها قبل العلم بنجاستها انتهى وقيل غير ذلك. باب في ذكر القبلتين ومحاسن الجرف والبركتين.

مخيم لذاتي وشوقي[1] ماربي ... وقبلة آمالي (موطن صبوتي

رعى الله أيامًا بظل جنابها ... سرقت بها في غفلة البين لذتي

مسجد القبلتين لبني سواد بن سلمة، والأرجح أن تحويل القبلة كان وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى به الظهر بعدما صلى ركعتين، وكان جاء لزيارة امرأة من بني سلمة، فصنعت له طعامًا[2]، وقيل لم يكن معهم، بل أخبروا فاستداروا وتورع بأن مسجد قباء كان أولى بهذه التسمية لوقوع ذلك فيه وقال كثير من أهل العلم مسجد القبلتين حولت فيه القبلتين من بيت المقدس إلى الكعبة وقد صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه ركعتين من الظهر فأمر أن يتوجه[3] إلى الكعبة فاستداروا، واستقبل الميزاب[4] وذلك لستة أشهر من الهجرة في نصف رجب وقال بن النجار في الدرة الثمينة وصلى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في مسجده متوجهًا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم أمر بالتحول إلى الكعبة فأقام[5] رهطًا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه وبين القبلة[6] فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء وصارت قبلته إلى الميزاب[7] وعن سعيد بن المسيب قال حولت القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهرًا قبل بدر بشهرين في مسجد بن سلمة الذي يقال له مسجد القبلتين وكان فيه رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه إذ ذاك في صلاة الظهر عند دار أم بشير[8] وقيل كان ذلك في مسجده في صلاة العصر يوم الإثنين في النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة انتهى وتعرف جهة هذا[9] المسجد بالقاع وهو طرف وادي العقيق وإلى جانب المسجد من شرقيه حديقة غناء مشتملة على عمارات بديعة رينعت في أرجائها الأشجار وتغنت على أغصانها الأطيار فما أحلاها وقد حفت بها الأزهار، وهبت عليها نسمات الأشجار وهي من[10] أوقاف يوسف الرومي وإلى جانبها حديقة لطيفة يقال لها عقاب وحول هذا المسجد آبار، ومزارع يعرف بالعنابس

---

(١) في ب [سوقي].

(٢) لم أجده.

(٣) في ب [يوجه].

(٤) لم أجده.

(٥) في ب [فأمر].

(٦) سقط من ب.

(٧) لم أجده.

(٨) لم أجده.

(٩) سقط من أ.

(١٠) في ب [في].

من أحسنها وزيرة وسلطانة وأما الجرف بضمتين وتسكين الراء فهو على ثلاثة أميال من المدينة وهو قاع فسيح ومنتزه مليح ويشتمل على آبار ومزارع، وحدائق من أحسنها حديقة الحاكم، وحديقة الأمير والنائبية[1] وما حولها وفي الجانب الغربي من الجرف مزارع تسمى العرض بالكسر أو هي الجرف أو كل واد فيه شجر فهو عرض، قال يحيى بن أبي طالب:

ولست أرى عيشًا يطيب مع النوى ... ولكنه بالعرض كان يطيب

وأنشدوا:

انظر إلى الجرف البديع رياضةً ... والشمس كادت بالحجاب توارا
صبغ الأصيل حباله فكأنها ... أطواد بتر تخطف الأبصارا

ومن محاسن الجرف سيل العقيق، وفي الصحيح لا يدخلها الطاعون ولا الدجال «يأتي سبخة الجرف فيخرج إليه كل كافر ومنافق ولها يومئذ سبعة أبواب، وفيه أن سبخة الجرف ليست من المدينة وفيه نظر وتأمل وأما البركتين بالياء في الأحوال الثلاث والأكثر الأفراد فهي نخيل ومزارع تنتهي إليها العين الزرقا، في وادي إبراهيم بين غربي أحد والجرف وتسقى بالساعات من ماء العين ويقال لأولها البركة الغربية ولآخرها البركة البعيدة».

وأنشدوا:

أرأيت وادي البركتين وماؤه ... يبدي لناظرك العجيب الأعجبا
يتكسر الماء الزلال على الحصا ... فإذا غدا بين الرياض تشعبا

ومن محاسنها البطحاء وهي مجمع السيول:

فإن النفس تجد إليها ارتياحًا ... وتكسب من فضائها أفراحًا

وما أحسن ما قال:

وبطحاء في واد يروقك لونها ... ولا سيما إن جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع ... يرقرقها منه هنالك محجر
إذا فاخرته الريح ولت عليلة ... بأذيال كثبان الربا تتعثر

وقال آخر:

---

(١) في ب [النابيه].

كم للنسيم على الربا من نعمة　　　وفضيلة بين الورى لن تجحدا
ما زارها وشكت إليه فاقةً　　　إلا وهز لها الشمائل بالندا

فوائد وفرائد في كتاب الفلاحة، النخل أول شجر استقر على وجه الأرض وعنه عليه الصلاة والسلام، «أكرموا عماتكم النخل»[1] وفي رواية «أكرموا النخلة فإنها عمتكم» وقال الشاعر:

وعماتك النخل كن مثلها　　　برامي الحجارة ترمى الرطب

وإنما سميت عمة لأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه الصلاة والسلام أو لأنها تشبه الإنسان في أشياء كثيرة وجاء أن الكرم والرمان خلقا أيضًا من فضل الطينة وعنه عليه الصلاة والسلام أن من الشجر لما بركته كبركة المسلم[2] يعني النخلة وقال نعم المال النخل، الراسخات في الوحل، الطعمات في المخل»[3] كذا في كتاب البركة» مسألة إذا دام شرب النخلة للماء العذب، وتسقى الماء المالح أو يطرح الملح في أصولها، فتحسن ثمرتها، وربما لا تقبل القاح بالطلع فتلقح بروث الحمير، ويعرض لها أمراض كالإنسان، منها الفم وعلاجه ايقاد النار حولها نهارًا ومنها العشق وعلامته ميلها إلى أخرى، وخفة حملها وهزالها وعلاجه أن يشد بينها وبين المعشوقة حبل أو يعلق عليها سعفة من المعشوقة أو يجعل فيها من طلعها ومنها منع الحمل وعلاجه أن يأخذ فأسًا ويدنوا منها ويقول لآخر، أنا أريد أن أقطع هذه النخلة، لأنها لم تحمل فيقول له الآخر لا تفعل فإنها تحمل هذه السنة، فيقول لا بد من قطعها ويضربها ثلاث ضربات فيمسكه الآخر ويقول لا تفعل فإنها تثمر هذه السنة فاصبر عليها ولا تعجل فإن لم تثمر فاقطعها، فإنها في ذلك العام تثمر ثمرة كثيرة ومنها سقوط الثمرة وعلاجه أن يأخذ لها منطقة من الاسرب فتكثر ثمرتها ولا تسقط أو يتخذ لها أوتاد، من خشب البلوط ويدقونهم حولها في الأرض ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت، نوى نخلة وغرست منها ألف نخلة، جاءت كل واحدة لا تشبه الأخرى، وإذا نقع النوى في بول بغل وغرس جاء فحولاً وإذا نقع في الماء ثمانية أيام وغرس جاء بسره كله أحمر وإن نقع في

---

(١) ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٤٢٤. وذكره العقيلي في الضعفاء ٤/ ٢٥٦. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٨٤. وقال العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٩٥ الحديث ٥١١ رواه الرامهرمزي في الأمثال عن علي مرفوعاً، وأخرجه أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس، وأخرجه عثمان الأرمي ورواه السخاوي في المقاصد الحسنة (٩٨/١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأطعمة ٩/ ٤٨١ الحديث ٥٤٤٤. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٥٧ الحديث ٥٩٩٩.

(٣) لم أجده.

بول البقر وجفف ثلاث مرات، وغرس حملت كل نخلة منه مقدار نخلتين وإذا أخذ البسر الأحمر وحشي في التمر الأصفر وغرس جاء بسره أصفر وبالعكس وكذا النوى المتطاول المدور وكيفية غرسه أن تجعل أغلاظ أطراف النوى مما يلي الأرض وموضع النقير إلى القبلة.

فائدة: إذا ظهر بعض عروق النخلة، وقطعت من دونها وغرست فإنها تنبت كأنها ودية والتي لم يظهر عروقها تضرب أوتاد في جوانبها وتشبك ويجعل، عليها التراب والماء إلى أن تضرب عروقها فتقطع من دونها وتغرس فتنبت وتثبت حكي في كتاب المباهج أنه أهدي لبعض الرؤساء عذق واحد بسرة حمراء وبسرة صفراء وذكر أن بعض النخل تخرج الطلع في السنة مرتين وحكي أن بقرية من أعمال بغداد نخلة تخرج في كل شهر طلعة واحدة على ممر الأيام[1] حكي أنه كان في بستان ابن الخشاب بساحل القاهرة نخلة تحمل أعذاقًا نصف البسرة الأعلى أحمر ونصفها الأسفل أصفر وبالعكس من العذق الآخر[2] لطيفة وحكي أن بعض ملوك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بلغني أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كاذان الحمر ثم تنشق على أحسن من اللؤلؤ المنضد ثم تخضر فتكون كقطع الزمرد ثم تحمر وتصفر فتكون كشذور الذهب، وقطع الياقوت ثم تينع فتكون كالطيب الفالوج[3] ثم تيبس فتكون قوتًا للحاضر وزادًا للمسافر فإن صدقت رسلي فلا شك من أنها من شجر الجنة فكتب إليه نعم صدقت رسلك وأنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا تدع مع الله إلَهًا آخر وعلى ذكر الشجرة فما أصدق ما قال:

المرء في زمن الاقبال كالشجرة	والناس من حوله ما دامت الثمرة
وإذا تساقط عنها حملها رحلوا	وخلفوها تقاسي الريح والغبرة

ومن خواص النخل، أن خوصه إن مضغ قطع رائحة الثوم والكرات ومن خواص النوى أنه إذا غلي في ماء إلى أن يذهب نصفه نفع شربه من حرقة القضيب، قال بعضهم يصف النخل:

كأن النخيل الباسقات وقد بدت	لناظرها حسنًا قباب زبرجد
وقد علقت من حولها زينةً لها	قناديل ياقوت بأخراس عسجد

وقال النميري:

---

(١)(٢) هذه الفقرة من ب مؤخرة مكان الفقرة رقم ٢ من أ.

(٣) في ب [الفالوذج].

ضربن العذق[1] في ينبوع[2] عين طلبن معنيه حتى روينا
كأن فروعهن بكل ريح عذارى بالذوائب ينتضينا

وقال السري الرفا:

وكأن ظل النخل حول قبابها ظل الغمام إذا الهجير توقدا
من كل خضراء الذوائب زينت بثمارها جيداً لها ومقلدا
حرقت أسافلهن أعماق الثرى حتى اتخذت البحر فيه موردا
شجر إذا ما الصبح أسفر لم يتح للأس طائره ولكن غردا

وقال آخر:

أنظر إلى البسر إذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقًا

وقال في البلح الأحمر:

أما ترى النخل حاملات بسرًا حكى حمرة الشقيق
كأنه من عقود تبر منظمات من العقيق

وقال في البلح الأخضر:

أما ترى النخل طلعت بلحًا جاء بشيرًا بدولة الرطب
مكاحل من زمرد مرطت مقمعات الروس بالذهب

وقال آخر:

أما ترى الرطب المجنى لأكله حلوى أعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها بذي[3] العقاد في عمل في الدست يومًا ولا حطت على النار

وقال ابن شرف القيرواني:

ومطبوخ بغير عقيد نار عزمت على جناه بابتكار
آبانيذ تبدت من عقيق مقمعة بمسبوك النظار
وترى لصفاء جوهرها نواها كألسنة العصافير الصغار

وقال آخر:

---

(١) في ب [العرق]. (٢) في ب [ينبع]. (٣) في ب [الليل].

كـأنـمـا الـنـخـلـة مـعـشـوقـة تـزيـنـت[1] آذانـهـا بـالـحـلـي
والـقـنـو مـثـل الـقـرط فـي حـسـنـه تـبـارك الـلـه الـعـظـيـم الـعـلـي[2]

وقال في النخل المجدود:

أنـظـر إلـى الـنـخـل وأعـنـاقـهـا قـد جـردت مـن غـصـنـهـا الـزاهـي
مـثـل عـروس تـم أسـبـوعـهـا فـجـردت مـن حـلـيـهـا الـبـاهـي
مـا زيـنـهـا إلا عـراجـيـنـهـا وكـلـهـا مـن حـكـمـة الـلـه

ومن الألغاز في النخل والنحل:

وما اسمان ذا تصحيف ذا وكلاهما لدى العام منه يجنى[3] طيب الأكل
وبينهما في الخط أدنى تفاوت ولكن افراط التفبوات في الشكل
وكل إذا صحفته وعرفته فمجموعة شطر من الحدق البخل

مسألة يقال من سعادة المرء أن يرى ولد ولده وأن يأكل من غرسه وأن يسمع إنشاد شعره.

وأنشدوا:

لـسـنـا وإن أنـسـابـنـا كـرمـت يـومًـا عـلـى الأنـسـاب نـتـكـل
نـبـنـي كـمـا كـانـت أوائـلـنـا تـبـنـي وتـفـعـل مـثـلـمـا[4] فـعـلـوا

روى الجاحظ في كتاب المدح والذم بإسناد له عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا تدع غرس أرضك، وإن سمعت بخروج الدجال، وعن بعض أهل البيت إعمل للدنيا حتى كأنك لا تموت أبدًا، واعمل للآخرة حتى كأنك لا تعيش غدًا وكأنه ينظر إلى قوله تعالى ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا﴾[5] وإلى قوله عليه السلام «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[6] وعنه عليه السلام «البناء من يوم[7] ابتدائه في نقصان

---

(١) في أ [زينت].
(٢) في ب [العلي العظيم].
(٣) في ب [يجتنى].
(٤) في ب [كما].
(٥) مكان هذه الآية في ب [إن الله لا يضيع أجر المحسنين].
(٦) أخرجه مسلم في الصيد ٣/١٥٤٨ الحديث ٥٧/ ١٩٥٥. وأبو داود في الضحايا ٣/ ١٠٠ الحديث ٥/ ٢٨. والترمذي في الذيات ٤/ ٢٣ الحديث ١٤٠٩. والنسائي في الضحايا ٧/ ١٩٩. والدارمي في الضحايا ٢/ ١١٢ الحديث ١٩٧٠.
(٧) في ب [بعد].

والغرس من يوم ابتدائه في زيادة»[١] وجاء في تفسير قوله تعالى كلوا من طيبات ما كسبتم أن المراد به التجارة وفي قوله ﴿مما أخرجنا لكم من الأرض﴾ أنه الزرع والغرس وكان يقال إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر.

وكان يقال فلاح المعيشة في الفلاحة عسى تجد في العيش راحة[٢] وكان يقال لا ضيقة على من له ضيعة وإنما تصلح بقوة ساعده وجاه مساعد وكان يقال هي المال إلا أن فيها مذلة فمن ذل قاساها ومن مل باعها وعنه عليه الصلاة والسلام «التمسوا الرزق في خبايا الأرض[٣]. قال في المواهب المراد الزرع وأنشدوا:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها   لعلك يومًا أن تجاب فترزقا

وفي كتاب البركة عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال عند قوله تعالى ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا حلاف مهين[٤]، وعنه عليه الصلاة والسلام «من استطاع أن يشتري دابة فليشتريها فإنها تأتيه برزقها وتعينه على رزقه[٥]، وكان يقال الحمار قليل المونة كثير المعونة، وعنه عليه الصلاة والسلام «إن الله يحب المؤمن المحترف»[٦]. «إن الله لا يحب الفارغ الصحيح، لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» وفي كتاب البركة الزرع أفضل الطيبات، وهو من أهم فروض الكفاية، وقال أصول المكاسب الزراعة والصنعة والتجارة والزراعة أطيبها «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرًا يخرج منه حبًا متراكبًا» [قيل كالعنب والبطيخ مما يعرش وغير معروشات] وهو الذي أنشأ جنات معروشات فما قام على ساق كالشجر والنخل «والنخل والزرع مختلفًا أكله» وفي الأرض قطع متجاورات» أي متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض ويختلف بالتفاضل وجنات أي بساتين من أعناب وزروع[٧] ونخيل صنوان وغير صنوان الصنوان

---

(١) لم أجده.

(٢) سقط من أ.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٥٤ برقم ٣٩٦، وقال رواه أبو يعلي والطبراني والبيهقي بسند ضعيف عن عائشة.

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ٣٨٠ الحديث ٨٩٣٤. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٥، وقال فيه عاصم بن عبيدالله وهو ضعيف.

(٧) في ب [زرع].

النخلات مجموعهن[1] أصل واحد وتتشعب فتكون نخلاً، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» وعنه عليه الصلاة والسلام «ما أكل العبد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده[2]» وعنه عليه السلام «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة[3] فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل[4]، الفسيلة[5] الودية الصغيرة قاله الجوهري، وفي كتاب البركة عند قوله تعالى «أو ما ملكتم مفاتحه» وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس أن يأكل من ثمرة حائطة ويشرب من لبن ماشيته، أو صديقكم ولو في غيبته من غير تحمل **لطيفة** حكي في شرح المقامات للشريشي أن كسرى مر على شيخ يغرس الزيتون فقال ليس هذا أوان غرسك الزيتون لأنه شجر بطيء الثمر وأنت شيخ هرم فقال أيها الملك غرس من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا فقال زه أي أحسنت، وكان إذا قالها يعطى من قيلت له أربعة آلاف درهم فدفعت له فقال أيها الملك السعيد فكيف رأيت غرسي فما أسرع ما أثمره فقال زه فزيد أربعة آلاف فقال أيها الملك السعيد كل شجرة تثمر في العام مرة وشجري أثمر في ساعة مرتين فقال زه فزيد مثلها فمضى كسرى وقال انصرفوا فلئن وقفنا لم يكفه ما في خزينتنا.

وما أحسن ما قال:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا	يغنيك مضمونه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا	ليس الفتى من يقول كان أبي

الجمار هو قلب النخلة، وموضع الطلع منها أجوده الأبيض الغض الحلو وهو بارد يابس في الأولى[6]، ينفع من أوجاع الصدر والسعال والحرارة وهزال الكلى خصوصًا بالسكر وينفع من الإسهال والمرة الصفرا ومن لسع الزنبور ضمادًا وينفتح ويولد الرياح لشدة حبه ويصلحه السكنجبين وقال بعضهم يصفه:

---

(١) في ب [يجمعهن].

(٢) أخرجه البخاري في البيوع ٤/ ٣٥٥ الحديث ٢٠٧٢. وأخرجه البيهقي في الكبرى ٦/ ٢٠٩ الحديث ١١٦٩١. والبغوي في شرح السنة ٨/ ٦ الحديث ٢٠٢٦.

(٣) في ب [غيلة].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٢٥ الحديث ١٢٩٠٧. وأورده الهيثمي في المجمع ٤/ ٦٦ وعزاه للبزار وقال رجاله أثبات ثقات.

(٥) في ب [الغيلة].

(٦) في ب [الأول].

جمارة كالماء تحكي لنا ما بين أطمار[1] من الليف
جمار لطيف اللمس لكنه قد لف في ثوب من الصوف

الطلع لقاح النخل، يتكون في ظروف كالمسك تسمى كيزانة فيصير داخله كصغار اللؤلؤ المنضة[2]، فإذا تفتحت عنه خرج كالدقيق الأبيض، دسمًا كرائحة المني، يلقح به إناث النخل فتصح وهو بارد في الأولى أو الثانية[3] يابس في الثانية بطيء الهضم مولد لأوجاع الصدر وبرد المعدة وعسر البول يصلحه الحلوى وأما الناعم منه البالغ فلا نظير له في تهييج ولا كرائحته في تهيج النساء وفي كتاب تحفة الملوك إذا [أخذت مثقالاً من بذر اللفت][4] ومثله من السكر ومضغته وبلعته حصل لك ألفاظ في الوقت ولمْ يزل كذلك إلى أن تشرب الخل وترش منه على القضيب فحينئذ يسكن قال وهو من المجربات [ومن منافع الطلع انه يقوي الأحشاء ويمنع انصباب المواد ومن شعر كشاجم فيه[5]]:

قد أتانا الذي بعثت إلينا وهو شيء من وقتنا معدوم
طلعه غضة أتتنا تحاكي سفطًا فيه لؤلؤ منظوم[6]

[قال بن المعتز]:

أفدي الذي أهدى إلينا طلعه أهدى إلى قلبي المشوق بلابلاً
فكأنما هي زورق من فضة قد أودعته من اللجين سلاسلاً

ولقد أحسن التشبيه من قال:

أما ترى الطلع يحكي لناظري حين أقبل
سلاسل من لجين يضمها تحت صندل

البلح الأخضر. بارد يابس، والحلو منه يميل إلى الحرارة وفيه قبض يصدع وكثير ما يوقع في الناقض قال محمد بن يسار:

جاء بها رامحة كالعبهر المستنشق وقال سهالنا[7] فقلت غير مطوق
مكحلة مخروطة من دهيج مؤنق سدادها من ذهب وميلها من ورق

وقال ابن الرومي في البسر الأصفر!!

---

(١) في ب [اضمار].
(٢) في أ [المنضة].
(٣) سقط من ب.
(٤) في ب [سق إلا من بزر اللفت].
(٥) سقط من ب.
(٦) في ب [مفطوم].
(٧) في ب [شهنا لنا].

بـعـثـت بـبـرنـي جـنـى كـأنـه ... مـخـازن بـتـرقـد مـلـيـن مـن الـشـهـد

مقمعة الأطراف[1] تنقد قمصها[2] ... عن العسل المادي والعبهر الهندي

تـنـقـل مـن خـضـر الـثـيـاب وصـفـرهـا ... إلى حمرها ما بين وشي[3] إلى برد

وكـم لـبـثـت فـي شـاهـق لا تـرى بـه ... ولا تـجـتـنـي بـالـلـحـظ إلا مـن الـبـعـد

وقال:

أمـــا تـــرى الـبـسـر الـذي ... قـــد حـــاز كـــل الـعـجـب

كـيـف عـدى فـي لـونـه ... كـعـاشـق مـكـتـئـب

تـرى[4] كـأنـه مـن فـضـة ... قـد طـلـيـت بـالـذهـب

الرطب:

قال الحكيم داود في تذكرته هو سادس مرتبة من تمر النخل أجوده الأصفر الكثير اللحم الرقيق القشر الصغير النواة الصادق الحلاوة وأرداه الأسود وأعدله الأحمر وهو حار في الثانية يابس في الأولى.

وفي الأزرقي[5] والمحيط حار رطب وكلما اشتدت حلاوته كان أشد حرارة. خواصه يحرق البلغم ويذيبه ويقطع البرد ويسمن باللوز إذا لوزم[6]، ويصلح الهزال العارض في الكلى وبرد الظهر ويحرك الشهوة في البرودين[7] خصوصًا المربى وفي المحيط، يلين الطبع ويزيد في[8] المني مع الخيار والخس وليس للنفساء دواء كالرطب وكان السلف يستحبون اطعامه للنفساء ولأن مريم عليها السلام أكلته في نفاسها وكانت نخلتها العجوة وما أحسن ما قال:

إذا أبـطـأ الـرزق الـذي أنـت طـالـبـه ... فـخـذ سـبـبًا واقـصـد بـه ذلـك الـطـلـب

ألـم تـر أن الـلـه قـال لـمـريـم ... وهـزي إلـيـك الـجـزع تـسـاقـط الـرطـب

ولـو شـاء أحـنـى الـجـزع مـن غـيـر هـزه ... إلـيـهـا ولـكـن الأمـور لـهـا سـبـب[9]

وفي كتاب البركة: إذا ولدت المرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإنه إن لم يكن فتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله تعالى مريم حين ولدت عيسى عليهما السلام

(١) في ب [الاطلاق].
(٢) في ب [قمعها].
(٣) سقط من ب.
(٤) سقط من أ.
(٥) في ب [الأزرق].
(٦) في ب [باللون إذ لازم].
(٧) في ب [المبرودين].
(٨) سقط من ب.
(٩) هذا البيت سقط من ب.

وكان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل من التمر وترًا[١][٢]. ويحكى أن ملوك الفرس كانت في أيام الرطب ترفع عن سماطهم الحلوى وإذا كان أوان الورد يرفعون به سائر المسموم مضاره.

قال في التذكرة: يولد السودا والسدد والفضول الغليظة ويضعف الكبد واللثة ومزاج المحرور وتصلحه الحوامض والخيار وينبغي لمن ولد في غير بلاده التي ينبت بها تقليل أكله ما أمكن وكذا ضعيف الدماغ.

مسألة: أجمع الحكماء على أنه ما من دواء يزيل علة إلا ويحدث أخرى أو يزيد فيها ولذلك قال بعضهم ليس في الدنيا لذة على الحقيقة[٣] ما استكمل المرء من لذاته طرفًا إلا وأدركه النقصان من طرف التمر قال في التذكرة هو في المرتبة السابعة من تمر النخل وهو كالعنب كثير الأنواع أجوده الأبيض العراقي، الرقيق القشر الكثير الشحم الحلو النضيج الذي إذا مضغ كان كالعلك وأكثر ما ينشأ بالبلاد الحارة اليابسة التي[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في العيدين ٢/٥١٧ الحديث ٩٥٣. وأخرجه الترمذي في الصلاة ٢/٤٢٧ الحديث ٥٤٣ وقال حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن ماجه في الصيام ١/٥٥٨ الحديث ١٧٥٤. وأورده البغوي في شرح السنة٤/٣٠٦ الحديث ١١٠٥.

(٢) قال الحافظ: قال المهلب: الحكمة في الأكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكأنه أراد هذه الذريعة، قال الحافظ وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم، استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع، وأشار إلى ذلك ابن أبي جمرة. وقال بعض المالكية لما كان المعتكف لا يتم اعتكافه حتى يغدو إلى المصلى قبل انصرافه إلى بيته خشي ان يعتمد في هذا الجزء من النهار باعتبار استصحاب الصائم ما يعتمد من استصحاب الاعتكاف ففرق بينهما بمشروعية الأكل قبل الغدو. وقيل: لأن الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق إلا بعد صلاة العيد. فاستحب تعجيل الفطر بداراً إلى السلامة من وسوسته. قال الحافظ: والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو منه تقوية البصر الذي يضعفه الصوم، ولأن الحلو مما يوافق الإيمان ويعبر به المنام ويرق به القلب وهو أيسر من غيره، ومن ثم استحب بعض التابعين انه يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل رواه ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما. وروى فيه معنى آخر عن ابن عون انه سئل عن ذلك فقال: إنه يحبس البول. هذا كله في صدر من يقدر على ذلك، وإلا فينبغي أن يفطر ولو على ماء ليحصل له شبه ما من الاتباع رواه ابن أبي جمرة. وأما جعلهن وتراً: فقال المهلب: فللإشارة إلى وحدانية الله تعالى وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يفعله في جميع أموره تبركاً بذلك. انظر فتح الباري (١١/٥١٨ ـ ٥١٩).

(٣) في ب [حقيقة].

(٤) في ب [الذي].

يغلب عليها الرمل كالمدينة المنورة والعراق وأطراف مصر وهو حار في آخر الثانية، يابس في أولها وقيل في الأولى وفي المحيط حار رطب خواصه يقطع السعال المزمن وأوجاع الصدر ويستأصل شاقة البلغم خصوصًا إذا أكل على الريق وينفع من الفالج ووجع المفاصل عن برد ويولد الدم ويصلح أوجاع الظهر ويقوي الكلى المهزولة وبالحليب يقوي الباه وفي الأزرقي يقتل الدود المتولد من العفونة في البطن وفي المحيط يقوي الصداع وإذا حرق نوى التمر وسحق مع الكحل أنبت هدب العين واحد البصر، وسود ومنع الجرب وحسن قال في التذكرة ولا يجوز تعاطي التمر لمن لم يولد في بلاده إلا بقسطاس مستقيم ولا المحرور ولا زمن الصيف ويكره أكله عند النوم ويصلحه السكنجبين والقثا.

وقال بعضهم يصفه: أما ترى التمر يحكي، في الحسن للنظار، فحازنا من عقيق [قد جمعت بنظار][1] كأنما زعفران، فيه مع الشهد جاري[2]، يشق مثل كوس، مملوء من غفار وفي كتاب البركة عنه عليه الصلاة والسلام لا يجوع أهل البيت وعندهم التمر[3]، وقال بيت لا تمر فيه جياع أهله مرتين أو ثلاثًا[4]، وقال إذا فطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور[5] وقال الشاعر!!

فطور التمر سنة	قال رسول الله سنه
من البرني المربى	يحلى المرء[6] سنة

وعنه عليه الصلاة والسلام التمر البرني فيه شفاء من كل داء وقال خير تمركم

---

(١) جاءت هذه العبارة مكان العبارة رقم ٢ في ب وبالعكس.

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة ٣/١٦١٨ الحديث ٥٢(٢٠٤٦). والدارمي في الأطعمة ٢/١٤١ الحديث ٢٠٦١. والبغوي في شرح السنة ١١/٣٢٢ الحديث ٢٨٨٤ .

(٣) في الحديث فضيلة التمر وجواز الادخار للعيال، والحث عليه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه مسلم في الأشربة ٣/١٦١٨ الحديث ١٥٣(٢٠٤٦). وأبو داود في الأطعمة ٣/٣٦١ الحديث ٣٨٣١. والترمذي في الأطعمة ٤/ ٢٦٤، ٢٦٥ الحديث ١٨١٥. والدارمي في الأطعمة ٢/ ١٤١ الحديث ٢٠٦٠. والبغوي في شرح السنة ١١/ ٣٢٢ الحديث ٢٨٨٥.

(٥) أخرجه أبو داود في الصوم ٢/ ٣١٥، ٣١٦ الحديث ٢٣٥٥. والترمذي في الصوم ٣/ ٦٩، ٧٠ الحديث ٦٩٥. وابن ماجه في الصيام ١/ ٥٤٢، الحديث ١٦٩٩. والدارمي في الصيام ٢/ ١٣ الحديث ١٧٠١.

(٦) في ب [للمر].

البرني، يذهب الداء ولا داء فيه[1] وقال من تصبح[2] بسبع تمرات عجوة[3] لم يضره

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٠٤ وقال الذهبي أخرجناه شاهداً والطبراني في الأوسط ٧/ ٢٤٧ الحديث ٧٤٠٦. والهيثمي في المجمع ٥/ ٤٣ وقال فيه سعيد بن سويد وهو ضعيف كلهم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ خير تمراتكم البرني يذهب الداء ولا داء فيه.

(٢) أخرجه البخاري في الطب ١٠/ ٢٤٩ الحديث ٥٧٦٩. ومسلم في الأشربة ٣/ ١٦١٨ الحديث ١٥٥(٢٠٤٧). وأبو داود في الطب ٤/ ٧ الحديث ٣٨٧٦. والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٢٩ الحديث ١٥٧٦.

(٣) قال الخطابي: كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد نخلاً خاصاً بالمدينة لا يعرف الآن. وقال بعض شراح المصابيح نحوه وأن ذلك لخاصية فيه. قال: ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بذهابه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا يبعده وصف السيدة عائشة رضي الله عنها. قال بعض شراح المشارق: أما تخصيص تمر المدينة بذلك فواضح من ألفاظ المتن، وأما تخصيص زمانه بذلك فبعيد، وأما خصوصية السبع فالظاهر انه لسر فيها، وإلا فيستحب أن يكون ذلك وتراً. وقال المازري: هذا مما لا يعقل معناه في طريقة علم الطب. لو صح ان يخرج لمنفعة التمر في السم وجه من جهة الطب لم يقدر على إظهار وجه الاقتصار على هذا العدد الذي هو السبع ولا على الاقتصار على هذا الجنس الذي هو العجوة ولعل ذلك كان لأهل زمانه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو لأكثرهم إذا لم يثبت استمرار وقوع الشفاء في زماننا غالباً وان وجد ذلك في الأكثر حمل على أنه أداء وصف غالب الحال. وقال عياض: تخصيصه ذلك بعجوة التالية وبما بين لا يتي المدينة يرفع هذا الإشكال ويكون خصوصاً لها كما وجد الشفاء لبعض الأدواء في الأدوية التي تكون في بعض تلك البلاد دون ذلك الجنس في غيره، لتأثير يكون في ذلك من الأرض أو الهواء. قال: وأما تخصيص هذا العدد فلجمعه بين الإفراد والإشفاع، لأنه زاد على نصف العشرة، وفيه أشفاع ثلاثة وأوتار أربعة وهي من نمط غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً وقوله تعالى «سبع سنابل» وكما أن السبعين مبالغة في كثرة العشرات والسبعمائة مبالغة في كثرة المئين. انظر فتح الباري (١٠/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). قال الشيخ النووي: وفي الحديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمتها فيجب الإيمان بهم واعتقاد فضلهم والحكمة فيهما، وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها. وهذا هو الصواب في هذا الحديث قال: وأما ما ذكره الإمام أبو عبدالله المازري والقاضي عياض فيه فكلام باطل فلا تلتفت إليه ولا تعرج عليه وقصدت بهذا التنبيه والتحذير من الاغترار به. انظر شرح صحيح مسلم النووي (١٤/ ٣). وقال القرطبي: ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السم وإبطال السحر، والمطلق فيها محمول على المقيد وهو من باب الخواص التي لا تدرك بقياس طين. ومن أئمتنا من تكلف لذلك فقال: ان السموم إنما تقتل لإفراط برودتها فإذا دام على التصبح بالعجوة تحكمت فيه الحرارة، وأعانتها الحرارة الغريزية فقاوم ذلك برودة السم ما لم يستحكم قال: وهذا يلزم منه رفع خصوصية عجوة المدينة بل خصوصية العجوة مطلقاً بل خصوصية التمر فإنه من =

ذلك اليوم سم ولا سحر وفي الصحيحين «إن في عجوة العالية شفاء، وانها ترياق أول البكرة[1] قال في المحيط العجوة تمر كريم ـ صلب ملزز، متين القوة ينفع من السموم الباردة وينفع من لسعة العقرب.

قال الأزهري: والصيحاني منها وعنه عليه الصلاة والسلام «كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يجري إذا رأى ابن آدم يأكله[2]، يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق فائدة قال الشيخ أبو محمد الجوني في كتابه الفرق والجمع وفي أبواب الزكاة [كنت[3]] بالمدينة فدخل علي بعض أصحابي فقال كنا عند الأمير فتذاكروا أنواع التمر بالمدينة فبلغت أنواع الأسود ستين ثم قالوا وأنواع الأحمر فبلغت هذا المبلغ وفي زهر الرياض بلغت أنواع التمر بالمدينة مائة وبضعًا وثلاثين[4]، منها الصيحاني وهو نخل يعرف إلى الآن بهذا الاسم وهو بيد أولاد صفوي بن سليمان الطفيلي الحسيني قلت هو من أم عشر، مجرى السيل بالحرة الغربية بعضه لبني السفر وبعضه لبعض بني حسين وأخرج ابن المؤيد الحموي عن جابر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد

= الأدوية الحارة ما هو أولى بذلك من التمر، والأولى أن ذلك خاص بعجوة المدينة، ثم هل هو خاص بزمان نطقه أو في كل زمان أهذا محتمل ويرفع هذا الاحتمال التجربة المتكررة نحن جرب ذلك فصح منه عرف أنه مستمر وإلا فهو مخصوص بذلك الزمان. قال: وأما خصوصية هذا العدد فقد جاء في مواطن كثيرة من الطب كحديث «صبوا علي من سبع قرب» وقوله للمفؤد الذي وجهه للحارث بن كلدة أن يلده بسبع تمرات، وجاء تعويذه سبع مرات إلى غير ذلك. وأما في غير الطب فكثير فما جاء من هذا العدد في معرض التداوي فذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله أو من أطلعه على ذلك وما جاء منه في غير معرض التداوي فإن العرب تضع هذا العدد موضع الكثرة وإن لم ترد عدداً بعينه. وقال ابن القيم: عجوة المدينة من أنفع تمر الحجاز وهو صنف كريم ملززمتين الجسم والقوة وهو من ألين التمر وألذه قال: والتمر في الأصل من أكثر الثمار تغذية لما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الديدان لما فيه من القوة الترياقية فإذا أديم أكله على الريق خفف مادة الدود وأضعفه أو قتله جبراً. قال الحافظ: وفي كلامه إشارة إلى أن المراد نوع خاص من السم وهو ما ينشأ عن الديدان التي في البطن لا كل السموم لكن سياق الخبر يقتضي التعميم لأنه نكرة في سياق النفي وعلى تقديم التسليم في السم فماذا يصنع في السحر. انظر فتح الباري (١٠/ ٢٥١).

(١) مسلم في الأشربة (٣/ ١٦١٩) ـ الحديث (١٥٦/ ٢٠٤) والإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٧١) ـ الحديث (٢٤٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الأطعمه ٢/ ١١٠٥ الحديث ٣٣٣٠. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٢١ قال الذهبي حديث منكر، ولم يصححه المؤلف.

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [ثمانين].

سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ثم مررنا بنخل فصاح هذا محمد رسول الله وهذا علي سيف الله فقال النبي صلى الله تعالى وسلم عليه يا علي سمه الصيحاني[١] فذلك هو السبب فيه قال ابن حجر في حاشيته الايضاح لكن رد بأنه موضوع، وحكى القصة السيد علي في الوفا ولم ينكرها والله تعالى أعلم. قلت ورأيت مؤلفًا في أنواع التمر مرتبًا على حروف المعجم زاحمت الأنواع فيه المائتين، قال في زهر الرياض وصاحب الدرادري ذكر[٢] محاسن في محاسن التمر اثني عشر سيدها البرني وغرس أهل المدينة له أكثر وعنايتهم به أتم وإذا غرس في غير المدينة لا تحسن حسنه فيها وثمره أعلى من غيره بل ولا يذكر في سلمهم غالبًا غيره، يحمل إلى الأقطار تبركًا به ومده في الرخاء بثمانية كبار وفي الفلا بعشرين فأكثر وهو مع ذلك واحد[٣] الودى قليل القيمة وهو أزهر الزهر أحمر الرطب طوال شبيه بأصابع العذارى يلذ أكله زهوًا ورطبًا وتمرًا والبردى أعلى قيمة من البرني لقلة وديه لعل جميع ما في المدينة لا يصل إلى خمسين نخلة وهو أصفر الزهر أحمر إلى الكدرة مكبكب مسلوب من أسفله يحمل إلى الروم وغيرها في الرباب والمراطبين، يقاربه الشقري والجعفري والظيرجلي، والغريس متقاربة في الشكل والسكر والبيض والعذق كذلك والبربر، والجادي متقاربان والحلي، أحمر البسر[٤] زتوني لون الرطب وقال بعضهم أحسن أنواع الرطب وأطيبه الحلو ثم الطبرجلي، ثم الغريس ثم السكر ثم البرني ثم الحلي ـ وأنشد عليه ـ

في العوالي من أرض طيبة حقًا ... رطب فاق من سواد فذرني

هو حلو وسكر وغريس ... وحلي طبرجلي وبرني

وأشرف أنواع التمر البرني والسلبي والبردي والخضري والجعفري والجادي واللبانة وهي القسب وقال:

خير ثمر في أرض طيبة يبدر ... من نخيل أسنى المحاسن تبدى

شلبي وجعفري وقسب ... ثم جادي من بعد برني وبردى

قال في المحيط ومن النبات الذي يشبه النخل المقل[٥] وهو الدوم وهو نخل بري علا عليه اليبس والعنصر الشديد فقصر سعفه وصار الغالب على ثمرته الخشبية وعلى نواه الحجرية وشجر النارجيل وهو الجوز الهندي وزعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هي شجرة المقل لكنها أثمرت نارجيلاً لطباع النوبة وأجوده الطري الأبيض وهو حار

(١) لم أجده.
(٢) سقط من أ.
(٣) في ب [وأخذ].
(٤) في ب [البر].
(٥) سقط من ب.

يابس يغذى غذاءً كثيرًا ويزيد في الباه وينفع من تقطير البول ودهنه جيد للبواسير ولبنه لذيذ كثير الحلاوة ويجعل من قشره حبال للسفن فلا يعفن.

قال كشاجم:

وذات قشر أسود حشوها ... كافورة مرموقة المنظر
قد نشرت في رأسها وفرة ... تسترها عن ناظر المبصر
كأنها جمجمة ألبست ... دوائيًا من خالص العنبر

وشجرة الفوقل فإنها تشبه النخل وشجرة الكادي مثلها.

فائدة الكادي بالدال المهملة على ما يستفاد من كلام السيوطي قال[1] في كتابه بغية الوعاة في ترجمة البدر الدماميني وله ملغزًا في كاوي!

وما شيء له نشر ذكي ... لعاطره إلى الطيب انتساب
تروح له على رجليك تمشي ... وتقلبه يداك فما الجواب

أنشدتها قال:

وقد نظمت جوانبها يديها ... بثغر الاسكندرية في رحلتي إليها فقلت
وقد سمعت بهذا اللغز أدنى ... لم يأتِ من تفضله الجواب
فذا طيب إذا صحفت منه ... أخيديه له في الخبث باب

والمراد منه أخيديه الدال المهملة، تصحف بالمعجمة والياء المثناة من تحت تصحف بالباء الموحدة فيكون منه كاذب ولا شك أن له في الخبث باب (ب) كما قيل:

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقـ ... ـول فحيلتي فيه قليله

وفي القاموس كذا كناية عن الشيء، الكاف حرف التشبيه وذا للإشارة والكاذي دهن، ونبت طيب الرائحة وفي التذكرة كادي كالنخل في ذاته وصفاته لكن لا يطول يحسن بالميزان وهو حار يابس في الثانية إذا وضع طلعه قيل أن يشق في دهن سر النفس وقوى الحواس وفرح وشد البدن ومنع الاعياء والخفقان وشربه يقطع الجذام انتهى، وهو يوجد بالمدينة إلا أن سلطنته بأم القرى.

وعنه[2] في الصحاح وفلان صديقي وإنما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن

---

(١) سقط من ب.

(٢) في ب [تتمة].

المنذر أنا جديلها المحكك وعذيقها المرجب انتهى عذيق تصغير عذق وهي النخلة الكريمة على أهلها وبئر عذق حديقة بجزع قبالاً لشدقم وفيها بئر عليها قبة محكمة جددت عمارتها سنة ست وأربعين وألف وهي من آبار العين الواصلة إلى المدينة المنورة والرجبه البناء حول النخلة تحفظها[1] إذا مالت أو المسوكة لحفظ ثمرتها والجذل واحد الأجذال وهي أصول الحطب العظام والجدل المحكك الذي ينصب في العطن لتحتك به الإبل الجربي كذا في الصحاح والله تعالى أعلم بالصواب[2].

---

(١) في ب [لحفظها].

(٢) سقط من أ.

باب في ذكر أحد ومساجده ومشهده الشريف ومعاهده

مـواطـن أفـراحـي ومـربـى مـا أربـي　　وأطـورًا[1] وطـاري ومـا مـن خـيـفـتـي
وثـم وراء الـقـول سـر كـتـمـتـه　　فلو قيل صرح قلت يا نفس اصمت

روى من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال[2] أحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلوا من شجرة ولو من عضاهة[3] يعني مرة[4].

قال ابن الهمام: ومزور جبل أحد نفسه لقوله عليه الصلاة والسلام أحد جبل يحبنا ونحبه ويروى أحد على ترعة من ترع الجنة[5] ويروى أحد على ركن من أركان الجنة، وعير على ركن من أركان النار وعن أنس مرفوعًا لما تجلى الله تعالى للجبل تشظى وطارت منه لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة وقع بمكة حراء وتيسير ونور ووقع بالمدينة وورقان ورضوى.

وفي الدرة اليتيمة: مكان رضوى وعير. وعن بعضهم: إني لا أستبعد أن يكون بالمدينة جبل من جبال النار بعد أن بدأها الله من الشرك وعير في مقابلة أحد وبينهما المدينة عند شعب علي كرم الله وجهه وسمي أحدًا لتوحده وانقطاعه عن غيره من الجبال ولما وقع لأهله من نصرة التوحيد ولا مانع من وضع الحب فيه كما وقع التسبيح من الجبال وقد خاطبه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه مخاطبة من يعقل وقال له لما

---

(١) في ب [وأوطان].

(٢) سقط من أ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/ ١٥١ الحديث ٥٨/٣. وفي الأوسط ٦/ ٣١٥ الحديث ٦٥٠٥. وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ١٦ رواه البزار وفيه عبد المجيد بن أبي عبس لينة أبو حاتم وفيه من لم أعرفه.

(٤) سقط من أ.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ١٥٨ الحديث ٨٢٦٣ قال لم يروِ هذا الحديث عن عطاء إلا طلحة بن عمرو. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ١١٩ وعزاه للطبراني.

اضطرب اسكن أحد[١] وبقمته سقيفة وعندها صهريج يصعد إليه بعض الزوار بجهد جهيد.

وأنشد أبو عبد الله الفيومي لنفسه في ذلك:

هـام بـأشـجـانـه إلـى أحـد حـتـى إذا مـا رأى بـه عـجـزه
صـار إذا قـيـل هـل تـعـود لـه يـقـول وبـيـنـي وبـيـنـه حـمـزه

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه صعد أحدًا فأقبل على المدينة وقال ويل أمها[٢] قرية تدعها أهلها كأينع ما تكون[٣] وفي أحد غار زعموا أن النبي صلى الله تعالى وسلم عليه اختفى فيه[٤] وعن جابر مرفوعًا أقبل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حاجين فمرا بالمدينة فخافا من يهود وكان بها[٥] فخرجا مستخفيين فنزلا أحدًا فغشى هارون الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال يا أخي إنك تموت فقام هارون فدخل في لحده فقبض عليه فحثا عليه موسى بالتراب ويعرف قبره بشعب هارون[٦].

ومـا الـمـرء إلا راكـب ظـهـر عـمـره عـلـى سفـر يـغـنـيه بـالـيـوم والـشـهـر
يـبـيـت ويـمـسـي كـل يـوم ولـيـلـة بـعـيـدًا عـن الـدنـيـا قـريـبًا مـن الـقـبـر

والشهداء بأحد سبعون رجلاً وكان عليه الصلاة والسلام يقول إذا زارهم سلام عليك بما صبرتم فنعمى عقبى الدار[٧] وأما الوقوف على أحوالهم وسماع كلامهم وهو بحسب الاستعداد وكثير من سمع رد سلامهم وأما المشهد الشريف فيروى أن أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء هي التي بنته[٨] في سنة سبعين وخمسمائة وجعلت عليه قبة متقنة وبابه كله مصفح بالحديد والقبر مجصص وعليه تابوت عليه ثوب من الحرير من خليع كسوة الضريح النبوي ثم زاد فيه الأشرف قايتباي زيادة أدخل فيها البئر[٩] من الجانب الغربي وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة واحتفر خارج البناء بئرًا بدرج تصل إلى[١٠] الماء وذلك على يد شيخ الخدام بالحرم

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٧/ ٦٦ الحديث ٩٩. والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٨ الحديث (١٢١١٣).

(٢) في ب [لها].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠. وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٦٢ وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجالا لصحيح غير رجاء بن أبي رجاء، وقد وثقه ابن حبان.

(٤) لم أجده.

(٥) زائدة في ب.

(٦) لم أجده.

(٧) لم أجده.

(٨) في ب [جنته].

(٩) في ب [القبر].

(١٠) سقط من ب.

النبوي شاهين الشجاعي وقد أشرفت على الدمار لهجرها وكانت فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها تزور قبر حمزة رضي الله عنه وترمه وتصلحه وقد علّمته بحجر. وليحيى: أنها كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلي هناك وتدعوا وتبكي حتى ماتت.

مسألة: قال في الجوهر المنظم: زيارة مشهد السيد حمزة عم الرسول في يوم الخميس لأن الموتى يزيد عليهم بزوارهم يوم الجمعة ويومًا قبله ويومًا بعده ولما كان يوم السبت لزيارة مسجد قباء ويوم الجمعة يوم التبكير تعين لزيارة المشهد يوم الخميس وينبغي أن يسلم على علي ابن أخيه عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير لأنهما عل قول هنالك.

فائدة: قال الزركشي: ينبغي أن يتثنى من منع نقل تراب الحرم تربة السيد حمزة المأخوذ من السيل[1] الذي به مصرعه لاطباق السلف والخلف على نقله للتداوي من الصداع كذا في الجوهر المنظم وهذا مبني على أن المدينة حرم كما هو مذهبه وحمزة رضي الله عنه أحد أعمام سيد المرسلين واخوه من الرضاعة وأسن منه بسنتين قيل وأفضلهم لحديث سيد الشهداء يوم القيامة حمزة وفي رواية سيد الشهداء عند الله يوم القيامة[2] حمزة بن عبد المطلب والحديث «خير أعمامي حمزة»[3] وعن السدي في قوله تعالى ﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه﴾ [القصص: ٦١] انها نزلت في حمزة وجاء أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع أسد الله وأسد رسوله وقد اختلف في عدة أعمام النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فقيل عشرة وقيل تسعة عشر وأما عماته فست ويكنى حمزة بأبي يعلى وبأبي عمارة وهما أبناءه وأولاده خمس ولم يعقب إلا من يعلى فإنه ولد له خمسة رجال لكنهم لم يعقبوا وانقطع نسل حمزة وكانت وفاته سنة ثلاث أو أربع وله سبع وخمسون ولما شهد النبي صلى الله تعالى وسلم عليه حمزة اشتد وجده عليه وقال لئن ظفرت لأمثلن بسبعين منهم فأنزل الله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النمل: ١٢٦] فقال صلى الله تعالى وسلم عليه بل نصبر وكفر عن يمينه[4] وعنه عليه الصلاة والسلام

---

(١) في ب [المسيل].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٢٠ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٧١ وقال فيه ضعف. وأخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ٢٣٨ الحديث ٤٠٧٩.

(٣) لم أجده.

(٤) أورده الهيثمي في المجمع ٦/ ١٢٢ وعزاه للبزار والطبراني وقال فيه صالح بن بشير المزني ضعيف.

لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع[1] وصفية شقيقته وهي أم الزبير بن العوام، ولما عاد إلى المدينة سمع النوح على قتلى الأنصار قال لكن حمزة لا بواكي له فسمع الأنصار فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ففعلن ذلك قال الواقدي فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة حتى الآن.

وقال كعب بن مالك يرثيه:

بكت عيني وحق لها بكاها	وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداةَ قالوا	لحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعًا	هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت	وأنت الماجد البر[2] الوصول
عليك سلام ربك في جنان	يخالطها نعيم لا يزول

وأما المساجد الذي هنالك فمنها مسجد الفسيح وهو لاصق بأحد على يمين الذاهبي في الشعب[3] للمهراس نزلت فيه آية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا﴾ ومسجد جبل الرماة[4]، طعن فيه حمزة رضي الله عنه وهو في شرقي الجبل ومسجد الوادي على شفير الجبل قريب من الذي قبله ويسمى المصرع لأن حمزة رضي الله عنه صرع به وصلى به صلى الله تعالى وسلم عليه الصبح أو على حمزة رضي الله تعالى عنه[5] ومسجد السافلة في شرقي الطريق إلى مسجد السيد حمزة بين النخيل طوله ثمانية أذرع ويقال انه مسجد أبي ذر الغفاري صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه[6] ويعرف هذا الوادي بالشظاه[7] بفتح الشين المعجمة وفي الوفا الشظاه اسم لوادي قباء أو لما يلي السد من الوادي وسيل وادي قناة يأتي من وج الطائف ومصبه بحر القلزم من ناحية[8] اكرا وبالجملة فإن هذا الوادي من أطيب الأودية وأعذبها وفيه يحصل لمن حله كمال المسرة وصفاء الخاطر وسيلة من أعظم السيول وأصفاها وإذا انقطع بقيت منه غدران من أحسنه الغدير الكبير وهو شمالي المصرع ربما أقام فيه الماء الغزير نحو الشهرين صافيًا مفرحًا وإذا صادف أيام الزيارة كان السرور أتم والانتفاع أعم وما أحسن ما قال:

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع ٦/ ١٢١ وعزاه للبزار والطبراني وقال فيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف.
(٢) في ب [البر الماجد].
(٣) سقط من أ.
(٤) زائدة في ب.
(٥) لم أجده.
(٦) لم أجده.
(٧) في ب [بالشطة].
(٨) في أ [نايحة].

لله يوم في الشطا قضيته	خلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير يقرأ والغدير صحيفة	والريح تكتب والسحاب ينقط

وقال آخر:

غدير كالحسام له صقال	ولكن فيه للرائي[1] مسرة
رأيت به البدور تجيد عومًا	كأنهم الكواكب في المجرة

وقال آخر:

يا حبذا زمن الشطآء وحيداً	بغضائه عيش لنا ملذوذ
ولسيد الشهداء حمزة مشهد	حكم السرور به له تنفيذ

ومن محاسن هذا الوادي، الصهريج الذي ابتناه[2] الوزير سنان باشا ومساحته ثمانية عشر ذراعًا، في عشرين بذراع الكرباس وهو يمتلىء من السيل إذا كان قويًا وإلا فمن شرائع[3] الجبل فيحصل به مدد كبير للزوار والبادية[4] وعلى ظهر الصهريج سقف من عقود وطواحن بحيث يحصل به كمال المنفعة للزائرين والواردين.

لله آثار بطيبة إن بدت	لاح السرور وفاح نشر عاطر
ما زرتها إلا وزالت كربتي	وهما على جذبي سحاب ماطر

---

(١) في ب [المرائي].
(٢) في أ [ابناه].
(٣) في ب [سرائع].
(٤) سقط من ب.

باب من ذكر الصدقة والسوافل

وآبار العريض الكثير النوافل

منازل طيبة فيها لقلبي — منارة لم تزل فيها الأوانس
فمن لي أن أكون بها مقيمًا — عيوبي تجتلي فيها العرائس

الصدقة حدائق، ونخيل خارج المدينة في الجهة الشمالية منها أملاك ومنها أوقاف وهو جزع متسع الأرجاء والرحاب.

جزع فسيح الرحاب منتزه — يروق بالأنس والبها الحدقة
لا تنكروا رغبتي إليه فقد — أمسيت أهوى محاسن الصدقة

والجزع الذي يتصل بمسجد الإجابة يقال له ملحة[1].

وعليه أنشد لنفسه السراج عمر الأشهر الأنصاري:

يا محنة إلا وفي طيها — لكل عبد مؤمن منحة
الحمد لله وشكرًا له — المنبت السكر في ملحه

والجزع الذي يلي الصدقة من جانب الشمال والمغرب بين قناة والجرف يقال يثرب بالثاء المثلثة وكسر الراء واطلاقه على المدينة المنورة من قبيل إطلاق الجزء على الكل.

وقال آخر:

وهذا رسول الله فارق مكة — على حفوة لم ترضها فيه يثرب

وليس هذا المذكور في قوله:

وعدت وكان الخلف منك سجية — مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

---

(١) في ب [مليحة].

لأن المجد قال اجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء وهي مدينة بحضرموت وقيل قرية باليمامة وقيل غير ذلك وأنشدوا:

يا ابن الكرام اعد في الدهر فكر فتى	له بشطر به تحويل وتقليب
لا تعتبن على عرقوب واحدة	وكل من فوقها في الوعد عرقوب

وحكى ابن حجر في الجوهر حديث أريت[1] دار هجرتكم بسبخة بين ظهراني حرتين اما أن تكون هجرًا ويثرب وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قال هي يثرب[2].

قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، ومدينة النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في ناحية منها. وقال ابن زبالة: كانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف وبين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة.

فائدة: قيل: إن تبعًا لما قدم المدينة بعث رائده ينظر إلى مراعي المدينة فأتاه فقال: أما قناة فحب ولا تبن وأما الجرار فلا حب ولا تبن وأما الجرف فالحب والتبن والمختار اليوم للزرع عند أهل المدينة أرض العريض.

قصة: قيل: إن العماليق سكنت مكة والمدينة وكانت الحجاز أشجر بلاد الله وأطهر ماء ثم إنها عثت فبعث [الله][3] موسى عليه السلام إليهم [بعث موسى][4] جندًا من بني إسرائيل فقتلوهم بالحجاز ويروى ان ضبعًا رؤيت مع أولادها رابضة في عجاج عين رجل من العماليق وفي تاريخ المقريزي يحكى أن سبعة عشر رجلاً استظلت في قحف رجل من بني إسرائيل وكان يمضي في ذلك الزمان أربعمائة سنة ولم يسمع بجنازة كذا في الدرة اليتيمة[5] وأما مسجد الإجابة فهو لبني معاوية في شمالي البقيع على يسار السالك إلى العريض وسط تلول وفي مسلم انه صلى الله تعالى وسلم عليه ركع فيه ركعتين وصلينا معه فدعى ربه طويلاً ثم انصرف[6] إلينا فقال سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة* فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي

---

(١) في ب [أرأيت].
(٢) لم أجده.
(٣) سقط من أ.
(٤) سقط من أ.
(٥) في ب [الثمينة].
(٦) في ب [التفت].
* أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل ان وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام فلله الحق والشكر على جميع نعمه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ١٤).

بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها[1] انتهى وقد علمت أنهم مخاطبون في حال هبوطهم بقوله تعالى ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦] [وفي بعض الأخبار لا سلامة من الناس ولا غنى عنهم ولا شفاعة من الموت][2] وأما العريض بضم أوله وكسر ثانيه مصغر العرض بالكسر فهي قرية على أربعة أميال من المدينة كذا في العقد النبوي وهي في الجهة الشرقية وتشتمل على آبار ومزارع شتى [وكان بها نخل ولم يبق اليوم منه شيء][3] من أحسنها البحيرة الكبرى وبحيرة ابن سعد وذات الحصن وفي شرقيه بئر مطوية قطرها ذراعان والهندية وهي معدود لزرع الحنطة والشعير فإذا كانت أيام الخريف فهي الزمردة الخضراء لاتصال مزارعها وحولها آبار قديمة لم يبق منها إلا الرسوم ومزارع صارت منابت الحمص لهجرها ولكمال الضعف في أهلها[4] وهناك أطام قديمة زعم بعضهم انها تشتمل على كنوز ومطالب وما أغرب ما يحكى في هذا الباب أن رجل من القبط جاء إلى عبد العزيز بن مروان عامل مصر فقال إن في مكان كذا كنزًا ومصداق ذلك أن توجد بلاطة من مرمر خلفها باب من نحاس خلفه عمود من ذهب فوقه ديك من ذهب له عينان من الياقوت الأحمر وجناحان من المرجان والزمرد فلما سمع ذلك منه عبد العزيز بعث معه ألف رجل فلما حفروا وظهر لهم الديك ظهرت قناطر معقودة ولاحت منها تماثيل وأشخاص من ذهب فأخبر بذلك فحضر ونزل بعض الرجال فلما وضع قدمه داخل الباب نزل عليه سيفان تركاه قطعًا وصفر ذلك الديك فسمعت أصوات بحفرة[5] مزعجة فهلك بالرجفة ممن حضر ثلاثة آلاف فطموهم بالرمال في تلك الحفرة فكانت قبرًا لهم ورجع من بقي مقطوع الرجاء وقال لسان الحال:

هي الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغركم مني ابتسام	فقولي مضحك والفعل مبكي

(١) أخرجه مسلم في الفتن ٤/٢٢١٦ الحديث ٢٠(٢٨٩٠). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٣٠ الحديث ١٥٧٩. وأخرجه الطبراني في الكبير ١/١٠٧ الحديث ١٧٩.

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) زائدة من أ.

(٥) سقط من ب.

باب في ذكر بقيع الفرقد ومعاهده، ومزاراته ومشاهده

تعجبت من أمر البقيع وقد غدا — على وحشة الموتى له مهجتي تصبو
فألفيته مأوى الأحبة كلهم — ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

بقيع الفرقد بالغين المعجمة كبار العوسج كان نابتًا به فقطع واتخذ مقبرة ومن كلام عمر بن النعمان يرثي من قتل من قومه الذين اغلقوا عليهم حديقة واقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد.

خلت الديار فسدت غير مسود[1] — ومن العناء تفردي بالسؤدد
أين الذين عهدتهم في غبطة — بين العقيق إلى بقيعه الفرقد
قوم هم سفكوا دماء سراتهم — بعض لبعض فعل من لم يرشد

فائدة: اشتهر على ألسنة كثيرين فتح سين السؤدد وليس إلا الضم مع فتح الدال أو ضمها مع الهمز وعدمه والبقيع بالياء الموحدة كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من دفن في مقبرتنا هذه شفعنا له أو شهدنا له[2] وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها[3] وقال من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة[4] وعنه عليه الصلاة والسلام، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم[5] وعن الحسن أتى النبي صلى الله تعالى وسلم عليه

---

(١) في ب [سود].

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب ٥/ ٧١٩ الحديث ٣٩١٧. قال: هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السختياني. وأخرجه ابن حبان في موارد الظمآن ص ٢٢٥ الحديث ١٠٣١.

(٤) أخرجه الدارقطني في السنن ٢/ ٢٧٨ الحديث ١٩٣. وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ٣٦٨ برقم ٦١٩.

(٥) وأخرجه ابن ماجه في الجنائز ١/ ٤٩٣ الحديث ١٥٤٦ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٢٤ الحديث. ٢٤٨٥٥.

على بقيع الفرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور ثلاثًا لو تعلمون ما الذي نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم التفت فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله إنما هم اخواننا آمنا كما آمنوا وأنفقنا كما أنفقوا وجاهدنا كما جاهدوا وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر فقال إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئًا وقد أكلتم من أجوركم ولا أدري كيف تصنعون بعدي[1] وعنه عليه الصلاة والسلام أنه خرج إلى المقبرة فقال وددت أني قد رأيت اخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وانا فرطهم على الحوض قالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك قال أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة من خيل دهم، بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى قال إنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض رجال عن حوض كما يزاد والبعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا* فأقول فسحقًا فسحقًا فسحقًا[2].

وعنه عليه الصلاة والسلام «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب كان وجوههم القمر ليلة البدر فقام رجل فقال يا رسول الله وأنا منهم فقال وأنت

---

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة ٢١٨/١ الحديث ٣٩ (٢٤٩). والنسائي في الطهارة ٧٩/١. وابن ماجه في الزهد ١٤٣٩/٢ الحديث ٤٣٠٦.

* قال الشيخ النووي: هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسيما التي عليهم. فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك. أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم. الثاني: أن المراد من كابد في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ارتد بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه صلى الله عليه وآل وسلم في حيات من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك. والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يزادون بالنار بل يجوز أن يزادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب. قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون، كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ولكن عرفهم بالسيما. وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور طمس الحق والمعلنون بالكبائر قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا مما عنوا بهذا الخبر. ظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٦/٣ ـ ١٣٧).

منهم فقام آخر فقال يا رسول الله وأنا منهم فقال سبقك بها عكاشة[1][2].

قيل وكأنه كان منافقًا فلم يقل وأنت وفيه أدب كبير.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ١١/ ٤١٣ الحديث ٦٥٤٢. ومسلم في الإيمان ١/ ١٩٧ الحديث ٣٦٧ (٢١٦). والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٥ الحديث ٨٠٣٦. والدارمي في الرقاق ٢/ ٤٢٢ و٤٢٣ الحديث ٢٨٠٧.

(٢) قد اختلفت أجوبة العلماء في الحكمة في قوله: [سبقك بها عكاشة]: فأخرج ابن الجوزي. في [كشف المشكل] من طريق أبن عمر الزاهد انه سأل أبا العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب عن ذلك فقال: كان منافقًا، وكذا نقله الدارقطني عن القاضي أبي العباس البرتي بكسر الموحدة وسكون الراء بعدها مثناة فقال: كان الثاني منافقاً وكان صلى الله عليه وآله وسلم فلا يسأل في شيء، إلا أعطاه فأجابه بذلك ونقل ابن عبد البر عن بعض أهل العلم نحو قول ثعلب وقال ابن ناصر: قول ثعلب أولى من رواية مجاهد لأن سندها واهٍ واستبعد السهيلي قول ثعلب بما وقع في مسند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة. . . فقام رجل من خيار المهاجريين، وسنده ضعيف جداً مع كونه مخالفاً لرواية الصحيح أنه من الأنصار. وقال ابن بصال: معنى قوله [سبقك]، أي إلى إحراز هذه الصفات وهي التوكل وعدم التطير وما ذكر معه وعمل عن قوله [لست منهم أو لست على أخلاقهم تلطفاً بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم وحسن أدبه معهم. وقال ابن الجوزي: يظهر لي أن الأول سأل عن سبق علمه فأجيب. وأما الثاني: فيحتمل أن يكون أريد به جسم المادة، فلو قال للثاني نعم لأوشك أن يقوم ثالث ورابع إلى ما لا نهاية له وليس كل الناس يصلح لذلك. قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من تلك الأحوال ما كان عند عكاشة. فلذلك لم يجب إذا لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضراً فيتسلسل فسد الباب بقوله ذلك، وهذا أولى من قول من قال كان منافقاً لوجهين: أحدهما: ان الأصل في الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح. والثاني: أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال إلا عن قصد صحيح ويقين بتصديق الرسول وكيف يصدر ذلك من منافق. قال الحافظ ابن حجر: وإلى هنا جنح ابن تيمية. وصحح النووي: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - علم بالوصي انه يجاب في عكاشة ولم يقع ذلك في حق الآخر. وقال السهيلي: الذي عندي في هذا أنها كانت ساعة أجابه عليها - صلى الله عليه وآله وسلم - واتفق أن الرجل قال بعدما انقضت بينه ما وقع في حديث أبي سعيد «ثم جلسوا ساعة يتحدثون» في رواية ابن إسحاق بعد قوله سبقك بها عكاشة وبررت الدعوة» أي انقضى وقتها. قال الحافظ ابن حجر: قلت: فتحصل لنا من كلام هؤلاء الأئمة على خمسة أجوبة، والعلم عند الله تعالى. قال الحافظ: ثم وجدت لقول ثعلب ومن وافقه مستنداً وهو ما أخرجه الطبراني ومحمد بن سنجر في مسنده وعمر بن شبة في أخبار المدينة من طريق نافع مولى جفنه عن أم قيس بنت محصن وهي أخت عكاشة إنما خرجت مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى البقيع فقال: يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً بغير حساب كأن وجوههم القمر ليلة البدر، فقام رجل فقال: يا رسول الله وأنا؟ قال: وأنت. فقام آخر فقال: أنا؟ قال: سبقك بها عكاشة.. قال: قلت لها: لِمَ لَمْ يقل للآخر؟ فقالت: أراه كان منافقاً» كان هذا أصل ما جزم به من قال كان منافقاً فلا يدفع تأويل غيره إذ ليس فيه إلا الظن. انظر فتح الباري (١١/ ٤٢٠ - ٤٢١).

إذا أمسيت في قاع البقيع مجاور رحمة الباري السميع

فهنوني بما لقيت إني أراني في حمى حرز منيع

وقال آخر:

إذا أمسى فراشي من ترابي وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنوني أحبابي[1] وقولوا لك البشرى قدمت على الكريم

أنشد لنفسه الشيخ جمال الدين العصامي:

يا أهل دار المصلى[2] والبقيع سقت ربوعكم سحب منهله الديم

لو أن روحي في كفي لزرتكم سعيًا على الرأس لا سعيًا على القدم

فائدة: قال الملا علي القاري في شرح لباب المناسك المعلى بفتح الميم واللام ضد المسفلة واشتهر بين العامة بضم الميم وتشديد اللام المفتوحة وله وجه في القواعد العربية وهي أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة انتهى وعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه من جوف الليل فقال إني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة أشر من الأولى ثم أقبل علي فقال يا أبا مويهبة إني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح خزائن الدنيا فقال لا والله لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدا به وجعه الذي قبض فيه[3] موعظة في كتاب مباهج التوسل كان عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للأنس ومثلها للجن ومثلها للطير ومثلها للوحش وكان حرسه ستمائة ألف وكان ينام بين الفقراء في خلقان مرقعة ولقد قال رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب[4] ففعل له ذلك ثم اضمحل حتى كأن لم يكن قال بعضهم:

---

(١) في ب [أصحابي].

(٢) في ب [المصلي].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٥٩٣) ـ الحديث (١٦٠٠٣). والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٦) وأورده الهيثمي من مجمع الزوائد (٣/ ٦٢) وقال: رواه أحمد والبزار وكلاهما ضعيف.

(٤) زائدة في ب.

إذا لم تملك الدنيا جميعًا ... كما تختار فاتركها جميعًا

مر داود عليه السلام بمفازة، فرأى فيها حجرًا على رأس قبر، مكتوب فيه عشت ألف سنة وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وأفضضت ألف بكر ثم صرت إلى ما ترى من سكان الثرى:

فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن ... بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

وقال آخر:

الموت بحر يهاب المرء[1] مورده ... وكل يوم له من كأسه جرع
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ... ولا يقدم يومًا موته الوجع
وكل يوم علينا في فجائعة ... طير تحوم فلا ندري بمن تقع

وقال:

إن الحبيب من الأحباب مختلس ... لا يمنع الموت بواب[2] ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ... يا من يعد عليه[3] النوم والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته ... ولا الذي كان العلم منه يقتبس

وقال:

المرء يطلب والمنية تطلبه ... ويد الزمان تديره وتقلبه
أي امرىء إلا عليه من البلى ... في كل ناحية رقيب يرقبه
من لم يزل متعجبًا من حادث ... تأتي به الأيام طال تعجبه[4]

وقال آخر:

أمل يقربه الرجاء إلى المنى ... كم تسخر الآجال بالآمال
كذبتهم الأطماع حتى أنهم ... أيسوا بها إذا واعدت بمحال

أنشد لنفسه ابن المعتز:

خليلي ولى العمر منا ولم نتب ... وننوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني قصورًا مشيدةً ... وأعمارنا منا تهد وما بنا

نكتة: مررت في رحلتي ببعض قرى الروم، فرأيت قبرًا عليه بنيان قد أظهرت فيه الحكمة زخارف صنعة البنا وعلى رأسه مكتوب.

---

(١) في ب [الناس].
(٢) في ب [بواد].
(٣) في ب [علينا].
(٤) هذا البيت سقط من ب.

وما ينفع الإنسان بنيان قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم
يمسي ويصبح والأشواق تغره ولا طمع في الدنيا وليس منهدم[1]

موعظة: نظر سليمان بن عبد الملك إلى وجهه في المرآة فقال أنا الملك الشاب فقالت له إحدى جواريه:

ليس فيما بدا لنا منك عيب قد علمناه غير أنك فاني
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

وقال ابن غانم:

أنوح على ذهاب العمر مني وحقي أن أنوح وأن أنادي
واندب كلما عاينت ركبًا حدا بهم لو شك البين حادي
يعنفني العذول إذا رآني وقد ألبست أثواب الحداد
فقلت له اتعظ بلسان حالي فإني قد نصحتك باجتهاد
وما من شاهد في الكون إلا عليه من شهود الغيب بادي
فكم من رائح فيه وغاد ينادي من دنو أو بعاد
لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال غيره:

إذا اشتد شوقي جئت قبرك زائرًا أنوح وأبكي لأراك مجاوبي
فيا ساكن الغبراء علمتني البكا وبعدك انساني جميع مصابي

لطيفة: قال الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه المسامرة: لكل مقال مجال[2] أخبرني أحمد بن مسعود بن شداد المقري بالموصل قال كان لي صاحب يقال له علي الذهاب وكان يمر بي كل ليلة بعد مضي هذيع من الليل وأنا بهذه المنظرة على شاطىء دجلة، فنادى يا زكي وأقول لبيك.

فيقول وما أحسن ما قال:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا مني تحية مغرم ومشتاق
وقفوا على شط الفرات وخبروا إني قتيل محاجر الأحداق

فلم يلبث أن مات، فرأيته في منامي فقلت يا علي ما أحسن ما كنت تأتيني به في

---

(١) سقط من أ.
(٢) في ب [ولكل حال].

حياتك كل ليلة وتنشدني وأنشدته البيتين فتبسم وقال يا زكي كيف لو سمعتني أنشدهما اليوم، فقلت له كيف فأنشد:

بالله يا ركب الحجاز تحملوا ... مني تحية مغرم مشتاق
وقفوا على شط الفرات وخبروا ... إني رهين جنادل وطباق
قد كان في موت الذين أحبهم ... ذكرى اللبيب وعبرة العشاق

وما أحسن ما قال:

فاخلع محبة من يموت وخذ بنا ... يا قلب في عشق الجمال الباقي

وقال غيره:

تنزهت عن دار تؤل إلى الفنا ... وملت إلى دار بها جنة المأوى
وقلت لتلك الدار لما تركتها ... سلام على الفاني فلست له أهوى

مسألة: يسن للزائر أن يزور البقيع في كل يوم متطهرًا تأسيًا صلى الله تعالى وسلم عليه ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون[1] وإنا بكم إن شاء الله لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد، اللهم اغفر لنا ولهم أنشد لنفسه الشيخ أبو عبد الله الفيومي مقتبسًا على لسان الموتى:

تأمل ما الذي كنا عليه ... بأيام الحياة وما بقينا
وقل لما تمر بنا سلام ... عليكم دار قوم مؤمنينا

والمعروف المشهور بالبقيع من القبور، قبر العباس بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ وعليه ملبن ساج.

(وسكان دار لا تزاور بينهم ... على قرب بعض في التجاور من بعض
كأن خواتيما من الطين فوقهم ... فليس لها حتى القيامة من فض
نساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوةً ... ولا يشعر الباقي بحالة من يمض

وقال آخر:

وما الدهر إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... بما كان فيها من نعيم ومن خفض
فهون ولا تحفل بحال مساءة ... ولا مزحة تأتي فكلتاهما تمض

وقال:

---

(١) سقط من أ.

مـا الـدهـر إلا لـيـلـةٌ ويـوم ... ويـقـظـةٌ بـيـنـهـمـا ونـوم

يـمـوت قـوم ويـعـيـش قـوم ... والـدهـر قـاضٍ مـا عـلـيـه لـوم)[1]

نكتة: قال الحسن البصري: يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا ذهب يوم منها ذهب بعضك وقال آخر: ما انقضت ساعة من أمسك إلا ببضعة من نفسك. أنشد لنفسه الوزير بن مقلة:

إذا مـات بـعـضـك فـابـك بـعـضـاً ... فـإن الـبـعـض مـن بـعـض قـريـب

أنشد لنفسه ابن الشبل البغدادي:

صـحـة الـمـرء لـلـسـقـام طـريـق ... وطـريـق الـفـنـاء هـذا الـبـقـاء

بـالـذي نـغـتـذي نـمـوت ونـحـيـي ... أقـتـل الـداء لـلـنـفـوس الـدواء

مـا لـقـيـنـا مـن غـدر دنـيـا فـلا كـانـ ... ـت ولا كـان أخـذهـا والـعـطـاء

صـلـف تـحـت راعـد وسـراب ... كـرعـت مـنـه مـومـس خـرقـاء

راجـع جـودهـا عـلـيـهـا فـمـهـمـا ... يـهـب الـصـبـح يـسـتـرد الـمـسـاء

لـيـت شـعـري حـلـم تـمـر بـه الأ ... يـام أم لـيـس تـعـقـل الأشـيـاء

مـن مـفـاسـد يـكـون فـي عـالـم الـكـسـ ... ـوف فـمـا لـلـنـفـوس مـنـه اتـقـاء

وقـلـيـلاً مـا تـصـحـب الـمـهـجـة الـجـسـ ... ـم فـفـيـم الـشـقـاء وفـيـم الـفـنـاء

قـبـح الـلـه لـذةً لـشـقـاء ... نـالـهـا الأمـهـات والآبـاء

نـحـن لـولا الـوجـود لـم نـألـم الـفـ ... ـقـد فـإيـجـادنـا عـلـيـنـا بـلاء

وقال آخر:

نـسـيـر إلـى الآجـال فـي كـل سـاعـة ... وأيـامـنـا تـطـوى وهـن مـراحـل

ولـم أر[2] مـثـل الـمـوت حـقًـا كـأنـه ... إذا مـا تـخـطـتـه الأمـانـي بـاطـل

وقال عمارة:

ومـا هـذه الأيـام إلا صـحـائـف ... نـؤرخ فـيـهـا ثـم تـمـحـى ونـمـحـق

وأعـجـب شـيء مـن ذا أن دائـرة الـمـنـى ... تـوسـعـهـا الآمـال[3] والـعـمـر ضـيـق

وقال آخر:

(ومـا هـذه الأيـام إلا مـراحـل ... لأن بـهـا داء الـمـنـيـة قـاصـد

---

(١) سقط من ب. (٢) سقط من ب. (٣) من ب [الأيام].

وأعجب شيء إن تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد)[1]

وقال:

نصير ترابًا كأن لم نكن ... وعاة العلوم رعاة الأمم

فتبًا لعيش قصير الدوام ... ووجدان حظ قرين القدم

وقال آخر:

سل الأيام ما فعلت بكسرى ... وقيصر والقصور وساكنيها

أما استدعتهم للبين طراً ... ولم تدع الحليم ولا السفيها

وقال:

سل الأيام على أمم تقضت ... ستخبرك المعالم والرسوم

ولا تطلب بدار الذل عزا ... فدارك ليس فيها ما تروم

وجد مكتوبًا على لوح قبر:

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا

تركوا منازل كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفرًا غبرًا وقيعانًا

نكتة: قال الحكيم بطليموس: لا يهولنكم أمر الموت فإن مرارته في خوفه.

آخذه المتنبي فقال:

الأسى قبل فرقة الموت عجزٌ ... والأسى لا يكون بعد الفراق

وقال بعضهم:

لا تنكر فضيلة الموت ... فإنها وسيلة إلى فراقك

ما تكره وإن كان سببًا لفراقك ما تحب من القواعد الفقهية دفع المضار مقدم على جلب المصالح على أنه لا طريق إلى الجادة ولا مدح إلا على الإجادة:

جزى الله عنا الموت[2] خيرًا فإنه ... أبر بنا من كل بر وأرأف

يعجل تخليص النفوس من الردى ... ويدني إلى الدار التي هي أشرف

وقال آخر:

قد قلت إذ مدحوا الحياة وبالغوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لا ينصف

---

(١) زائدة في أ.

(٢) في ب [الموت عنا].

قال في كتاب تنبيه الغافلين «من أكثر ذكر الموت أكرم بتعجيل التوبة والقناعة بالقوت والنشاط إلى العبادة ومن نسي الموت عوقب بتسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة.

تنبيه: قال حاتم الأصم: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ والعافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلاء والصحة لا يعرف قدرها إلا المرض والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى. وقال شقيق بن إبراهيم: وافقني الناس في أربعة قولاً وخالفوني فيها فعلاً قالوا إن الله تعالى كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا وقالوا نحن عبيد الله ويعملون عمل الأحرار وقالوا الآخرة خير من الأولى وهم يجمعون للدنيا وقالوا لا بد من الموت وهم يعملون أعمال قوم لا يموتون وعنه عليه الصلاة والسلام «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد وأعسر»[1]. وقال سعيد بن المسيب: ليس شيء قبل الموت إلا والموت أشد منه وليس شيء بعد الموت إلا والموت أهون منه وقال آخر من أراد أن يعلم حال الدنيا بعده فلينظر إليها بعد غيره.

من فاته من عقله وعظ ... هيهات أن ينفعه اللفظ
ما تنفع العين إذا لم يكن ... لقلب من يرنو بها[2] لحظ

وما أصدق ما قال:

لو لم يكن موت لكانت هموم ... الدهر تنفي رغبة[3] الراغب
قد أنذر الوعظ وأسماعنا ... عن كل ما يذكر في جانب

قال الأرجالي:

أسف على ماضي الزمان وحسرة ... وفي الحال منه وحشة في المقل
ما أن وصلت إلى زمان آخر ... إلا بكيت على الزمان الأول

وقال غيره:

طول حياة ما بها طائل ... عدمت فيها كل ما يشتهى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٧٩) ـ الحديث (٤٥٦). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٠، ٣٣١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في ب [يدنو].

(٣) في أ [رغبت].

أصبحت مثل الطفل في ضعفه | تشابه المبدأ[1] والمنتهى
ولم ألم سمعي إذا خانني | إن الثمانين وبلغتها

وقال آخر:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها | علي ولا أنجيت منه الكبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها | لأعلمها إني المقيم على السفر

وقال:

قد عصيت الهوى طفلاً صغيرًا فعندما | آتاني زماني بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني[2] | خلقت كبيرًا ثم عدت إلى الصغر

وقال بن المعتز:

ترحل من الدنيا بزاد من التقى | فعمرك أيام تعد قلائل
وما أقبح التفريط في زمن[3] الصبا | فكيف به والشيب في الرأس نازل

وقال غيره:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه | عبرًا وفينا الصد والأعراض
ننسى الممات وليس نجري ذكره | فينا فتذكرنا به الأمراض

وقال ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق وفي الجوهر المنظم لابن حجر مشهد الحسن بجنب أمه فاطمة رضي الله تعالى عنها على الأرجح وقيل دفنت في بيتها خلف الحجرة داخل مقصورتها وذكر ابن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين رضي الله تعالى عنه إلى عامله بالمدينة فكفنه ودفنه عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنهما وعن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي أنه قال ادفنوني إلى جنب أمي فاطمة بالمقبرة فدفن إلى جنبها.

وقال المسعودي في مروج الذهب: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده.

قال: وعلى قبورهم في هذا الموضع [من البقيع][4] رخامة مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ

---

(١) في ب [المبدى].
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [أيام].
(٤) زائدة في أ.

سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي، وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام، حكاه السيد علي في تاريخ الوفاء وعلى هذه القبور قبة عالية قديمة البناء في أول البقيع على يمين الخارج إليه وعليها بابان يفتحان كل ليلة جمعة وصبيحتها ويروى أن الحسن رضي الله تعالى عنه، نقل أباه إلى هذه القبور[1] والله سبحانه وتعالى أعلم.

عظام بأكناف البقيع زكية ... لهن علينا حرمةٌ وذمام

ولآل رسول الله صلت عليهم ... ملائكة بيض الوجوه كرام

وقال بعضهم:

حب آل النبي حشو حشآئي ... قد جرى في مفاصلي وعيوني

أنا والله مغرم بهواهم ... عللوني بذكرهم عللوني

وقال أبو فراس:

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد السرى والكرب مصطدم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... ختم كريم [وأيد بالندى][2] هضم

من معشر حبهم فرض وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل[3] الأرض

وقال آخر:

ولأي لآل المصطفى عقد مذهبي ... وقلبي من حب الصحابة مفعم[4]

وما أنا ممن يستجيز بحبهم ... مذمة أقوام عليهم تقدموا

ولكنني أعطي الفريقين حقهم ... وربي بأحوال البرية أعلم

وقال الشيخ حسن البوريني:

حسن ظني يا رب فيك رجائي ... في معادي وإن تعاطيت ذنبًا

أنا لله والرسول محب ... وبنيه والمرء مع من أحبا

وقال الشيخ محي الدين بن العربي:

نعم حب آل البيت عندي فريضة ... على غيظ أهل البعد يورثني القربا

---

(١) في ب [المقبرة].

(٢) ثبت في أ [وأيدنا لندى].

(٣) سقط من ب.

(٤) في ب [منعم].

وما طلب المختار منا جزاءه على هديه إلا المودة في القربا

وقال غيره[١]:

يا آل بيت النبي مني بذلت في حبكم روحه فما غبنا

من جاء عن بيته يحدثكم قولوا له البيت والحديث لنا

وفيه إبراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه وعليه قبة مشيدة، وقبور أزواج النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وهي قبور ظاهرة ولا يعلم تحقيق من فيها منهن إلا قبر عائشة رضي الله تعالى عنها في قول، وقبر عقيل بن أبي طالب، ومعه عبد الله بن جعفر الطيار، وقبر صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله تعالى وسلم عليه في تربة أول البقيع وقبر مالك بن أنس أمام دار الهجرة وقبر نافع أحد القراء وقبر فاطمة بنت أسد أم علي ابن أبي طالب وعليها قبة في آخر البقيع وقال ابن حجر لا أصل له وإنما هو سعد بن معاذ وقبر عثمان بن عفان ثالث الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وفي شرقي البقيع، مسجد يعرف بمسجد البغلة فيها أثر يقال انه أشر حافري بغلة النبي صلى الله تعالى وسلم عليه قال في الجوهر مسجد البغلة شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية لبني ظفر من الأوس صلى فيه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وجلس على حجر فيه[٢] وقل من جلست عليه إلا حبلت وفيه أثر على حجر كأنه مرفق يقال انه مرفقه الشريف [ذرعه إحدى وعشرين في مثلها][٣]، قال بعضهم تستحب الصلاة في هذه المساجد المدنية وإن لم تعرف أساميها لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو واليه على المدينة مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فابن عليه مسجدًا فهذه الآثار كلها آثار عمر بن عبد العزيز وقد اندرست وجدد أكثرها وملازمة الحجرة أولى وأفضل وما لمن ظفر بالعين يتعلل بالآثار، وكيف لمن شاهد حمى الأحبة يستملي سواجع الأخبار وأما مسجد البقيع فقال في الجوهر هو على يمين الخارج من دربه يقال انه مسجد ابن أبي كعب الذي كان يتخلف إليه النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فيصلي فيه ويقول لولا أن يميل الناس إليه لأكثرت الصلاة فيه[٤] وبالجملة فإن البقيع سلوة الأحزان ولهوة الولهان ما أمه المكروب إلا فرج الله عليه[٥] ولا المغلوب إلا توجهت كتايب النصر بالرحمة إليه خلا ما اشتمل عليه من تذكار المعاد وأفكار أهل الرشاد وتقطيع أعناق الأطماع وشمول بركته حتى لبعيد الانطباع.

---

(١) سقط من ب.
(٢) لم أجده.
(٣) سقط من ب.
(٤) لم أجده.
(٥) في ب [عنه كربه].

سقى الله أكتاف البقيع مع الهنا سحائب إحسان وعفو وغفران
ففي سفحه قلبي مقيم لأنه أقام به أهلي وصحبي وإخوان

المقالة الثانية:

فيما يتعلق بالزمان وتشتمل من يانع أزهارها على أبواب تنفتح أنوار أكمامها من رياض الخطاب.

تلقاك هذا العام أحسن ملتقا ووقيت فيه ما تخاف وتبقى
ولا زلت تلقى فيه كل مسرة ولا زلت ترقى فيه أشرف مرتقا

مسئلة: ابتداء السنة العربية أول ليلة من المحرم فلا تزال حتى تهل فتدخل السنة الثانية وتنقض الأولى وعند المغرب[1] سادس سفر وشهور هذا التاريخ من رؤية الهلال شرعًا فلا تزيد أيام الشهر على ثلاثين ولا تنقص عن تسعة وعشرين وقد تتوالى أربعة كاملة وثلاثة ناقصة (وقد تتوالى ثلاثة أشهر ناقصة وأربعة كاملة) وأما أشهره ومبداها من الهجرة النبوية فشهر ثلاثون وشهور تسعة وعشرون دائمًا أبدًا ولا تتأخر الرؤية عن الحساب بأكثر من يومين البتة.

وقال الراجز:

ولا يضر اليوم واليومان تزايدًا أو نقصًا سيان

ولهذه الأشهر أيام منحوسة، ضبطها الصفي في قوله:

توق سبعة أيام قد اطردت في كل شهر هلالي مناحسها
فثالث الشهر مذموم وخامسه وثالث العشرة الوسطى وسادسها
ثم اخشى حادي عشريه فخشيته حزم ورابعها نحس وخامسها

وضابطه المشهور:

محبك يرعى هواك فهل تعود ليال بضد الأمل
فذو[2] النقط يوم بدا نحسه وفي غير ذي النقط خير حصل

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد البلخي:

قلت وقد قال لي صديقي صف نحس أيامنا وبادْر
حسبك قد صار كل صب على الحمى مدنفًا وساهر

---

(١) في ب [عند العرب].

(٢) في ب [فزوال].

مهملها قد حاز كل خير | والنحس في عجمها فحاذر

ونظم بعضهم نحوس أشهر السنة فقال:

خف رابع عشرين من رمضان | وتوق في شوال منه الثاني
والثامن العشرين من ذي قعدة | مما بعده لثمان
واثنين مع عشرين خف لمحرم | والعشر من صفر بلا تكوان
وربيع رابعه فحاذر يوميه | وثمان عشرين ربيع الثاني
وكذا جمادى ثم ثاني عشر ما | يتلوه يا من خص بالإحسان
وإذا أتى[1] رجب فثاني عشرة | والسادس العشرين من شعبان

وبيانها نثرًا ثاني عشر من المحرم، عاشر صفر، رابع ربيع الأول، الثامن والعشرين من ربيع الثاني وجمادى الأولى الثاني عشر من جمادى الآخرة ورجب السادس والعشرون من شعبان الرابع والعشرون من رمضان ثاني شوال الثامن والعشرون من ذي القعدة ثامن ذي الحجة فحاذر إن كان ينفع الحذر وقلد في ذاك من اختبر فلقد رأيت بخط بعض أكابر العلماء فائدة صحيحة مجربة إذا انقضت المدة لم تنفع العدة ولا يغني الحذر من القدر.

وإذا المنية أنشبت أظفارها | ألفيت كل تميمة لا تنفع

وما أصدق ما قال:

إذا كنت ملحوظًا بعين سعادة | فلا تخش يومًا من رجوع الكواكب
فإن الذي قد قدر الله سعده | بعيد لعمري من صروف النوائب

وعلى ذكر الشهر قال بعضهم:

لا تزر من تحب من كل شهر | غير يوم ولا تزد عليه
إن رؤيا الهلال في الشهر يومًا | ثم لا تنظر العيون إليه

وقال غيره[2]:

إذا حققت ودا من صديق | فزره ولا تخف منه ملالا
وكن كالشمس تطلع كل يوم | ولا تك في مودته هلالا

وقال آخر:

إذا تخلفت عن صديق | ولم يعاتبك في التخلف

---

(١) في ب [وكذا].

(٢) في ب [زرنا].

فلا تعد بعد ذلك له ... فإنما وده تكلف

وما أوقع ما قال:

(إذا ما اختلفت إلى صاحب ... وإن كان يدنيك من نفسه

فلا بد من ملل واقع ... تغير ما كان من أنسه)(١)

وقال آخر:

إذا شئت(٢) أن تجفا فزر متواترًا ... وإن شئت(٣) أن تزداد حبًا فزره غبًا

فلا تهمل(٤) الرأي السديد وتقتفي ... تخيل وهم تلتقي بعده كربا

ومن الألغاز اللطيفة في السنة، ما شجرة فيها اثنا عشر غصنًا في كل غصن ستون ورقة منها ثلاثون سودًا وثلاثون بيضًا في كل ورقتين خمس زهرات المراد من الشجرة السنة وغصونها الأشهر والورق الأسود والأبيض الليالي والأيام والزهرات الصلوات الخمس، ومن الألغاز في الليل والنهار:

ما اسود في حضنه أبيض ... وأبيض في حضنه أسود

ما افترقا قط ولا استجمعا ... كلاهما من ضده يولد

شهر المحرم وهو أول السنة القمرية، أقسم الله تعالى به في خطابه وافتتح به سورة من كتابه فقال «والفجر وليال عشر قبل الفجر هو المحرم لأنه فجر العام وليال عشر هي لياليه بل لآليه ومن أدعيته اللهم إنك(٥) أنت الأبدي القديم وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء والاشتغال بما يقربني إليك زلفى ياذا الجلال والإكرام.

تهن فقد وافاك شهر المحرم ... بكل حلال لم يكن بالمحرم

ولا زال ممن يلتقيك بكل ما ... تحب وحبل الوصل لم ينصرم

في اليوم الأول من هذا الشهر الشريف أو الثاني منه وصول قافلة المدينة المنورة أعني رجوع من حج من أهلها الدعاء فيكون بين الناس من التزاور والتماس الأدعية، والهدايا كما يكون في سائر البلدان إلا أن السيد بها يزور العبد في مثل هذا اليوم ولا كذا لك الأكابر في غير المدينة المنورة وما أحسن ما قال:

---

(١) زائدة في أ.

(٢) في ب [نسيت].

(٣) في ب [نسيت].

(٤) في ب [تمهل].

(٥) سقط من ب.

لقد جئتم وتفضلتم ... وشرفتمونا بنقل القدم
وليس بعار ولا منكر ... مجيء الموالي لبعض الخدم

وقلت جوابًا عنه:

لقد جئت نحوكم سادتي ... لأحظى بتقبيل موطى القدم
وأسعى إليكم على أعيني ... على أنني من أقل الخدم

وعلى ذكر الهدية قال من اختبر وحقق الخبر:

توق وحاذر من قبول هدية ... وإن جانا فيه الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث ... تحذرنا منها وعنها ترغب

وفي اليوم الخامس منه أو يختلف باختلاف الأحوال يكون وصول الراكب المصري إلى المدينة الشريفة وبوصوله تتصل بسكانها الصدقات السلطانية والصلاة الخاقانية والمرتبات المصرية فيتسلمها الحكام بصفة الخدام في ملاء من الأكابر بمقتضى الدفاتر قال مفتي الحرمين قطب الدين الحنفي إن أهل الحرمين الشريفين ما شبعوا في دولة من الدول مثلما شبعوا في دولة آل عثمان خلد الله تعالى أيامهم إلى قيام الميزان وتمتاز أهل المدينة بما فضل عن أهل مكة مع هذا الركب من الأمتعة والأشربة ويكون لهم موسم لطيف، ويكون للحجاج كمال البشارة بالسرور والهناء وبلوغ الآمال وأهمها الزيارة.

تمام الحج أن تقف المطايا ... على ليلى وتقريها السلاما
فإذا حجوا ولم يقفوا بليلى ... فلست أرى لحجتهم تمامًا

ومن محاسن هذا الركب أميره الذي يميره وهو مولانا الأمير رضوان بيك أعز الله تعالى ذاته وأطال وأطاب حياته فإنه عم بعدالته وإحسانه الركب وأهل الحرمين وقصة محاسنه إن شاء الله تعالى حالية على التنميق والمنن فالله تعالى يبقيه للمعالي ويجعله ذخرًا للفقراء ويقبل فيه أدعيتهم حتى بعناية الله تعالى غرة في جبهة الأمراء أمين أمين لا أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف أمينًا، وفي الليلة الثانية[1] من وصوله يقر المولد السلطاني في صحن المسجد النبوي بحضرة أمير الركب وحكام المدينة وأغنيائها ويوقد الشمع والعنبر ويحرق الند وعود المجمر وتفرق أنواع السكر والحلوى على من حضر ذلك المجلس الشريف والمحفل المنيف وفي اليوم الثالث غالبًا أو الرابع من دخول هذا الركب يكون رحيله إلى وطنه بالإمدادات النبوية والصلاة المصطفوية.

---

(١) في ب [الثالثة].

ويحكى أن بعض أشراف اليمن قدم المدينة المشرفة للزيارة فتوجه إلى الحضرة الشريفة وأنشد:

يا ليت شعري إلى قبول ... وهل إلى السؤل[1] لي وصول

(وهل لقصدي وجد سعي ... قد رضى الله والرسول)

إلى أن قال:

إن قيل زرتم بما رجعتم ... يا أكرم الرسل ما نقول

فسمع الصوت من داخل الحجرة المعطرة يقول:

قولوا رجعنا بكل خير ... واجتمع الفرع والأصول

وقال آخر:

بابه للنزيل غيث وغيث ... فيه يلقى مراده ومرامه

إن آتاه الفقير نال ثراء ... أو آتاه الغني نال الكرامة

وقال:

ولاح فلاحي في اطراحي ببابه ... وأيقنت أني منه بالقصد راجع

فلا كان هذا آخر العهد بيننا ... ولا قطعنا عن حماه القواطع

وقال:

قف على الباب خاضعًا ... عند ضيق المناهج

فهو باب مجرب ... لقضاء الحوائج

وقال:

قفا نبك دارًا شط عنا[2] مزارها ... وانحلنا بعد البعاد أذكارها

كلها[3] بالوهم فكرهي لناظري ... وأكثر ما يفني النفوس افتكارها

إذا أبعدت عني منازل طيبة ... فلا وجدت روحي بجسمي قرارها

وإن غاب عن طرفي حماها وربعها ... قسر الحشا مني وصدري دارها

فلا فقدت عيني منارة بلدة ... طول الليالي في ذارها قصارها

وقال:

على ساكني وادي العقيق تحية ... من المغرم المشتاق والواله الصب

---

(١) في ب [الشوق]. (٢) في ب [شططنا]. (٣) في ب [لمثلها].

أقاموا وسرنا والفؤاد لديهم ... وما حال جسم في الهوى سار عن قلب

وقال:

عليك سلام الله يا خير منزل ... برزنا وودعناه غير ذميم

فلا تكن الأيام فرقن بيننا ... فما أحد من ريبها بسليم

وقال رضي الله عنه:

إلهي لا تجعله آخر عهدنا ... ولا تجعل اللهم رحلتنا طردا

وعجل لنا حسن الآيات تفضلا ... وسهل لنا صعب الأمور إذا اشتدا

وقال:

يا دار هل يقضى لنا برجوع ... ويعود لي يا عين طيب هجوعي

يا جيرةً كاد المشوق[1] بينهم ... يقضي أسى في حالة التوديع

قلبي ليوم فراقكم متوجع ... وا رحمتاه لقلبي الموجوع

فرقتم ما بين جفني والكرى ... وفصلتم بين الأسى وضلوعي

جسمي معي والقلب بين خيامكم ... ما ضركم لو كان ثم جميعي

ومتى ذكرت ليال سلفت لنا ... بالجزع في روض وظل[2] ربوعي

كادت تذوب جوىً حشاشة مهجتي ... لولا يجود على فيض دموعي

ومن فراقيات الفيومي:

استودع الله الحفيظ أحبةً ... خلفتهم بين الأبيرق والنقا

فارقتهم حتى إذا ذقت النوى ... لم أدر كيف رضيت أن نتقدما

يا آمري بالصبر بعد فراقهم ... إن الصبر بعدهم لا يلتقا

لا تذكر الصبر الجميل فإنه ... ماتت محاسن وجهه ولك البقا

لم يبق لي[3] بعد التفرق رغبة ... في العيش لولا أن من عاش التقا

سكنوا بقلب آنسوه وأوحشوا ... لحظا جرى من بعدهم وتدفقا

هداك عندهم وذاك محجب ... سبحان من كتب السعادة والشقا

وقال آخر:

بكيت لفقد الأربع الخضير بعدهم ... على الرملة الفيحاء بالأدمع الحمر

وكيف بقا إنسان عيني وقد أتى ... على ذلك الإنسان حين من الدهر

---

(١) في ب [التشوق]. (٢) في ب [ظل وروض]. (٣) سقط من ب.

ويتلوه الركب الشامي قافلاً إلى وطنه فيقيم بالمدينة نحو عشرة أيام وينزل بالمناخة الشامية في شرقي سلع وربما نزل بعضه بمناخة المصلى فيشرق به المراح وتعد لياليه من ليالي الأفراح ويعمر به المسجد النبوي والمعهد المصطفوي بالذكر والتلاوة وزيارة صاحب الهراوة.

ويطيب عيش ذوي المودة والصفا ... بالهاشمي المصطفى المختار

عاش المحرم وهو يوم الوفاء وميقات الديون ويسمى يوم الزينة جمع الله على فضله الآراء وخصه بالتكريم وختم به ميقات موسى الكليم وفي كتاب البركة في السعي والحركة.

واختلف في يوم عاشوراء فقيل: هو التاسع[1].

وقيل: هو العاشر وهو المشهور[2].

---

(١) قيل: إنما سمي يوم التاسع عاشوراء أخذًا من أوراد الإبل كانوا إذا رعوا الإبل ثمانية أيام ثم أوردوها في التاسع قالوا وردنا عشرًا بكسر العين وكذلك إلى الثلاثة. وروى مسلم من طريق الحكم بن الأعرج «انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه فقلت: أخبرني عن يوم عاشوراء، قال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائمًا قلت: أهكذا كان النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصومه؟ قال: نعم» قال الحافظ: وهذا ظاهره أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع. لكن قال الزين بن المنير: قوله [إذا أصبحت من تاسعه] فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائمًا بعد أن أصبح من تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة. قال الحافظ: قلت: ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم أيضًا من وجهٍ آخر عن ابن عباس مرفوعًا: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع فمات قبل ذلك» فإنه ظاهر في أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يصوم يوم العاشر وهم يصوم التاسع فمات قبل ذلك، ثم ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطًا له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح وبه يشعر بعض روايات مسلم. ثم قال الحافظ: وقال بعض أهل العلم: قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في صحيح مسلم [لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع] يحتمل أمرين: أحدهما: أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع. والثاني: أراد أن يضيفه إليه في الصوم فلما توفي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم يومين. وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب: أدناها: أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر. انظر/ فتح الباري (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٢) قال القرطبي: لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم العقد واليوم مضاف إليها، فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة فصار هذا اللفظ علمًا على اليوم العاشر، وذكر أبو منصور الجواليقي أنه لم يسمع فاعولاء إلا هذا وضاروراء وساروراء ودالولاء من الضار والسار والدال، وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر هذا قول الخليل وغيره. وقال الزين بن المنير: الأكثر أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية. انظر/ فتح الباري (٤/ ٢٨٨).

وقيل هو الحادي عشر وفي الدرة اليتيمة وفي السنة الثانية من الهجرة أمر رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء وقال أنا أحق بموسى من اليهود[1] ثم زوج عليًا فاطمة رضي الله تعالى عنها ثم أمر بالصلاة نحو الكعبة ثم نزلت فريضة الصوم في شعبان فقاموا رمضان ثم صلى صلاة العيد وضحى بكبشين وعن بعض السلف من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام سنته ومن تصدق فيه أدرك ما فاته من صدقة السر قيل وما حكى من ورود الاغتسال فيه والاكتحال ومسح رؤوس الأيتام والأطفال، فلا أصل لذلك من شريعة سيد الأنام كما نبه عليه العلماء الأعلام وفيه يوسع أهل المدينة في معاشهم ويتهادون بالأطعمة وذلك من السنن السنية.

وما أحسن ما قال:

وسع على أهلك في رزقهم ... وكن لما تملكه منفقا

فالمرء لا يرزق إلا على ... مقدار ما وسع أو ضيقا

وفي غضون هذا الشهر يكون قدوم الركب العراقي (فينزل) في مراحة وهو شمال العريض من شرقي المدينة ويكون له سوق هنالك وتعمر به هاتيك المسالك وبالجملة فإنه من المواسم المشهودة والأيام المعدودة.

هنيت ياذا العلا بشهر صفر ... مظفرًا بالسعد وأي ظفر

ودمت ياذا النوال في دعة ... يرعاك مولاك في إقامة وسفر

شهر صفر الخير في أوائله ـ يفرش المسجد النبوي وتخرج الربعات الشريفة من الحجرة المعطرة إلى الروضة المطهرة ويشرع العلماء في إلقاء الدروس ومن محاسن المدينة الشريفة أن أهلها لا يعنون[2] بعلوم الفلسفة والرياضة بل ولا كتب الكلام والجدل إلا ما شذ من الأعاجم الواردة إليها من الآفاق وإنما همتهم في الشرعيات وما يحتاج إليه من العربية وكان يقال قل ما شئت في المتحمى بالفلسفة من الركاكة والفسفسة وقلما يحرس مهجته من لا يخرس لهجته وكان يقال العلوم ثلاثة رئيسية ونفسية وخسيسة فأما الرئيسة فهي الشرعية كالفقه والحديث والتفسير وما في معناها وأما النفسية فهي العربية وهي على ثلاثة عشر علمًا كما في المنهل

(١) أخرجه البخاري في الصوم (٤/ ٢٨٧) ـ الحديث (٢٠٠٤). وأخرجه مسلم في الصوم (٢/ ٧٩٥) ـ الحديث (١٢٧/ ١١٣٠). والإمام أحمد في مسنده (٤/ ٥٠٧) ـ الحديث (١٩٧٤٤) بنحوه.

(٢) في ب [يعتنون].

الصافي وأما الخسيسة فهي علوم الفلسفة وقد فصلتها في كتاب النصر وأنشدوا:

يا وحشة الإسلام من فرقة ... مشغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادعت الحكمة والفلسفة

وقال آخر:

اتق الله والزم هدى دينه ... وبعدهما فاطلب الفلسفة
ودع عنك قومًا يعيبونها ... ففلسفة المرء قل السفه

نكتة: في كتاب أخبار المأمون يروى أنه بعث إلى صاحب جزيرة قيرس يطلب منه خزينة (كتب)[1] اليونان فجمع كبار دولته واستشارهم فقال رئيسهم الرأي عندي أن تبعث بها إليه فإن كتب الفلسفة ما دخلت على شريعة إلا أفسدتها فجهزها إليه فكان من أمرها ما اطربت له الأفهام وزلت بسببه الأقدام وأوقع في مهاوي الكلام ﴿ولو شاء ربك مافعلوه وذرهم وما يفترون﴾[2].

وما أحسن ما قال:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ... حمل ثقيل فانتخب ما تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

وقال آخر:

إذا ما اغتر ذو علم بعلم ... فعلم الفقه أولى باعتزاز
فكم[3] عرف يفوح ولا كمسك ... وكم طير يطير ولا كباز

وقال:

وإذا أردت من العلوم أجلها ... فعليك بالقرآن والاعراب
هذا لدينك إن أردت ديانة ... وهدى وذاك لمنطق وخطاب

وقال:

إذا لم يكن مر[4] السنين مترجما ... عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً
ولا تنفع الأيام حين تعدها ... ولم تستنفد علمًا يزين ولا فضلا

وقال:

---

(١) سقط من ب.
(٢) سقط من أ.
(٣) في ب [فلم].
(٤) في ب [من].

وفي (الجاهل قبل)[1] الموت موت لأهله ... فأجسامهم في القبور قبور[2]
وإن أمرأ لم يحيى بالعلم ميت[3] ... وليس له حتى النشور نشور[4]

وقال بعضهم اطلب العلم فلان، يذم لك الزمان خير من أن يذم بك أخذه بعضهم فقال:

تجنيت أن تذم بك الليالي ... وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل إذا كملت ذاتا ... أصبت الغرام حصل الهوان
فذم الدهر للإنسان خير ... من الإنسان ذم به الأوان

وقال آخر:

إذا رأيت حكيمًا لا تجالسه ... خلاف حكمته جن ولا بشر
وهو الحكيم الذي في نفسه ذلك ... والشمس في حجراه والقمر
فكن له خادمًا والزم نصيحته ... حتى تبين لك الآيات والسور

وقال:

العلم في الرجل الحكيم زيادة ... ونقيضه في الأحمق الطياش
مثل النهار يريد ابصار الورى ... نورًا ويعمى أعين الخفاش

وقال:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ... وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنًا
فبشره أن الله أولاه حسرةً ... تغشيه حرمانًا وتوسعه حزنًا

وقال:

فساد كبير عالم منهتك ... وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة من العالمين عظيمة ... لمن بهما من دينه يتمسك

وقال:

ومن كان علم النفس مما يسره ... فإني امرء يا طالما ساني علمي
ولم أر من الأشياء والحظ شاهد ... بما ادعى شيئًا أضر من الفهم

---

(١) سقط من ب.
(٢) في ب [حتى النشور نشور].
(٣) في أ [ميّه].
(٤) في ب [قبل القبور قبور].

نكتة: آخر كلام قاله الفخر الرازي فيما يروى عنه من هذا الباب:

الذي دلت عليه التجربة ... وتحرر من آخر الأمر

ان قدر الإنسان بالعلم ... وقدر العلم بالمال

وقد نظمته فقلت:

قيمة الإنسان بالعلم كما ... قيمة العلم بمال مسعد

فاسع في تحصيل كل منهما ... فهما للمرء أهنى مورد

وقال بعض الأكابر:

صرفت زمانًا في فنون جمعتها ... وأفرغت جهدي والجنون فنون

ولما تجلى الأمر وانكشف الغطا ... تبين لي أن الفنون جنون

وقال آخر:

صفاء العيش أن تلقى حكيمًا ... غذاه العلم والفهم المصيب

فيكشف عنك حيرة كل جهل ... وفضل العلم يعرفه اللبيب

وقال:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد ... لعلمك مخلوقًا من الناس يقبله

وإن زانك العلم الذي قد حملته ... وجدت له من يجتنيه ويحمله

لكل تربة غراس ... ولكل بناء أساس

نكتة:

ومن حوى العلم ثم أودعه ... بجهله غير أصله عدمه

وكان كالمبتني البناء إذا ... تم له ما أراد هدمه

وقال:

لا تناظر جاهلاً ... أسندك[1] الدهر إليه

إنما يهدله علمًا ... يعاديك عليه

وفي المغني:

إذا جلست مع الرجال وأشرقت ... من أفق باطنك المعاني الشرد

فاحذر مناظرة الجهول فربما ... تغتاض أنت ويستفيد ويجحد

---

(١) في ب [وأسند].

وقال:

إذا لم يكن عالمًا بالسؤال فترك الخطاب به أسلم
وإن أنت شككت فيما سئلت فخير جوابك لا أعلم

وقال محمد بن بشر:

أما لواعي[1] كل ما أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع
لكنت[2] المحقق فيما يرى من المشكلات وما يسمع
ولكن نفسي إلى كل شيء من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت و لا أنا من جمعه أشبع
ومن يك من علمه هكذا فذلك بالقهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظًا واعيًا فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر بالجهل من مجلس وعلمك في الكتب مستودع

وقال غيره:

العلم زرع والتأمل ماؤه والزمن أرض والمعلم زارع
والبحث فيه شمسه وسماؤه ملقى الأفاضل واختلاط نافع
ونموه بإفادة ونماؤه عمل إلى أعلى المراتب
ونفاق[3] هذا العلم في سوق القبول تقى وإخلاص به وتواضع
ثم التفكير والرياء والعجب آفات وكل للسعادة مانع

غريبة: من أخبار مصر يحكى عن بعض ملوكها ممن سلف انه عمل مدينة وعمل فيها صورة على عمود من رخام من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأى عملهم وعمل على كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب وفي يده صحائف شتى كثيرة[4] في كل صحيفة علم من العلوم فمن أحب معرفة ذلك العلم وضع تلك الصحيفة على صدره فيرشح ذلك العلم فيه إلى أن يموت وعمل فيهما مرآة ترى منها[5] الأقاليم السبعة.

في الأرض آيات فلا تك منكرًا وعجائب الأشياء من آياته

---

(١) في ب [أما الداعي].
(٢) في ب [وكنت].
(٣) في ب [تعاق].
(٤) زائدة في ب.
(٥) في ب [فيها].

وفي اليوم العاشر منه غالبًا يكون قدوم المرزوقي. وهي[1] عبارة عن تجار اليمن وهو موسم البهار والطيب.

يهنيك شهر ربيع الأول فالسعد قد وافا وقد أقبل
والله خولك السعود به فاسعد بما أعطى وما خول

شهر ربيع الأول في أول ليلة[2] جمعة منه يكون مولد الشيخ أحمد البدوي وله موكب مشهود. وفي الليلة الثاني عشر منه. يكون مولد النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وشرف وكرم ومجد وعظم[3]، فيا له من نبي أشرف بظهوره فيه يوم الاثنين واستمد من نوره نور القمرين. قال العلامة ابن حجر: ولد عليه السلام يوم الاثنين بمكة ليلة ثمان من ربيع الأول عام الفيل عند أهل الحديث والتاريخ والذي عليه الجمهور وهو الصحيح المشهور أنه لثنتي عشرة وعليه العمل.

فيا[4] شهرًا كان لياليه ليالي العقود ويا وجهًا مشرقًا ما أشرفه من مولود[5]
فسبحان من جعل حسنه حسنًا بديعًا ومولده للقلوب ربيعا
لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضغى ربيع في ربيع في ربيع

وقال:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقامًا علاً في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ريعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد

فأكرم به من مولود أشرقت الأرض بساطع نوره وصدقت وعود[6] الأنبياء بظهوره، وأضاءت لمولده قصور الشام، ونكست لكرامته رؤوس الأصنام وانشق ايوان كسرى، وأذن بالانهزام[7] وخمدت نار فارس ولم تكن تخمد منذ[8] ألف عام ولم تجد ذات الطلق به بؤسًا، ولا ولدته كغيره منكوسًا بل خرج صلى الله تعالى وسلم عليه على يديه معتمدًا، وبالملائكة المقربين معتضدا رافعًا طرفه إلى السماء، مشيرًا بإصبعه متبسمًا مقطوع السرة مختونًا[9] ومباركًا على الأمة ميمونًا[10] ولم تزل العناية ترشده والحراسة

---

(١) في ب [وهو].
(٢) سقط من ب.
(٣) سقط من أ.
(٤) في ب [له من] زائدة.
(٥) وفي ب [له] زائدة.
(٦) في ب [دعوى].
(٧) في ب [بالإنهدام].
(٨) في أ [منه].
(٩) في ب [مختونًا مقطوع السرة].
(١٠) في ب [ميمونًا مباركًا على الأمة].

تسعده حتى جاءه الروح الأمين برسالة رب العالمين، فشمر عن ساق الجد والاجتهاد، وجاهد في الله حق الجهاد حتى تمم مكارم الأخلاق، وبين أحكام الدين يقينًا (وأنزل الله عز وجل عليه الكتاب المستقيم تبيانًا وتعليمًا وقال فيه)[1] ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ فأيام هذا الشهر مبتسمة الثغور، ولياليه مشرقة بالنور والدعاء فيه مسموع والعمل الصالح فيه مقبول مرفوع.

قال ابن حجر: وإنما لم تكن الولادة في يوم جمعة أو في شهر رمضان لئلا يتوهم تشرفه عليه السلام بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر به مزيته على الفاضل، ونظير ذلك دفنه بالمدينة المنورة دون مكة والقدس وما أحسن ما قال:

حباك الله رب المشرقين ... جميع الحسن يا جد الحسين

لهذا قلت قولاً غير مين ... وأحسن منك لم تر قط عيني

وأفضل منك لم تلد النساء

منحت فصاحة النطق العذيبي ... وحسن الخلق من علام غيبه[2]

وتملك الإله[3] بغير ريب ... خلقت مبرءً من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي مثل هذا اليوم كانت وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام وقيل في اليوم الثامن والعشرين من صفر. وفي كتاب الليث العابس في صدقات المجالس. توفي عليه الصلاة والسلام ضحى يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة من عمره مبلغًا رسالات الله مجاهدًا لأعداء الله، ودفن ليلة الثلاثاء، وكانت مدة مرضه اثنا عشرة يومًا، وقيل أربعة عشر.

لطيفة:

استخرج بعض أهل الأدب مدة عمره الشريف من لفظ بنيء بالهمزة فإن عدده بحساب الجمل ثلاثة وستون. كما استخرجوا عدة الرسل من اسمه الكريم محمد. وذلك بطريق البسط لأن فيه ثلاث ميمات كل ميم بتسعين جملتها بمائتين وسبعين. وحا بتسعة أو عشرة باعتبار الهمزة ألفًا، ودالاً بخمسة وثلاثين، فالجملة ثلثمائة وأربعة عشر أو خمسة عشر وذلك عدد الرسل على الخلاف فيه. وفي الدرة الثمينة لما اشتد به عليه

---

(١) زائدة في ب.

(٢) في ب [الغيوب].

(٣) في ب [وكلمك الله].

الصلاة والسلام وجعه قال أهريقوا[1] علي من سبع قرب[2] من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد[3] إليهم[4].

وقال في وجعه الذي قبض فيه: يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل[5] المظلم وإني والله ما تمسكون علي بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن، وكان يقول: إن للموت لسكرات اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى[6].

ربيع الآخر قد أقبلا سقيت فيه العارض المسبلا
فاهن به شهرًا شريفًا أتى باليمن والإسعاد مستقبلا

شهر ربيع الثاني وفي الليلة الثانية عشر منه مولد السيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالى عنها ـ واليوم الثاني عشر منه مولد الشيخ عبد القادر الكيلاني ـ قدس سره ـ وفي هذا الشهر والذي قبله تكون عقود الأنكحة بالمدينة الشريفة أكثر منها بغيرهما.

بجمادى الأولى تهنى مليا لابسًا من علاك فيه حليا
دمت فيه وفي سواه رفيعًا كل يوم ترقى مكانًا عليا

شهر جمادى الأولى فيه يكون مولد الشيخ أحمد بن علوان ـ قدس سره ـ وفي اليوم الحادي والعشرين منه مولد الأقدس الأبر الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

---

(١) قال ابن التين: هو بإسكان الهاء ونقل عن سيبويه أنه قال اهراق يهريق اهريقًا مثل اسطاع يسطيع اسطياعًا بقطع الألف وفتحها في الماضي وضم الباء في المستقبل وهي لغة في أطاع يطيع فجعلت السين والهاء عوضًا في ذهاب حركة عين الفعل وروى بفتح الهاء واستشكله، ويوجه بأن الهاء مبدلة في الهمزة لأنه أصل هراق أراق ثم اجتلبت الهمزة فتحريك الهاء على إبقاء البدل والمبدل منه وله نظائر وذكر له الجوهر توجيهًا آخر وأن أصله أأريقوا فأبدلت الهمزة الثانية هاء للخفة. وجزم ثعلب في الفصيح بأن أهريقه بفتح الهاء. انظر/ فتح الباري (١/ ٣٦٢).

(٢) قال الخطابي: يشبه أن يكون خص السبع تبركًا بهذ العدد، لأن له دخولاً في كثير من أمور الشريعة وأصل الخلقة. انظر/ فتح الباري (١/ ٣٦٣).

(٣) في ب [وأعهد].

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء (١/ ٣٦٢) ـ الحديث (١٩٨). والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٢) مختصرًا. وقوله [من آبار شتى] رواية الطبراني.

(٥) في ب [كالليل].

(٦) أخرجه البخاري في الرقاق (١١/ ٣٦٩) ـ الحديث (٦٥١٠) بنحوه. والترمذي في الجنائز (٣/ ٢٩٩) ـ الحديث (٩٧٨) وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الجنائز (١/ ٥١٨، ٥١٩) ـ الحديث (١٦٢٣). والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٧٢) ـ الحديث (٢٤٤١).

الحاتمي الطائي صاحب المنح والفتوحات، ويعرف هذا الشهر في المدينة باللأواء.

يهنيك يا رب الصفات الفاخرة بهلال خير جمادى الآخرة
وأراك ربك فيه ما تختاره وحباك فيه المعاني الزاخرة

شهر جمادى الآخرة:

وفي اليوم الثامن[1] عشر منه مولد الشيخ أحمد الرفاعي وفي آخر خميس فيه يذهب كثير من الناس إلى زيارة السيد حمزة، ويعرف ذلك اليوم بخميس الفتح، وبتمام هذا الشهر ينحل اللأواء في الغالب.

مهينا جاء فيما جاءكم رجب ومثلكم من تلقاه بما يجب
ولو سعى فوق آفاق السعود لكم هلاله لهناكم لم يكن عجب

شهر رجب الأصب. في أول جمعة منه يكون مولد الشيخ بدر الدين العادلي ويقرأ المولد في زاويته التي هي تجاه المدرسة الرسمية شرقي منهل الحارة وفي تلك الليلة يصلي صلاة الرغائب من يرى صحة خبرها، وفي الليلة الثانية عشر منه يكون زيارة السيد حمزة وهي جمعية عظيمة معدودة مشهورة تطلع أهل المدينة إلى وادي قناة بالخيام ويكون هنالك سوق لطيف وتكون عند الضريح تلاوة القرآن العظيم حتى الصباح، ويقرأ المولد الشريف في مواضع متعددة، وبالجملة فإن هذه الجمعية لا نظير لها في المدينة المنورة، وفي اليوم السادس عشر منه يقرأ مولد بمسجد سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

وفي اليوم الخامس والعشرين منه يكون قدوم قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها فيكون بهم موسم لطيف. وفي الليلة السابعة والعشرين منه وهي ليلة المعراج ليلة يفرق فيه كل أمر حكيم، وقد قال بأنها ليلة القدر رب خبير حكيم وكل الليالي ليلة القدر إن دنت كما أن أيام اللقاء يوم جمعة ويكون بالمسجد النبوي جمعية لطيفة ومولد حافل قيل وكان الإسراء من بين الحجر والحطيم إلى بيت المقدس الشريف ثم أتى بالبراق وعرج به إلى السبع الطباق قال في المواهب وإنما كان الإسراء ليلاً للتخصيص بمقام المحبة لأن الله تعالى اتخذه حبيبًا وخليلاً والليل أخص زمان المحبين يجمعهما فيه، والخلوة بالحبيب متحققة بالليل. انتهى.

وكم لظلام[2] الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

---

(١) في ب [لثاني].

(٢) في ب [الظلا].

وقد قيل أن الإسراء كان في شهر ربيع الأول، وقيل الآخر، وقيل في شهر رمضان وقيل في شوال وقال بعض الحفاظ لم يقم دليل معلوم على شهر معين وقد حصل الاتفاق على أنه كان في السنة الثانية عشر من البعثة وهل كان مرة أو أكثر منامًا أو يقظة بروحه الشريف أم بروحه وجسده فيه خلاف بين الأمة والذي عليه الجمهور أنه كان مرة يقظه بجسده الشريف والإسراء متعدد ومن أشعار المواهب.

سبحان من أسرى إليه بعبده ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبه وكشكره في صحوه والمحو في إثباته
ويرى الذي عنه تكون سره في منعه إن شاءه وهباته

شعر:

تهن بشهر شعبان المبارك فبالبركات والحسنات زارك
تضاعف أجرك المقبول فيه وأعلى الله منه لنا منارك

شهر شعبان المكرم:

في أول يوم منه يكون خروج قافلة الزوار من أهل مكة وأعمالها وفي الليلة الثانية عشر منه تكون بمساجد الفتح جمعية عظيمة لقراءة المولد الشريف إلى وقت الصباح وفي الليلة[1] الخامس عشر منه وهي ليلة البراءة يقرأ بالمسجد النبوي مولد حافل ويحيى هذه الليلة بالذكر أهل الزوايا وبأنواع العبادة من وفق إليها.

وإذا حلت الهداية قلبًا نشطت للعبادة الأعضاء

قيل وأبهة هذه الليلة تظهر بالقدس الشريف.

مسئلة: يستحب إحياء ثلاثة عشر ليلة في السنة وهي أول المحرم، وليلة عاشوراء، (وأول جمعة من رجب وليلة النصف منه)[2] وليلة سبع وعشرين منه وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيدين وخمس ليال من شهر رمضان وهي أوتار ليالي العشر الأواخر حكاه ابن حجر، ولله در القائل:

إغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنت فارغًا مستريحًا
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه التسبيحا
فاغتنام السكوت أفضل من لغو وإن كنت بالكلام فصيحا

وليلة النصف من شعبان ليلة الحلوى في أكثر البلدان، فإن الناس يطبخونها في

(١) في أ [ليلية]. (٢) سقط من ب.

تلك الليلة ويتطاعمون بها، وأهل الحرمين يخصونها بالمشبك ولها ذكر في الشعر وقد كثر تشبيه المحبوب بهليل شعبان والظاهر أن ذلك لتعلق الابصار به خوف دهمه شهر رمضان، فلذلك يسمى القصير فإن الناس يغتنمون فيه الاجتماع بالأحباب والتنزهات في البساتين حتى قال بعض أهل المجون:

قل لشهر الصيام إنك لا شك ... علينا من الشهور الطوال
صل علينا وطل وثقل وبالغ ... سترى ما يكون في شوال

وما أحسن ما قال:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلاً ... ونويت من بعد المقام رحيلاً
فعليك ألف تحية منا فقد ... طبنا بوصلك مستمرا ومقيلاً

وقيل: لأن الله تعالى خلق النور في ثاني عشر شعبان وقيل وقيل ولم تستفد في بحثنا طول عمرنا سوى أن حفظنا منه قيل وقالوا، ويسمى هذا الشهر شهر الكرامة وفيه يذهب الناس على اختلاف طبقاتهم إلى البساتين فيقيمون بها على قدرتهم وسعتهم في الرزق وأنشدوا:

أقول لمن يمر بأرض نجد ... ليظفر من رباها بالديار
تزود من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
وقل أيضًا لمغتنم صفاءً ... على معنىً يلوح لذي اعتبار
إذ العشرون من شعبان ولت ... فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار ... فإن الوقت ضاق على الصغار

شعر:

نلت في ذا الصيام ما تشتهيه ... ووقال الإله ما تتقيه
أنت في الناس مثل شهرك في ... الأشهر بل مثله ليلة القدر فيه

شهر رمضان المعظم فيه يعمر المسجد بتلاوة القرآن العظيم ليلاً ونهارًا سرًا وجهارًا وتكثر قراءة كتب الحديث فيه كالشمائل والمصابيح والمشارق وصحيح البخاري.

وما أحسن ما قال:

ما لذتي إلا رواية مسند ... قد قيدت[1] بفصاحة الألفاظ

---

(١) في ب [تبدت].

(ومجالس فيها على سكينة   ومذاكرات معاشر الحفاظ)[1]

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ـ (قدس الله تعالى سره العزيز)[2] ـ.

العلم أشرف ما أوتيت من منح   والكشف أعظم منهاجًا وأوضحه

فإن سألت إله الخلق مسألة   فاسأله كشفًا فإن الله يمنحه

وقال غيره:

العلم من طي الدفاتر فاتر   والعلم من نشر الدروس دريس

ما العلم إلا ما أتاك ولم يكن   يدريه لا ملك ولا إبليس

وإذا كان الليل توقد الشموع وتقام صلاة التراويح بإمام حنفي وآخر شافعي في المحرابين على سبيل التناوب، فيختم كل منهما الكتاب العزيز في صلاة التراويح ويكون ختم الحنفي في ليلة التاسع والعشرين والشافعي في ليلة السابع والعشرين ويكون لذلك الختم مجمع[3] عظيم ومهيع كريم، وكل يجد منه بحسب حاله وبالجملة فلا يخلو أحد من إحسان هذا النبي الكريم ونواله[4].

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة   ولست على قدر السلاف تصاب

ولو أنها أعطتك يومًا بقدرها   لضاقت بك الأكوان[5] وهي رحاب

وما أصدق ما قال:

كريم يهاب الدهر حرمة جاره   وما أحد في المحل عن رفده ردا[6]

هو الشمس لكن أرمدتنا يد الهوى   وكيف ترى شمس الضحى مقلة رمدا

وأما الزوايا فإن أهلها بعد صلاة الجماعة يوقدون فيها القناديل والشموع ويقرأ حادي قافية من الوترية وهي قصائد مخمسة مرتبة على حروف المعجم تشتمل على مدح النبي صلى الله تعالى وسلم عليه وكلما قرأ بيتًا منها بالألحان المصوغة المصنوعة قابله الجماعة بالصلاة على النبي بنغمة شجية تهتز لها الأعطاف ثم يصنع كذلك حادي اليسار فيقرأ بيتًا من الطرائفية وهي قصائد تعارض الوترية إلا أن بعضها غزل وبعضها مدح، فلا يزالون كذلك إلى وقت السحر ثم إنهم ينشدون ويعملون الموشحات والأذكار اليمانية ويختمون فيحصل بذلك رفق بالسامعين والمنفردين الذين لا أهل لهم ولا أنيس وفي اليوم السابع عشر من شهر رمضان يذهب المجاورون بالمدينة إلى مسجد قباء يزعمون

---

(١) هذا البيت سقط من ب.
(٢) زائدة في ب.
(٣) في ب [مجموع].
(٤) في ب [ونواله العظيم].
(٥) في ب [بها].
(٦) في ب [ربا].

أن الاتيان إليه في هذا اليوم بخصوصه والصلاة فيه سنة ويذهب كثير من أهل المدينة معهم في ذلك اليوم للزيارة بمقتضى داعية الجمعية وتوقد قناديل المنابر من دخول وقت المغرب إلى طلوع الفجر الصادق اعلامًا بالوقتين لمن كان في أطراف المدينة -ومن لم يسمع الأذان والمنابر بها تسع منها خمس بالمسجد النبوي وأربع خارج السور.

تهن بشهر شوال وعش مسموع أقوال
ودم وابق لقصاد ووفاد وسؤال[1]

شهر شوال المبارك أول يوم منه عيد الفطر يجتمع الناس فيه لصلاة العيد في المسجد النبوي ثم يذهبون إلى زيارة أهل بقيع الفرقد ثم يرجعون إلى أهاليهم وأصحابهم فيتزاورون إلى تمام اليوم الثالث وعلى ذكر العيد فما أحسن ما قال:

إن عيدًا بطيبة وصلاةً بمصلى الرسول في يوم عيد
نعم ضاق واسع الشكر عنها فهي بشرى لكل عيد سعيد
كم تمنيتها فنلت التمني آخر لعمر من كان مكان بعيد
وإذا كان في البقيع ضريحي وتوسدت طيب ذاك الصعيد
فاشهدوا لي بكل خير وبشر عند ربي ومبدئي ومعيدي

ولله در القائل:

قالوا غدًا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة عبد قط ما جزعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما قلب يرى ربه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم[2] إن غبت يا أملي والعيد ما دمت لي مرائي ومستمعا

وفي اليوم الثاني عشر منه يجتمع خدام الحرم النبوي ويذهبون إلى مسجد قباء ثم يتفرقون في البساتين فيقطعون قلوب النخل ليجعلوا منها المكانس التي يكنسون بها المسجد الشريف كما سيأتي فإذا كان وقت الأصيل نزلوا إلى المدينة مع حاشيتهم في موكب عظيم ويبرز أكثر الناس إلى وادي بطحان للتفرج على موكبهم في ذلك الميدان والتباشر بقدوم الحاج ثم إن الخدام من اليوم الثاني والعشرين منه إلى عاشر ذي القعدة الحرام يجتمعون في صفة الخدام مع المنشدين فيجعلون فصلاً من الموشحات والأذكار اليمانية والإنشادات التي أنفاسها رحمانية وصغار الخدام حول الصفة يصنعون المكانس ويقذفون الطيب على من يحضرهم من الخاصة والعامة.

---

(١) هذا البيت سقط من ب.
(٢) في ب [الدهر مأتم لي].

تهن بذي القعدة فقد أبدى لكم مبعده
فلا أخلفك الرحمن في إنعامه وعده

شهر ذي القعدة الحرام في اليوم السابع عشر منه يكون كنيس الحرم النبوي وهو يوم شريف يجتمع الناس فيه في المسجد النبوي ثم يصعد القاضي وشيخ الحرم مع الخدام والفراشين إلى سطح المسجد الشريف فيكنسونه ويرمون من دائرة في صحن المسجد للفقراء والأطفال التمر والفتوت وهم ينادون العادة يا سادة ثم إنهم ينزلون إلى الروضة المطهرة فيرفعون ما فيها من المصاحف والأجزاء التي داخل الحجرة المعطرة خوفًا عليها من هجم الحجاج ثم يرفعون البسط إلى الحواصل التي بالمسجد الشريف ثم يذهبون إلى البساتين وما في معناها وهو يوم معدود من الأعياد وعادات للسادات سادات العادات وربما أنكر ذلك بعض الواردين إلى المدينة الشريفة من أصحاب الأغراض بل الأمراض الباطنية بشهادة أفعالهم الدنية وكيف يجوز الطعن على جيران سلطان الأنبياء في سنة مشى عليها الأولون ولم ينكرها عليهم علمائهم وما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن ولكنها الأهواء عمت وأعمت.

ولو أنها تمشي الهوينا عذرتها ولكنها تمشي وتسرع في الوحل

وفي اليوم السابع والعشرين منه يكون قدوم الركب الشامي وهو يوم معدود وموسم مشهود لا يبقى في المدينة كبير ولا صغير ولا جليل ولا حقير حتى تشمله بركته وتعود عليه بخير حركته ثم إن أمين الصرة يأتي إلى المسجد النبوي بالأمانات الرومية فيفرقها على أهاليها ويسلم الوظائف السلطانية إلى حكام المدينة السنية فتفرق على أصحابها وهم على هذه المنن والصلات والخيرات والهبات منهم الضالع ومنه الضليع ومنه الناهض ومنهم المقعد ولا يزال التقدير يضحك من التدبير والله غالب على أمره وهو الواحد في الكل المتصرف بحكمته في مملكته كما يشاء ليس لك من الأمر شيء من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه والله من ورائهم محيط.

نكتة:

قال بعض أهل المدينة:

أيام هذا الموسم ثلاثة، اليوم الأول يظهر برقيقة من رقائق قوله تعالى ﴿يوم تشخص فيه الأبصار﴾ واليوم الثاني يظهر بسر قوله تعالى ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ واليوم الثالث يظهر بلطيفة من لطائف قوله تعالى ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾.

وأما المجلوب إلى المدينة من فواكه الشام وكسوتها وتفاريقها فيعجز القلم عن

وصفه وبه يظهر وبتسمية المدينة المنورة أكالة القرى والحمد لله على هذه الأنعام والله تعالى يخلد هذه النعم بدوام أيام دولة آل عثمان إلى يوم القيامة.

وافاك ذو الحجة ياذا الحجا بكل ما يرجوا وما تطلب
يهفو الذي ناداك بين الملا وكل من والاك لا يغلب

شهر ذي الحجة الحرام، بكسر الحاء أفصح من فتحها.

قال الراجز:

وفتح قاف قعدة قد صححوا وكسر حاء حجة قد رجحوا

في أول يوم منه يكون خروج قاصدي الحج من سكان المدينة المنورة ممن ساعدتهم الأيام وجنبتهم موجبات الملام.

وما أحسن ما قال:

يا قاصَدين حمى ليلى وقد ضمنت لقاصديها من الأيام أفراحا
إنا أقمنا على عجز ومسكنة ومن أقام على عجز كمن راحا

وقال السراج عمر الأشهل الأنصاري:

للحج فضل وكل من عرفه يسعى على رأسه إلى عرفه
فقل لمن خيموا بسفح منى وخلفونا من بعدهم ضعفه
ليالي الصيف في مدينتنا تحكي ليالي منى ومزدلفه

ولله در القائل:

إذا زمزم الحادي بألحان سجعهم وسابقه ركب من الدمع في خدي
صبغت مجمر من الجفن بعدهم من الرمل مبيضا لأرعى لهم عندي

مسئلة: هل تكون وقفة الجمعة بسبعين حجة؟

قال ابن القيم الجوزية: ليس لذلك أصل ولا رأينا نقلاً في ذلك لكن ينبغي أن تكون أفضل من غيرها كما إن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام كذا في مناسك ابن زيد المالكي قاله صاحب زهر البساتين وقال الملا على القاري في شرح لباب المناسك لوقفة الجمعة مزية على غيرها بسبعين درجة وقد ألفت في هذه المسألة رسالة سميتها الحظ الأوفر في الحج الأكبر.

وقال الحج لا يكفر شيئًا من المظالم المتعلقة بحقوق العباد بل يبقى على ذمته حتى يؤديها إلى أهلها أو يستحل منهم أو يكون تحت المشيئة.

وفي شرح منية المصلى للحلبي: يؤخذ في مقابلة دانق من مال الغير سبعمائة صلاة مقبولة.

وما أحسن ما قال:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم ... وما عليك إذا أذنبت من بأس

الإثنين فلا تقربهما أبدًا ... الشرك بالله والإضرار للناس

ويرحم الله القائل:

من نال مني أو علقت بذمته ... أبرأته لله شاكر منته

أنا لا أعوق مؤمنًا يوم الجزاء ... أنا لا أسوء محمدًا في أمته

والله لا طالب عبدًا عنده ... ولئن طلبت رجوت واسع رحمته

مسئلة: هل كان الحج واجبًا على من كان قبلنا أولاً فيه خلاف.

قال ابن الخليل: الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة وأما مشروعيته فمستمرة من آدم عليه السلام بل قبله إلى آخر الدهر فحجة الأنبياء والملائكة عليهم السلام كذا في جمع المناسك وفي اليوم التاسع من ذي الحجة يجتمع الناس بالمسجد النبوي يتعرضون لنفحات الله تعالى وكان عليه الصلاة والسلام يقف في مثل هذا اليوم بعرفات وهو موضع بقباء[1] وقد تقدم ذكره.

وفي اليوم العاشر منه يكون العيد الأكبر فيكون فيه ما يكون في عيد الفطر من التزاور والتطاعم بزيادة الأضاحي.

وما أحسن ما قال:

تهن بعيد النحر وانحر به العدا ... فلا زلت مسعودًا ولا زلت مسعدا

ولا زال ما تهواه منك مقربًا ... وكل الذي تشنأه عنك مبعدا

فائدة: في كتاب البركة في السعي والحركة عن السلف.

صيام يوم من عشر ذي الحجة ... يعدل صيام سنةً وليلةً[2]

منها بليلة القدر.

وأنشدوا:

---

(١) لم أجده.

(٢) هذا البيت سقط من ب.

صم عشر ذي الحجة وارغب إلى ... رب العلا في الفوز بالجنة
فهو كما قد جاء لمن صامه ... في عرصات الحشر كالجنة

تتميم: رأيت بخط بعض الفضلاء أن من كانت (له إلى الله تعالى)[1] حاجة وأتى إلى قبر سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق وهو في قبلي باب البقيع من داخل السور وذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة فصلى ركعتين وقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص بالإخلاص مائة مرة وصلى على النبي صلى الله تعالى وسلم عليه ـ وتوسل إلى الله تعالى في قضاء حاجته.

قضيت بعناية الله تعالى وكرمه وما زال هذا الشهر يعرف في المدينة المنورة[2] باللأواء[3] وضيق الصدر ولم تزل فيه[4] النفوس تترقب الأخبار إلى العشرين منه فيردها[5] بعض أهل البركات[6] من الحجاج ثم لا تزال تتصل القوافل وتدور أحكام الأيام كما يريد الملك العلام إلى أن يبلغ الكتاب أجله والله سبحانه وتعالىٰ أعلم وأما ما يتعلق بالسنة الشمسية وهي أربعة فصول.

فصول لأوقات[7] الزمان جميعها ... بأربعة معتادة[8] العود والكر[9]
ربيع وصيف مع خريف وبعده ... شتاء إلى يوم القيامة والحشر

الفصل الأول وهو[10] فصل الربيع وهو ثلاثة بروج الأول برج الحمل وهو أول السنة البروجية وأول يوم منه يوم النوروز فيه يعتدل الزمان ويطيب الهواء وتنحسم مادة الأدواء وتتنسم نسمات الأسحار وتتبسم أنوار الأزهار ويسجع الأطيار على الأغصان، وتنشد بلسان حال البستان:

هذا الربيع وهذه أنواره ... طاب الزمان وأورقت أشجاره
فأطرب على صوت الهزار ... وغني هذا هواك وهذه آثاره

وقال ابن تميم:

بعث الربيع رسالةً بقدومه ... للروض فهو بوصله فرحان

---

(١) سقط من ب.
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [الأدواء].
(٤) زائدة في أ.
(٥) في ب [فيرد هاب].
(٦) في ب [الركاب].
(٧) في ب [أوقات].
(٨) في ب [مقادة].
(٩) في ب [والمكر].
(١٠) سقط من أ.

والطيب ما قرأ الهزار ... بشجوه مضمونها مالت[1] به الأغصان

وقال غيره:

ضحك الروض من بكاء الغيوم ... وحكى زهره لزهر النجوم
وقدوم الربيع أحيى ... الأراضي بآقاح تبسمت للقدوم
ولسان الطيور سبح لما ... شاهدت في الحديث صنع القديم
وغصون الرياض مالت ... في حلي الزهر ميل قد قويم
فاعتنق من صفاء عيشك غصنًا ... سوف تثنيه عنك أيدي الهموم

لطيفة: قال ابن غانم في كتابه كشف الأسرار واختلاف الهواء[2] في الفصول الأربع بما هو أصلح وأنفع فيهب في الربيع شمالاً فيلقح الأشجار ويعدل الليل والنهار ويهب في الصيف صبا فينمي الأثمار (ويزهي الأشجار ويهب في الخريف جنوبًا)[3] فتأخذ كل ثمرة حد طيبها وتستوفي حق تركيبها ويهب في الشتاء دبورًا فيخف عن كل شجرة حملها ويجف ورقها ويبقى أصلها فيه تنمى الثمار وتزهى الأشجار وتسلسل الأنهار وتستروح الأسرار.

ألم تر أن نسيم الصبا ... له نفس نشره صاعد
فطورًا يفوح وطورًا ... يسبق[4] كما يفعل الواجد الفاقد
وسكب الغمام وندب الحمام[5] ... إذا ما انثنى الغصن المايد
ونور الصباح ونور الأقاح[6] ... إذا هزه البارق الراعد
ووافى الربيع بمعنىً بديع ... يترحمه ورده الوارد
وكل لأجلك[7] مستنبط لما ... فيه نفعك يا جاحد
وفي كل شيء له آيةً ... تدل على أنه الواحد
وكل لآلائه ذاكر ... مقر له شاكر حامد

وقال:

يا طيب ما نقل النسيم ... لمسمعي عن نشر ذياك المحل الأرفع
هب النسيم صبًا ليبرد لوعتي ... فأثار نار تحرقي وتوجعي

---

(1) في ب [سالت].
(2) في ب [الأهواء].
(3) سقط من ب.
(4) في ب [يروح].
(5) في ب [الغمام].
(6) في ب [ولاح].
(7) في ب [من].

مـــا ذاك إلا أنـــهـــا لـــمـــا ســرت ... مـرت عـلـى تـلـك الـربـا والأربـع
وأنـــت بـــوصـــف أحـــبـتـــي فـــي ... طيبها فسكرت حتى لا أفيق ولا أعي
وافـت تـبـشـرنـي بـلـيـلـى أنـهـا ... في حسنها سفرت ولم تتبرقعي
وجـلـت عـلـى عـشـاقـهـا فـي ... حانها وجهًا تمنع في حمى متمنع

وقـال:

هـبـت لـنـا ريـح شـمـالـيـة ... أتـت إلـى الـقـلـب بـأسـبـاب
أدت رســـالات الـــهـــوى ... بيتًا عرفتها من بين أصحابي

وقـال:

يـحـدثـنـي الـنـسـيـم عـن الـخـذامـا ... ويـقـريـنـي عـن الـشـيـخ الـسـلامـا
ويـسـري تـحـت جـنـح الـلـيـل سـرًا ... فـيـوقـظـنـي وقـد هـجـع الـنـدامـا
وأسـكـر مـن شـذاه حـيـن يـسـري ... كـأنـي قـد تـرشـفـت الـمـدامـا
أهـيـم بـنـشـره طـربًـا وسـكـرًا ... فـيـبـدي الـبـرق من طربي ابـتـسـامـا
تـمـر عـلـى الـريـاض، ريـاض ... نجد فتنعطف الفصول له احتشاما
ويـقـلـقـن حـمـام الأيـك نـوحًـا ... ويـذكـرنـي بـالـمـنـازل والـخـيـامـا
خـيـامًـا تـجـمـع الأحـبـاب فـيـهـا ... وفـيـهـا يـبـلـغ الـقـلـب الـمـرامـا
تـجـلـى وجـه مـن أهـواه فـيـهـا ... بـحـسـن نـوره يـجـلـو الـظـلامـا

في العشرين من الحمل يكون طلوع الفرغ المؤخذ مع الفجر وفي[1] الرابع عشر منه[2] يتوسط مع الفجر أول الشولة وفي اليوم الحادي والعشرين منه يدخل نيسان وفي اليوم الحادي عشر من نيسان وهو أول الثور يكون عيد النصارى وأول الخماسين يوم الاثنين بعده وهي أثقل أيام السنة على الأجساد.

والثاني: برج الثور في اليوم الثاني منه يتوسط مع الفجر رابع الواردة ويتوسط راعي النعائم في الرابع عشر ونير البلدة في السابع عشر الثالث برج الجوزاء وينتهي طول النهار وقصر الليل في آخره ويتوسط شمالي سعد الذابح في ثامنه وتطلع الثريا في عاشره ونير بلغ في سادس عشرة ونير سعد السعود حتى السابع والعشرين منه.

الفصل الثاني: فصل الصيف وهو ثلاثة بروج: الأول: برج السلطان وهو برج الانقلاب الصيفي وأبان الفواكه والثمار ويتوسط في عاشره وسط الأخبية وفي ثامن عشرة شمالي الفرغ المقدم.

---

(١) سقط من ب.
(٢) سقط من أ.

الثاني: برج الأسد وفيه يشتد الحر وفي أوله يتوسط شمالي الفرغ المؤخر وفي ثالث عشرة الرشا وفي الثاني والعشرين منه شمالي الشرطين الثالث برج السنبلة يتوسط نير البطين في خامسها وفي ثامنها تطلع الجبهة وسهيل وإذا ناث سقطت الجمرة الأولى في الهواء قال الصفدي في تذكرته الجمار ثلاثة كواكب زاهرة تطلع في آن واحدًا بعد واحد فيكون بطلوعها أول البرد ثم تنحط في سباط فيكون بسقوطها زواله وفي سابع عشر السنبلة يتوسط نير الثريا وفي الخامس والعشرين منها يتوسط نير الدبران وفيها تكثر السحب الفارغة وتجد النخيل.

الفصل الثالث: فصل الخريف وهو ثلاثة بروج برج الميزان وفيه يعتدل الزمان ويأخذ النهار في النقصان ويسمى المهرجان وهو زمان زرع الحنطة والشعير وطيب الهواء في الروض النضير.

قال ابن الوكيل:

وكما جلا وجه الخريف محاسنًا ... وصفق ماء النهر إذ غرد القمري
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه ... فنقط وجه الروض بالذهب المصري

وقال الحكيم:

إحذر أمن هذا الخريف فإنه ... مستعذب متلطف خطاف
يسري إلى الأجساد[1] في عنق الدجى ... بلطافة ومن اللطيف يخاف

في الحادي عشر[2] من الميزان تتوسط الهقعة مع ثاني النظوم وفي الخامس والعشرين منه يتوسط نير الهقعة الثاني برج العقرب يتوسط في عاشره أجر الزراع وفي الثالث والعشرين منه تتوسط النشرة الثالث برج القوس وهي نهاية الليل وغاية قصر النهار.

وفي ذلك يقول القائل:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها ... وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقواس أضحت وهي نازلة ... إن لم يزرني وبالجوزاء أن زارا
في ثالثه يتوسط شمال الطرف ... وفي ثاني عشرة قلب الأسد
جنوني جبهة[3] الأسد وفي ... الثامن والعشرين تطلع[4] منه الزبره

---

(١) في ب [الأحياء].
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [جهة].
(٤) سقط من أ.

الفصل الرابع: فصل الشتاء وهو ثلاثة بروج الأول برج الجدي وهو أول الليالي وتسمى الأربعين ويباري طوبه بحساب الزراعين أو هي في النصف منه بحساب أهل التاريخ وفيها يشتد البرد ويحسن غرس الأشجار والكروم وفيه يبدو الطلع.

وأنشد لنفسه قطب الدين إلحنفي في باب التورية:

توق من الشتاء ولا تخاطر بنفسك قائلاً إني جليد

فرضنا أن جسمك من حديد فهل يقوى على البرد الحديد

يتوسط الطرف في سابعه وزاوية العوافي ثالث عشرة والسماك في آخره وتطلع التوله في سادسه ومن غريب الأخبار أن المال المدفون عند طلوعها لا يوجد إلا عند طلوعها[1].

ثانيًا: من العام القابل الثاني برج الدلو وهو قلب الشتاء ويباري أمشيرًا وهو في السادس العشر منه وهو برج الحصاد وفيه يحسن غرس النخل والبطيخ ويتوسط العقرب ثاني عشر.

الثالث: برج الحوت فيه تكثر الأهوية وفي الحادي عشر منه يطلع سعد السعود ويجري الماء في العود ويقال غرس النخيل في الحوت من عمل أهل البخوت ويتوسط في أوله شمالي الزبانا وفي رابع عشرة نير جبهة العقرب وفي الثالث والعشرين منه قلب العقرب وعلى هذا تدور الفصول.

أدام الله عزك في سعود بها وبمجدك العالي تصول

وأفلاك السعادة دائرات بجاهك ما تعاقبت الفصول

مسئلة: إذا كان الفرقدان فوق الجدي فالمتوسط الزبانا فإذا كانا غربية في محاذاته فالمتوسط سعد بلع فإذا كانا تحته فالمتوسط البطين فإذا كانا شرقية فالمتوسط الطرف.

مسئلة: لسقط في الماضي من أيام السنة القبطية ستة[2] وقيل سبعة ومن الباقي لكل منزلة من الزبدة ثلاثة عشر إلا منزلة آخر السنة فتسقط لها أربعة عشر في البسيطة وخمسة عشر في الكبيسة فالمنزلة الطالعة بالفجر حيث[3] تنتهي والغاربة الخامسة عشر منها[4].

قاعدة: يغيب القمر في كل ليلة على مضى ستة أسباع ساعة من أول الشهر فإذا

(١) سقط من ب.

(٢) سقط من ب.

(٣) سقط من ب.

(٤) من ب [عشريتها].

كانت الليلة الخامسة عشر طلع على مضي ستة أسباع ساعة وهكذا إلى تمام الشهر وجه آخر يغرب القمر على مضي نصف سبع الليل من أول الشهر[1] وفي الليلة الثانية على سبع وهكذا ويطلع ليلة الخامس عشر على نصف سبع وهكذا فإذا ضربت ماضي ليالي النصف الأول من الشهر في أربعة وطرحت الخارج خمسة خمسة كانت كل خمسة ساعة مضت من الليل وقت غروب القمر إلى أربعة عشرة وهكذا تفعل بالماضية بعد ذلك وما بقي أقل من خمسة فهو من أخماس ساعة.

قاعدة: زد على الماضي من السنة القبطية مائة وخمسة وسبعين يومًا واطرح من المجموع لكل برج من الحمل ثلاثين فحيث تنتهي تكون[2] درجة الشمس فإن زاد المجتمع على دور فاجعل لكل برج مما زاد واحد وثلاثين وهكذا.

قاعدة: خذ للقبطي ما زاد على اثنين وتسعمائة من السنين العربية بالقبطية التي دخلت فيها وأسقط منه الازدلاف وهو أن تخرج السنة العربية ولا تدخل فيها سنة قبطية وزد على الباقي ألفًا ومائتين وثلاثة عشر فما اجتمع فهو عدد السنين القبطية زد عليها خمسمائة وتسعين يحصل عدد سنتك السريانية التي تدخل في طوبه[3] من تلك السنة القبطية وعدد السنة الرومية التي تدخل في طوبه من تلك السنة المفروضة وإذا أردت معرفة ما أنت فيه من الأشهر القبطية فاحسب ما مضى من السنة العربية شهرًا تامًا وشهرًا ناقصًا فما اجتمع زد عليه أس[4] السنة القبطية وهو عبارة عن الماضي منها قبل دخول سنتك العربية فإن كان المجتمع أقل من سنة قبطية فاطرحه ثلاثين ثلاثين وابدأ من نوت تنتهي إلى شهرك القبطي وإن كان المجتمع أكثر من سنة فاطرح سنة وافعل بالباقي كما تقدم.

قاعدة: الثالثة والرابعة من السنين العربية والقبطية كبيسة وماعدا ذلك سابط فائدة الكواكب ما عدا السمقة السيارة في الفلك الثامن ويسمى المكوكب وأصغر كوكب يرى[5] من الثوابت كالسها أكبر من زحل، وزحل مثل كرة الأرض إحدى وتسعين مرة وقطر الأرض سنة آلاف وخمسمائة وأربعة عشر ميلاً كذا في كتاب سر الفلك.

نكتة: قال بعضهم العالم كرة والأرض نقطة والأفلاك قسي والليالي أوتار والحوادث سهام والإنسان هدف والله الرامي فقروا إلى الله منه انتهى[6].

---

(١) في ب [من الليل].
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب [بابه].
(٤) في ب [من].
(٥) زائدة في أ.
(٦) سقط من أ.

قال في الفتوحات المكية:

إذا قلت يا مولاي قال لما تدعو ... وإن[1] أنا لا أدعو يقول ألا تدعو

لقد فاز باللذات من كان أخرسًا ... وخصص بالراحات من لا له سمغ

تتميم: لا ريب في أن أهل المدينة المنورة من أسعد هذه الأمة بجوار سلطان الأنبياء وصدق التوسل به والانتماء[2] إليه صلى الله وسلم عليه وأوصاف الأشراف أشراف الأوصاف على أن في المدينة قومًا من أهاليها كأنهم لآليها تنازعوا درة بينهم وأوجبوا الرضيع الكأس ما يجب لا يحفظون على النشوان زلته ولا تريبك من أخلاقهم ريب.

شعر أوهم كما قال:

قوم هم في الدجا للناس أقمار ... وهم لمن هجروا الأوطان أوطار

وأين حَلوا يحل الخصب حومتهم ... كأنهم مثلما قد قيل أمطار

هم العيون فإن تبصر هدىً فبهم ... وفي الهدى ليس بعد العين آثار

سلهم وسل عنهم إن كنت ذا وطر ... فعندهم لذوي الحاجات إيثار

وحل حلتهم تسعد فيهم غرب ... تحمي النزيل ولا يؤذى لهم جار

وانعم إذا كنت تهواهم بعيشتهم ... وأصحبهم إن تأت يومًا بك الدار

أو كما قال:

قوم بأحمد في الأنام تمسكوا ... وبتربة بين الكرام تمسكوا

وبحبه في العالمين تهتكوا ... بواديه[3] حج لهم وتنسك

ولا يرتجون سواه في مقصود

يرجون أحمد عند غايات المنا ... وبه يزيلون المشقة والعنا

متوسلين به يرومون الفنا ... لله در قلوبهم لهم الهنا

خلوا به في المنزل المسعود

الحب أبلاهم وأنحل جسمهم ... والمحق[4] أفنى في الحقيقة رسمهم

قد أدغموا في حب أحمد إسمهم[5] ... مذ صيروا داع المحبة رسمهم

---

(١) في ب [وإذ].

(٢) في ب [الانتهاء].

(٣) في أ [بوداده].

(٤) في ب [والحق].

(٥) في ب [سهمهم].

فهم لأحمد من أقل عبيد

قدأشربوا كأس المحبة مترعًا فلذلك قد صرعوا فيا لك[1] مصرعا

نالوا الفخار به وطابوا منبعًا وزهت فروعهم لغصن أينعا

فهم بأحمد في علا وصعود

متحققين بنوره في قدسهم أحياء قد عاشوا به في رمسهم

متطلعين لحسنه في أنسهم متبشرعين بفعله في حسهم

خلفاؤه في عزه وسعود

وليهم[2] الرحمن عنه نيابةً ملك الوجود عنايةً ومثابةً

نالوا بأحمد في الأنام مهابةً نور تلبيه القلوب إجابةً

مهما دعا للعشق ود ودود

وأنشد لنفس العفيف التلمساني قدس سره العزيز:

عندي بكم يا أهيل كاظمةً أسرار وجد حديثها عجب

أرى بكم خاطري يلاحظني من أين هذا الإخاء والنسب

وقال آخر:

ألا إن لي في أرض طيبة جيرةً شددت بهم مهما ضرا حادث أدرى

كرام إذا ألقى الزمان صروفه جعلتهم في كل نايبة ذخرى

وما أحدثت أبدى الزمان اساءةً ووافيتهم إلا انتقمت من الدهر

إذا كان عمر المرء طيب حياته فإن طريف المال كالواو في عمرو

من أهل المدينة من رضي بالمقيل في خمائل الخمول وجسم إلا عن الضروريات مادة المأمول فلا تراه إلا مجموعًا في ذاته ممتعًا في وجوده بلذاته فقد أثر الوحدة على الاجتماع وضيق المعاش على الاتساع متمثلاً في هذا الحال بقول من قال:

إذا قنعت بقوت ولبس ثوب مرقع

ولم يكن لي عيال نفسي لهم تتفجع

ولا بنون صغار قلبي بهم يتقطع

ولا صديق صدوق فراقه أتوقع

وكأن لله نسكي فما بي الدهر يصنع

---

(١) في ب [فيا له].

(٢) في ب [ولاهم].

وقال آخر:

للـه تحت قباب العزِّ طائفة — أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة — استعبدوا من ملوك الأرض إقبالا
غير ملابسهم شم معاطهم — جروا على ملك الخضراء أذيالاً
هذي المناقب لا ثوبان من عدن — خبطًا قميصًا فعاد بعد أسمالاً

يروى أن الرشيد ظفر من خزائن بني أمية برقعة من الحرير الأخضر مكتوب فيها بالذهب الأحمر هذان البيتان:

إذا سد باب عنك من دون حاجةً — فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه — ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها

فقال:

ولا تك مبذالاً لعرضك واجتنب — ركوب المعاصي يجتنبك عقابها
وسم بجميل العبر نفسك واغتنم — شريف المزايا لا يفتك ثوابها
تعش سالمًا والقول فيك مهذب — كريم وقد هانت عليك صعابها
وتندرج الأيام والكل ذاهب — يمر ويفنى عذبها وعذابها
وما الدهر إلا من يوم وليلة — ولا العمر إلا طيها وذهابها

وقال آخر:

أخص الناس بالايمان عبد — خفيف الحاد[1] شيمته الوقار
له بالليل حظ من قيام — ومن صوم إذا جاء النهار
وفيه عفةٌ[2] وله خمول — إليه بالأصابع لا يشار
تقل الباكيات عليه إن ما — قضى نحبًا وليس له يسار
فذاك قد نجا من كل هم — ولم تمسه يوم الحشر نار

ومنهم المحسن والمؤثر على[3] نفسه على ضيق الحال وشدة البأس وكان يقال:

ليس العطاء من الفضول[4] سماحة — حتى تجود وما لديك قليل

وما أوقع ما قال:

الناس اثنان في زمانك ذا — أن تبتغي غير دين لم تجد

---

(١) من ب [ألحاف].
(٢) في ب [خفه].
(٣) من ب [الموسر].
(٤) في ب [فضول].

هـذا بـخـيـل وعـنـده جـده   وذا جـواد بـغـيـر ذات يـد

وكان يقال: الكريم من إذا وهب لم يهب وكان يقال أجدني أشتهي ما لا أجد وأجد ما لا أشتهي. وكان يقال جد بما تجد. وقال الحكيم:

إذا جـاد عـلـيـك الـزمـان   فـجـد فـيـه لـلـنـاس وابـسـط يـداك
وإن أمـسـك الـدهـر عـنـك الـغـنـى   فـنـفـسـك دنـهـا ودع مـن عـداك

وقال:

الجود وجد فإن لم يأت عن سعة   فذاك ضرب من التبذير والكلف
فإن وجدت فلا تبخل وإن عدمت   يداك فاحذر من الإملاق والتلف

وقال آخر:

إذا وصل الدهر أيدينا لمكرمة   ثم امتنعنا فلا نلنا آمالينا
أو عاند الدهر إذ بالفجر خصصنا   فالذنب للدهر كف الفجّر أيدينا

وقـال:

رب حـي لـمـيـت لـيـس فـيـه   أمـل يـرتـجـي لـنـفـع وضـر[1]
وعـظـام تـحـت الـتـراب وهـي[2]   في الأرض منها آثار حمد[3] وشكر

وقال لسان الحال:

قوم مضوا كانت الدنيا تزان بهم   والدهر كالعيد والأوقات أقوات
ماتوا وعشنا فعاشوا بعد موتهم   ونحن في صور الأحياء أموات

ومنهم من يكتسب وتكون به الخصاصة التامة والفاقة العامة، فلا تراه يشكوا مضرته ولا يقبل من أحد منته بل ينتظر الفرج من رفيع الدرج ويستدين على آماله في رحمة الله ونواله وكان يقال سعف النخيل خير من اسعاف الخليل.

وكان يقال:

لا تـظـهـرن لـعـاذل أو عـاذر   حـالـيـك فـي الـسـراء والـضـراء
فـلـرحـمـةُ الـمـتـوجـعـيـن حـرارةٌ   فـي الـقـلـب مـثـل شـمـاتـة الأعـداء

وكان يقال من الخطوب المدلهمة، عزة النفس وبعد الهمة ولا يصلح للإخاء غير أهل السخاء وكان يقال حسبك كسبك ولا يخلق الديباجة كالحاجة.

---

(١) في ب [ولا].   (٢) في ب [وفوق].   (٣) في ب [ولا].

تـوكـل ولا تـتـكـل واحـتـسـب ... فـمـا ذاك صـد عـن الإتـكـال
وإن اكـتـسـابـك فـي نـفـسـه ... بـمـحـض اتـكـال عـلـى كـل حـال

قال بعضهم مضغ القيصوم والشيح خير من النظر إلى الشحيح، وإنما الشهد من وراء الجهد، والحر المحتاج إذا وقع في اللجاج يتجزى بالبقل ويقنع به وإن قل.

الـمـلـح والـكـرات أشـهـى عـنـدنـا ... مـن أكـل مـامـولـيـة[1] بـالـسـكـر
ومـشـاهـد الـحـرمـيـن أعـلـى رتـبـةً ... مـن أن نـقـيـم بـدار مـلـك أكـبـر

وقـال:

كـسـرة خـبـز وكـف مـلـح ... وفـرد ثـوب مـع الـسـلامـة
خـيـر مـن الـعـيـش فـي نـعـيـم ... تـكـون مـن بـعـده نـدامـة

وقـال:

نـصـف رغـيـف مـشـبـع لـمـن أكـل ... فـالـذل مـن أي الـوجـوه يـحـتـمـل
هـون عـلـى نـفـسـك فـالـدهـر دول ... والـغـايـة الـمـوت وإن طـال الأمـل

وقـال:

مـطـيـتـنـا لـلـمـنـزل الـرحـب صـبـرنـا ... على الضيم إن النفع في ذلك الصبر
ومـن يـقـتـبـس نـار الـكـلـيـم فـشـرطـه ... ولا بـد تـرك الأهـل بـالـطـوع وبـالـجـبـر

وقال أبو حيان:

إذا الـمـرء أضـحـى لـلـمـراد مـطـلـقًـا ... وحـاز عـنـان الـنـفـس فـهـو مـوفـق
وإن دام مـحـجـوبًـا بـأهـل ومـوطـن ... فلا شـك في بحر التساويف يغرق

على أن المطلوب من الدنيا سلامة الديباجة، ومفارقة ذل الحاجة، وإلا فقد جاء أن آدم عليه السلام كان زراعًا، وصح أن سبعين نبيًا ماتوا جياعًا[2]. والحمد لله الذي كرم بني آدم بمزيتي العقل والتبيين، وخلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ومن دعاء أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذر جاهي بالاقتدار فاسترزق طالبي برزقك، واستعطف شرار خلقك، فامتحن بحمد من أعطاني، وافتتن بذم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع إنك على كل شيء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير.

---

(١) في ب [مامونيّة].

(٢) في ب [جوعًا].

يا رب لا تحيني إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد
خذ بيدي قبل أن أقول لمن أراه عند القيام خذ بيدي

ومن حسن التوسل:

إلهي قد مننت بكل خير علينا من مواهبك الجزيلة
وقد عودتنا لطفًا جميلاً فلا تقطع عوائدك الجميلة

ومنه:

إلهي أنت تعلم أن ضعفي بعفوك من عذابك يستجير
وإني يا غنيًا عن عذابي إلى أن لا تعذبني فقير

ومنهم المبتلي بأسنه الأسنة[1]، والله أعلم بالسرائر، وكان يقال: لا سلامة من الناس ولا غنى عنهم؛ فاصحبهم على قدر الحاجة.

وما أوقع ما قال الأمير علي بن المغربي:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجبك[2] إن أسلمتك الأباعد
فلا تشك أحداث الليالي إلى امرء فما الناس إلا حاسد ومعاند
إذا وطن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يغفى على الضيم ماجد
وبث حبال الوصل فمن توده إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
وقل لليالي كيفما شئتي فاصنعي فإن على الأقدار تأتي المكائد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله فطعم المنايا كيف ما ذقت واحد
(فياذا النهى كم ذا المقام على القذى)[3] وفي العزم حاد للمطايا وقائد
فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى نجد فللأعمار[4] لا بد حاصد
فليس بصعاد إلى ذروة العلى نؤم تناديه العلى وهو راقد
وفي السعي عذر للفتى لو[5] تعذرت عليه المساعي أو جفته[6] المقاصد
خليلي كم لهوى[7] الليالي وهمتي تناولني الجوزاء والجد قاعد

---

(١) في ب [الألسنة].

(٢) في ب [فلا عجب].

(٣) في ب [فياذ النهى كيف ما شئت المقام على القذا].

(٤) في ب [فلا بد للأعمار].

(٥) في ب [أو].

(٦) في ب [على وصفته].

(٧) في ب [أطوى].

وكم ذا أناجي همه دون همها نجوم الثريا والسها والفراقد

وقال آخر:

لأجلك يا من شرف الله قدره تجرعت كأس المر من معشر البلوى

ولولا غرام لي بطيبة لم أكن أذل لمن يسوى ومن لم يكن يسوى

ومن أهل المدينة من ساعدته الأقدار، ولحظة الطالع السعيد، فجمع له بين الحسنتين وادخل في حيطة لا يسمعون حسيسها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان يقال:

إذا حلت العناية بقطر من الأقطار سكبت اللآلىء فيه الأمطار

إذا عرضت فالأهل[1] مني أجانب وإن أقبلت فالأجنبي نسيب

وما أصدق ما قال:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد[2] بها العنقاء فهي خبائل واقتد بها الجوزاء فهي عنان

والغالب على طباع أهل المدينة، محبة التنزه، والاجتماع الخالي عن الكلف بحسب ما يقتضيه الحال، وربما افصحوا عن حالهم بقول من قال:

إذا ما اجتمعا طاب بالأنس وقتنا وطبنا بجمع بالأحبة سالم

وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا وما الأكل إلا من صفات البهائم

وقال آخر:

روح الروح براحات الأمل وتعلل بعشي ثم لعل

ما تناهى الشيء إلا وانتهى وبدا النقص به حيث كمل

وقال:

وعنوان شأني ما أبثك بعضه وما تحته إظهاره فوق قدرتي

ويحسن إظهار التجلد للعدى ويقبح غير العجز عند الأحبة

وقال:

إذا كنت في حالي صلاحك والهوى رحيم ظنون الناس بالقيل والقال

فما الرأي إلا أن تكون بحالة ترى النفس فيما تشتهي ذات إقبال

ومن أهل المدينة من يرى ركوب البريد في طلب الثريد[3] وفيهم من هو أثبت في

---

(١) في ب [فالأفضل]. (٢) في أ [واصطه]. (٣) في ب [البريد].

الدار من الجدار وأطفل من الليل على النهار، وفيهم من هو حرف جاء لمعنى في غيره، وفيهم من هو من أفراد عموم لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا، وفيهم والله واسع عليم.

لنا عتب على سلمان سلع وحاشى المازنية من عتاب

أنشد لنفسه السيد حسن بن شدقم الحسيني:

وليس غريبًا من نأى عن دياره إذا كان ذا مال وينسب للفضل
وإني غريب بين سكان طيبةً وإن كنت ذا مال وعلم في أهلي
وليس ذهاب الروح يومًا منيةً ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل

قال ابن فرحون في تاريخ المدينة: وكان رؤساء المدينة يوالون المجاورين ويخدمونهم ويتقربون إلى خواطرهم بقضاء الحوائج، والهدايا والطرف مع حسن الاعتقاد فيهم، والتماس أدعيتهم وبركتهم.

قلت: الموجب لذلك عفة من كان يرد عليهم، وما اشتملوا عليه من حسن السيرة، وصفاء السريرة، لا كأيامنا التي لا يرد علينا إلا المنهوم الذي لقطته افاقه، وتجافته رفاقه، فلا يلبث بها حتى ينازع أهلها فيما بأيديهم، ويطعن في أعراضهم، وهو في ناديهم، لا يعرف بهم حق التقدم والجوار، ومتى ما أمكنه الغدر أغار.

ولست على غيب أحيلك لا ولا على مستحيل موجب سلب حيلتي

وقال بعض العقلاء:

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
وما أخس أن يرمي[1] الفتن قذى[2] النقص عنه بانتقاص الأفاضل

فترى الوداد اليوم، لا يزال في لباس التلبيس، يجتذب مطالبه بمغناطيس التدليس إلا ما شد ممن رحم ربك وقليل ما هم (والمثل في ذلك تغيير الشكل لأجل الأكل)[3] وفي الغالب إنما تكون إساءات الغريب الوارد على المورد الذي ينهل منه (والله سبحانه وتعالى أعلم)[4].

وما ضرني إلا الذين عرفتهم جزى الله خيرًا كل من لست أعرف

وكان يقال: المصائب أثمار[5] التجارب.

---

(١) في ب [يرمل].
(٢) في ب [قذير].
(٣) زائدة في أ.
(٤) ساقطة من أ.
(٥) في ب [أثمان].

(فيا ليتني كالزند يكتم أمره ... وإن كان في أحشائه النار تضرم)[1]

نكتة: جرت سنة الفعال لما يريد في خلقه، إن كل بلدة في الغالب تكون عونًا لغريبها حتى على سكانها، وعلى الخصوص المدينة المنورة، وكان المرحوم العلامة الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم المدني يقول: ليس من الرأي تعظيم الوارد إلى هذه الديار إلا بحسب ما يقتضيه الحال، فإنه بتعظيمه يطأ غيره، ثم يتمرد على معظمه فيطأه كذلك، وتكون إساءته عليه أكثر، وعلى الخصوص من لفظته القرى، وألف النوال والقرى. وقد اتفق لي شيء من ذلك، فكتبت لبعض أصحابي في خصوص هذا المعنى:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم ... بلطفها في الورى مأمونة العتب[2]

لكن رعايتكم للغرب تحملهم ... على تجاوزهم للحد في الأدب[3]

فكان الجواب عن ذلك بلسان الحال:

مولاي إن صروف الدهر قد حكمت ... وأعوزت إن بذل الرأس للذنب

كم من مقبل كف[4] لو تمكن من ... تقطيعها ما كان ممن فاز بالارب

واختصر المعنى بعضهم قال:

كم من يد قبلتها ... فلو استطعت قطعتها

وقال آخر:

وإني لمغرىً بالتواضع مغرم ... وأنت ترى أن المعالي ديدني

ومن مذهبي أني أذل لمطلبي ... ولا أتحامى قبلةً من يدي دنى

لبعضهم ولقد أجاد في المعنى:

ذريني ونفسي في عفافي ... جعلت عفافي في حياتي ديدنى

وأقطع من قطع اليدين على الفتى ... ضيعة برنا لها من يدي دنى

وبالجملة فإن أهل المدينة المنورة بعد الحاقهم الأسية هم أقرب الأمة إلى التجاوز والسماح، وأقرب الخلق إلى النجاة والنجاح، كيف وقد قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: (جار الدار أحق بالشفعة) ـ وقال: (جار الدار أحق بدار الجار)، وقال: (جار

(١) زائدة في أ.

(٢) في ب [العتبا].

(٣) في ب [الأدبا].

(٤) في ب [كن].

الدار أحق من غيره)، وللعموم في الأقوال مجال عند الرجال، فتبا لمن ثلب لهم عرضًا وبعد المن أضمر لهم بغضًا.

كيف والجم الغفير منهم سلافة الندام، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، قال بعضهم ينبغي لمن أراد المجاورة بالمدينة المنورة أن يكون لين الأعطاف، هين الانعطاف، حافظًا لحرمة مكانها. محافظًا على مراعات سكانها[1]، يشاركهم في أنديتهم لا في أغذيتهم ويزاحمهم في أوقاتهم، لا في أقواتهم، ويكتسب من أخلاقهم ولا من أرزاقهم ويقتبس من برهم، لا من برهم ويرغب في حبهم، لا في حبهم، مقتديًا في هذا المقياس، وازهد[2] فيما عند الناس، وقال بعض العلماء، ينبغي لطالب سكنى المدينة، ألا يضيق على المحتاجين بسكنى الأربطة والمزاحمة على الصدقات ولا يسعى في منع معروف وكان يقال:

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه	حتى يذوق رجال مثل ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نايلهم	قوت كقوت ووسع كالذي[3] وسعوا

وقال آخر:

غدا توفى النفوس ما كسبت	ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم	وإن أساءوا فبئسما ما صنعوا

وقال آخر:

إذا كنت مع ما في يديك من الغنى	من المال مزدادًا يجد مدى الدهر
فكيف تلوم الطالبين وربما	يكون بهم ما لا علمت من الفقر

وقال:

لا تقطعن يد المعروف عن أحد	ما دام يمكن فالإمكان تارات
واشكر فضيلة لطف الله إذ جعلت	إليك لا لك عند الناس حاجات

خاتمة قال: في المواهب اللدنية، روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» أي ينضم ويلتجىء مع أنها أصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه ﷺ في ساكنيها فأكرم بسكانها ولو قيل فيهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة، وثبت لهم حق الجوار، وإن عظمت إساءتهم فلا

---

(١) في ب [أهلها].　(٢) في ب [ويزهد].　(٣) في ب [مثل ما].

يسلب عنهم اسم الجار[1] وقد عم عليه الصلاة والسلام بقوله: «ما زال جبريل يوصيني بالجار» ولم يخص[2] جار دون جار وكل ما احتج به محتج من رمى بعض عوامهم بالابتداع وترك الاتباع فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم لا يترك إكرامه، ولا ينتقص احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف ما دار[3]، بل يرجى أن يختم له بالحسنى، ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى.

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

قلت: وأنت ترى أن الملل والنحل على اختلافها، وتباين ائتلافها، لا يخلوا منها قطر من الأقطار ولا مصر من الأمصار ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم، فمن فهم علة[4] الخلق تنزه في رياض الأفكار من وهم في سنة الحق وقع في مشاغب الانكار، ولأهل المظاهر مجال في حكم الظاهر، والله أعلم بالسرائر.

ومن محاسن المدينة أن حديث أهلها وذكر شمائلهم المعطرة.

مما يرقص رؤس الحكماء طربًا ويحرك نفوس العلماء عجبًا

أوصافهم تسري أحاديثها مسرى النجوم الزهر في الأفق

كما أحاديث الندى عنهم يسندها الركبان من الطرف

قال العلامة ابن حجر: ينبغي أن ينظر إلى أهل المدينة بعين التعظيم، ورعاية التكريم ولا يبحث عن بواطنهم ولا عن طواهم لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، لأن الذنوب ما عدا الشرك تحت مشيئته يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ولا يطلع أحد على تعلق إرادته عز وجل فيحهم بجواره كيف ما كانوا أي على ارتكاب الذنوب الصغائر والكبائر، فإن عظم الإساءة ولو في الدار لا يسلب حرمة الجوار.

وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزلي

وقال في الجوهر المنظم، وصرف ما يتصدق به إلى أهل المدينة أولى على أي حالة كانوا وذلك لأن شرف الجوار الثابت لهم أوجب الأعراض عن مساوئهم، والنظر إلى حرمتهم وما تشرفوا به من ذلك الجوار الأعظم، ولذلك كثر في الأحاديث الصحيحة الدعاء منه ﷺ لهم بالبركة، وعلى من قصدهم بسوء بأقبح النكال، ثم قال

---

(١) زائدة في أ.
(٢) في ب [يخصص].
(٣) في ب [ما دار].
(٤) سقط من ب.

ولقد استوفيت طرقًا من ذلك في كتابي الزواجر عن اقتراف الكبائر، ومهما يكن للمرء في القول فسحه فنسبته للذنب من أعظم الذنب، وما أوقع ما قال القاضي الفاضل:

أعجب ما في العيون عندي اظهار ما تضمر القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم وما لها عندها ذنوب
وتشتهي نفس نفوسًا وما لها عندها نصيب
ومن علي آخر يجني فحسنه عنده معيب
ما ذاك إلا لحكمة ما قدرها القادر الرقيب

ومن مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى قال: كان له جار مسرف على نفسه، مدمن للخمر وكان كثيرًا ما يسمعه ينشد قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهه وسداد ثغر

فاتفق أن الحرس صادفوه ليلاً في بعض الطرق فأخذوه وذهبوا به إلى السجن فلما كان الصباح بلغته القصة، فركب إلى الأمير ولم يكن يركب إليه من قبل ثم أنه تشفع فيه، فأطلقه الأمير له، فلما أقبل عليه قال له: كيف رأيت هل أضعناك فكان سببًا لهدايته، ومن أحسن ما يحكى أن رجلان كانا مع بعض الصالحين فمرا على جماعة يشربون ويغنون فقال الرجل يا سيدي ادع على هؤلاء المجاهرين بالمنكر فقال الشيخ نعم؛ ثم استقبل القبلة وقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة، فبهت الرجل، فلم يمض مدة حتى اهتدى كل منهم وحسن حاله وكان إلى طريق الخير مآله، وعار على راعي الحمى وهو في الحي[1] إذا ضاع في البيداء عقال بعير وليكن ذلك آخر ما جرى به القلم من ذكر بعض محاسن المدينة المنورة ونشر لطائف هاتيك الأماكن الأمينة[2] المعمرة وهي وإن كثر لقليل في جانب شرفها الشامخ، ويسير مما كرمها الله تعالى (من جزيل فضله الراسخ، ولو تتبعنا ما شرفها الله تعالى به)[3] من جليل المناقب، ومنحها من جميل المواهب، لكلت دونه الأقلام وجفت المحابر ولما وسعت بعضه الدفاتر والحمد لله الذي شرف طابه وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة، فهي الأرض التي هي في الحقيقة السماء، وهي الروض التي من دونها المقام الاسما، أرض مشى جبريل في عرصاتها، والله شرف أرضها وسماها أرض سمت بمحمد وبآله، والله رب العرش قد أسماها، اللهم اغننا في التمسك بأهداب الآداب عن خيط باطل يعتمد حبلها[4] الوهى، وول أوجه قلوبنا شطرك ينطبع في مرآتها صور الأشياء كما هي،

---

(١) في ب [الحما].
(٢) زائدة في ب.
(٣) سقط من ب.
(٤) في ب [نعتمد حبله].

ولا تخزنا بمقال لا تقال فيه العثار، ومجال يتمحل[1] له الأعذار وصل وسلم على رسولك الذي الزمت ربقه دينه الرقاب، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب، وجاره بقبول الشفاعة وبالوسيلة والمقام المحمود يوم الجزاء. وزد شمل أمته اجتماعًا ما اجتمع الكل من الأجزاء، يا من وجب لذاته وجوده، وعم جميع خلقه إثناء انعامه وجوده فصل وسلم على من أكرمتنا بجواره وأسكنتنا بفضلك في ظلال[2] سعة دياره مما بين روضه غنًا وغيضه[3] حسنًا ومنازل باهية باهرة ومنازه زاهية زاهرة، وجيرة قد شقوا عصا الشقاق وتراضعوا فوائق الوفاق من ألف منهم أقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وعم بكرمك جميع آله وأصحابه ومؤازريه وأحزابه ثم والحمد لله الذي بأمره جرى القلم على منوال ما اقتضته الحكم، وسلام على عباده الذي اصطفى، وحسبنا الله وكفى.

تم الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تم تم، تمت مقابلته على حسب الطاقة من نسخة المؤلف في ضحى يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر شوال المبارك من شهور سنة ١٠٥٧.

استكتبها لنفسه الفقير محمد نعمة الله التمتام نقلاً عن نسخة المؤلف.

وقال مؤلفه العالم العلامة والحبر الفهامة مولانا وسيدنا السيد محمد كبريت الحسيني المدني فرع من تنميق هذا المسطر مؤلف في الأوائل شهر ربيع الآخر وتمت كتابة هذه النسخة يعني نسخته في أواخر شوال المبارك من تمام تاريخه سنة ثمان وأربعين وألف.

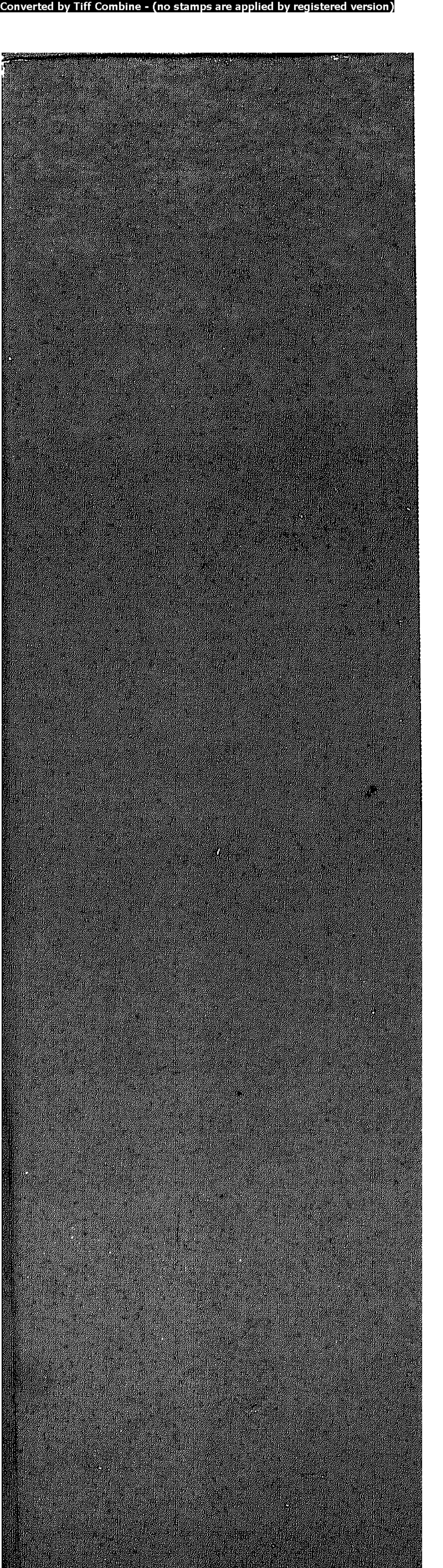
(١) في ب [تنمحل].
(٢) ثبت في الأصل [ضلال].
(٣) في ب [وفيضه].

الفهرس









دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان